

غابرييل غارسيا ماركيث

# الحب.. وشياطين اخرى

ترجمها عن الاسبانية د: وايد صالح



الشرق

## « غابرييل غارثيا ماركيز » أسطورة الأدب العالمي

أصبح « غابرييل غارثيا ماركيز » عام ١٩٨٢ رابع أديب من « أمريكا اللاتينية » يحصل على جائزة نوبل للأدب . وقد أجمع النقد منذ بدايات بروز اسم هذا الكاتب على المستوى الرفيع لكتاباته وأخباره إلى قدرته وملكيته البارزة ، وكانت « مائة عام من العزلة » المنشورة في عام ١٩٦٧ خير ما تمثل للطلاقة الرواية في « أمريكا اللاتينية » .

تتميز أعمال « ماركيز » بالتمسك الشديد إلى درجة أن نتاجه كله يبدو وكأنه رواية واحدة نشرت أجزاءها في فترات متفرقة . وكما أنماز الأديب البيرواني « فارجاس ليوسا » فإن مؤثرات « ماركيز » هي ثلاثة : شخصية وتاريخية وثقافية . أما الشخصية فأنها تنحصر مكان ولادته وطفولته ومعاشاته في بلدة « كولومبيا » . أما ظروف الفن والفنونة التي تحيط بحياة السكان في ذلك البلد ، فأنها تشكل جزءاً من المؤثرات التاريخية . ولأن الثقافة فأنها تعود إلى مصادر قراءاته مثل : « الأنجيل » و « ألف ليلة وليلة » وأعمال « كافكا » و « جيمس جويس » و « بورخيس » و « همنغواي » وغيرهم .

غير أن « ماركيز » ككاتب يتميز بمقصودية استثنائية لأنه يهتم بنفسه بشكل مبالغ فيه . وقد قال في مقابلة صحفية أجريت معه عام ١٩٦٩ بأنه كاتب عشن وقاسي لأنه يمضي أحياناً لثلاث ساعات في

الكتابة لا يخرج منها سوى نصف صفحة ، ولأنه يصارع الكلمات صراعاً شرساً ، وفي النهاية تكون هي الغالبة .

وقد بدأ « ماركيز » حياته الأدبية صحفياً ، هذه المهنة التي لازمته بشكل أو بآخر حتى الآن . نشر بعض القصص في أواخر الأربعينات ، غير أن الرواية الأولى التي كشفت عن عظمة موهبته كانت بعنوان « الأوراق المتساقطة » التي نشرت عام ١٩٥٥ وكانت هذه الرواية قصيرة تعما بقصة رائعة عنوانها « مونولوج إيزابيل » وهي تترى تساقط المطر في ماركوندو « المنشورة في نفس العام . وبهذا أخذ يعمل مراسلاً صحفياً في « أوروبا » « لحرية » « الأسبكتادور » أي التفرج . حيث كتب في باريس « الكولونيل ليس له من مكانه » ونشرت عام ١٩٥٨ . وعاد بعدها إلى بلده ومنه ذهب إلى « نيويورك » ثم إلى « المكسيك » حيث كتب إحدى قصصه المهمة المعنونة « جنازة ماما الكبيرة » ونشرت عام ١٩٦٢ . وبعد هذه الفترة أخذ في إعداد روايته الكبيرة « مائة عام من العزلة » التي ظهرت في « بوينس آيرس » في ١٩٦٧ . وقد تجاوز نجاح هذه الرواية الحدود للثقافة ولم تقترب منها أية رواية أخرى من رواياته اللاحقة .

وبعد ظهور هذه الرواية تساءل النقاد عما إذا كان « ماركيز » قادراً على الجهاد وسائل تصويرية وثرائية جديدة أو أنه سيكرر ما ابتدعه في رواية « مائة عام من العزلة » وظهرت رواية « خريف البطريق » عام ١٩٧٥ بعد انتظار طويل من جانب القراء ، ولكنها لم تبلغ على كل حال انتشار سابقتها . وقد أثبتت هذه الرواية على أن « ماركيز » مازال يمتلك

وصالح في حبه جديدة وجذابة . وفي عام ١٩٨١ نشر روايته « قصة موت مطلق » والتي خلق فيها تكافلاً دقيقاً بين القصة الأدبية والـ « بورنوج » الصحفي . ولقد استفاد من تجربته الصحفية التي يتقنها بشكل جيد .

أما رواية « الحب في زمن الكوليرا » التي ظهرت عام ١٩٨٥ فإنها تعالج بأسلوب جديد موضوع الحب . وفي هذه الرواية قدراً من السخر والخرافة يوازي قدراً آخر من الواقعية وقد استطاع الكاتب أن يرسم شخصيته في هذه الرواية بأشكال مسرحية وإن شخصيته الرئيسية أصبحت بلا شك فتوة لا تزول في تاريخ الرواية المعاصرة .

ونشرت روايته الأخيرة « الجنرال في متاعته » عام ١٩٨٩ وهي رواية تاريخية تستلهم حياة السياسي والقائد الفنزويلي « سيمون بوليفار » ( ١٧٨٣ - ١٨٣٠ ) الذي حرر بلده من الحكم الإسباني ثم حرر بعده « غرناطة الجديدة » وكون منها ومن « الاكوادور » جمهورية « كولومبيا الكبرى » ثم مضى في توحيدها مع « البيرو » و « بوليفيا » فلم ينجح . وقد دُعيت باسمه جمهورية « بوليفيا » وتصور هذه الرواية الأشهر السبعة الأخيرة من حياة الجنرال ، ويعترف الكاتب بأن عمله هذا إنما هو محاكاة لقدّم عليها لأن الحديث عن قائد من خلال الوثائق التاريخية التي تركها أعداء هذا الجنرال شيء لا يخلو من التعقيد .

وهكذا فأننا نرى بأن « أمريكا اللاتينية » تشكل أصل ومركز أعمال « ماركيز » الأدبية والصحفية وكذا مسلامته السياسية

والثقافية . وهذا التراوح ما بين الخيال الأسطوري في « الأوراق المسافرة » و « واحة عام من العزلة » و « قصة موت مطلق » و « الجنرال في متاعته » تمنح أعمال « ماركيز » تراه أكبر وأعمى أشمل .

### قصص فادرة

في قصص هذا الكتاب التي تدور أحداثها في مدن أوروبية ، لم يخرج « ماركيز » عن نمطه الروائي المعروف ، إذ يجد القارئ قصصاً تم روايتها بأسلوب متقن وتخيّم عليها أجواء ساحرة ومزاج ساخر ولاذع لتخلق شخصيات واقعية مدعفة وبحلول الكاتب فيها جميعاً أن يمرّ عن الضمير الإنساني وعن بؤس الحياة من خلال ما تعرّض له شخصياته إلى أمراض وموت . ومع أنّ هناك بعض الأحداث التي يصعب على المرء تصديقها ، فإنها لا تخرج عن روح الأدب وخاصة الأدب الذي يمسّ عالم الخيال . إنّ نهائات القصص لا تهم كثيراً لأنّ سردها وحكيها وتطور الحدث فيها هو الذي يشدّ القارئ لأنّه يحمش الحدث ويحتجّ بلغة السرّ اللذيذة والجميلة .

### وليد صالح

مدريد في أكتوبر (تشرين أول) ١٩٩٢

## تَهْنِئَةٌ

لماذا اثنتا عشرة ، ولماذا قصص ، ولماذا ثمانية ؟

كُتِبَ قصص هذا الكتاب الاثنتا عشرة على مرِّ الثمانية عشر عاماً الأخيرة . وقبل أن تأخذ شكلها الحالي ، كانت خمس منها عبارة عن خواطر صحفية ونصوص سينمائية ، وكانت واحدة منها سلسلة تلفزيونية . وأخرى رويتها منذ خمسة عشر عاماً في مقابلة مسجلة ، وقام الصديق الذي حكيتها له بتدوينها ونشرها ، وقمت أنا الآن بإعادة كتابتها انطلاقاً من ذلك النص . لقد كانت تجربة إبداعية غريبة تستحق التفسير ، حتى ولم يكن للأبطال الذين يردون أن يصبحوا كتاباً عندما يكبرون ، لكي يعلموا من الآن كم هي شائعة وصامحة ورقبة الكتابة .

إنَّ الفكرة الأولى التي راودتني في أوائل عقد السبعينات ، بسبب حلم مشير شاهده بعد إقامة دامت خمس سنوات في برشلونة ، شاهدت بأنني أحضر مراسم دفني الخاص على قدمي ، مائياً بين مجموعة من الأصدقاء لا يسي الحذاء المهب ، ولكن بروح احتفالية . وكنا جميعاً نبدو سعداء لتواجدنا معاً . وكنت أنا أكثرهم سعادة بتلك الفرصة الطيبة التي أتاحتها لي الموت لكي أكون مع أصدقائي من أمريكا اللاتينية ، أقدمهم وأغرمهم وكلنا هؤلاء الذين لم أرهم منذ زمن بعيد . وعند

انتهاء المراسيم ، حيث أخذوا بمعاذرة المكان ، حاولت مراقبتهم ، غير أن واحداً منهم وبسوء حادة جعلني أفهم بأن الاحتفال قد انتهى بالنسبة لي . وأنت الوحيد الذي لا تستطيع أن تلعب ، قال لي . حينذاك قطع لمعت بأن الموت هو أن لا تكون بعد أبداً مع الأصدقاء .

ولا أدري لماذا فسرت ذلك الحلم كاستعادة وعي يهوئي وظننت بأنه نقطة انطلاق جيدة للكتابة عن الأسماء الغريبة التي تحدث لأبناء أمريكا اللاتينية في أوروبا . كانت نقطة مشجعة ، حيث أتت كنت قد انتهت قبل ذلك بقليل من «عريف البطريق» ، والذي كان من بين أكثر أعمالتي صعوبة ونحساً ، ولم أكن أجد الطريق للمتابعة .

خلال ما يقرب من عامين ، كنت أدون ملاحظاتي عن الموضوعات التي كانت تحدث لي دون أن أقرر بعد ماذا سأفعل بها . وبما أنني لم أكن أملك كراساً للملاحظات في بيتي في تلك الليلة التي قررت فيها البدء ، أعارني أولادي دفتر مدرسياً . وهم الذي حملوه في مزاولهم الخاصة بالكتب في مقراتنا المتعددة خوفاً من ضياعه . وصار عندي أربعة وستون موضوعاً مع الكثير من التفاصيل التي لم يكن يتفحصها سوى الكتابة .

وكان ذلك في المكسيك بعد عودتي من «برشلونة» عام ١٩٧٤ ، حيث اتضح لدي بأن هذا الكتاب لا ينبغي أن يكون رواية كما بدأ لي في الأول ، وإنما مجموعة من القصص القصيرة التي تستلهم أحداثاً صحفية تنقلت من شريط الغناء بحيلة الفجر . كنت قد كتبت حتى ذلك الحين ثلاث مجموعات قصصية ، ومع ذلك فإنّ آياً من تلك المجموعات لم

تكن مفهومة أو محيرة ككُلّ متكامل ، حيث أن كلّ قصة من تلك القصص كانت وحدة مستقلة وطائرة . وعلى هذا فإنّ كتابة أربع وستين قصة كان بالإمكان أن تكون سفارة مدعشة فيما لو استطعت إنجازها جميعاً ضمن تصميم واحد ووحدة داخلية في النبرة والأسلوب اللذين يجعلانها غير قابلة للانفصال في ذاكرة القارئ .

فالقصتان الأوليان : «أمر دمك على الثلج» و «صيف السيدة فوريس السعيد» ، كتبتهما عام ١٩٧٦ ونشرتهما مباشرة في الملاحق الأدبية في عدة بلدان . ولم أشرح ولو يوماً واحداً ، غير أنني في منتصف القصة الثالثة والتي كانت تتحدث عن مراسيم دفني ، شعرت بأنني متعب أكثر مما لو كنت أكتب رواية . بقيت الفقرة الأولى من آية رواية لأبدأ من تحديد كُليّ قس : التركيب ، النبرة ، الأسلوب ، الألقاب ، الطول ، وأحياناً حتى ميزات بعض الشخصيات . أما الباقي فليس سوى للذة الكتابة ، وهو الأمر الأكثر خصوصية وتفرّداً مما يمكن لنا أن نتخيله . وإذا كان أحداً لا يقضي بقية حياته في تصحيح كتابه ، فإنّ ذلك يعود إلى نفس القاعدة الحديثة التي تفرض نفسها لانهائه تماماً كما تمّ البدء به . في حين أن القصة ليس لها بداية ولا نهاية : مكتملة أولاً . فإن لم تكن مكتملة ، فإن التجربة الخاصة وتجارب الآخرين تعلم بأنّ من الأحسن في معظم الحالات البدء بها من جديد ومن طريق آخر ، أو رميها في سلة المهملات . أخذ ما قالها على ما أذكر في جملة سؤالي : «الكاتب الجيد يُقيم بشكل أفضل باعتباره ما يرميه لا باعتباره ما ينشره» ، والحق أنني لم أرتق المسودات والملاحظات ، غير أنني فعلت ما هو أسوأ : رميت بها في عالم النسيان .

أذكر بأن الكرسي كان فوق مكتبي في الكسكس ، غارفاً بين  
أدراج من الورق ، حتى عام ١٩٧٨ ، وفي أحد الأيام إذ كنت أبحث عن  
شيء آخر ، انتهت إلى عدم وجوده ، إذ لم تقع عليه عيناى منذ زمن . لم  
أعلم بذلك ، غير أنني حين أقيمت نفسي بأنه قد اختفى من على المكتب  
تحتلني الفزع . لم يبق في البيت ركن دون أن نفتشه بعين . حرصاً قطع  
الأثاث وأمرنا المكتبة خوفاً من أن يكون قد سقط وراء الكتب ، وأجربنا  
مع العاملين في البيت والأصدقاء تحقيقاً لا يرحم . ليس له أي أثر . التفسير  
الوحيد الممكن ، وربما المستحسن ؟ وهو أنني في واحد من أعمال  
إياد الأوراق التي أجريها باستمرار ، قد ألقيت بالكرسي إلى صندوق  
القمامة .

أدهشني رد فعلي الخاص : أن الموطوعات التي كنت قد نسيتها لما  
يقارب الأربعة أعوام ، تحولت بأشبه لي إلى قضية شرف ، محاولاً  
استعادتها بأي ثمن . ونتيجة للعمل الشاق بهدف كتابتها ، تمكنت من  
إعادة كتابة الملاحظات الخاصة بثلاثين قصة ، وبما أن الجهد الذي بذلته في  
سبيل تذكرها كان لي بمثابة عمل تطهيري ، أضحت أضحي ، بلا رحمة ،  
تلك التي كانت تجوز لي صعبة الإنفاذ ، وهكذا بقيت ثلثي عشرة ،  
وفي هذه المرة كان قرار كتابتها دون توقف يشجعني ، غير أنني أدركت  
سريعاً أنني قد قدت حماسي لها ، ومع ذلك ، وخلافاً لما كنت اعتدت  
عليه في نصحي للكتاب الجديد ، لم أرم بها في سلة المهملات ، بل  
احتفظت بها ، عسى أن تنفع فيما بعد حين يذلت ، قصة مروت معلى ،  
عام ١٩٧٩ ، ليقت من أنني لي وثقات الاستراحة بين كتابين أقصد عادة

المدوام على الكتابة ، وفي كل مرة أجد استضافه الكتابة أصعب . ولهذا  
فأني التزمت بكتابة خواطر اسبوعية للعديد من صحف العالم في الفترة  
الواقعة ما بين شهر أكتوبر ( تشرين أول ) ١٩٨٠ وشهر مارس ( آذار )  
١٩٨٤ ، انضباطاً مني ورغبة في الحفاظ على ذراعي سليمة . حينما  
طُرقت لي فكرة قوامها أن صراعي مع ملاحظات الكرسي لا يزال متعلقاً  
بالأجناس الأدبية ، وإن على تلك الملاحظات أن تكون خواطر صحفية ،  
لا قصصاً ولم يخبر رأيت ذلك الأبعد نشر حملي من تلك الخواطر للمأخوذة  
من الكرسي : أنها أكثر ملائمة للسينما . وهكذا قد تم إنجاز خمسة أفلام  
ومسلسل تلفزيوني .

والذي لم أكن أتوقعه أبداً هو أن يتبدل العمل الصحفي والسينمائي  
بعض آرائني عن القصص ، إلى الحد الذي جعلني جريصاً ، الآن عند  
كتابتها بشكلها الحالي ، على الفعل بحزم ما بين أنكاري الخاصة  
والأفكار التي زودني بها اعرجون خلال كتابة النصوص السينمائية .  
بالإضافة إلى ذلك فإن التعاون مع خمسة مدعين مختلفين وبشكل متواز ،  
أوحى لي بأسلوب آخر لكتابة القصص : البدء بواحدة عند توفر وقت  
فارغ ثم تركها عند الشعور بالنعف أو عند ظهور مشروع غير مخطط  
له ، ومن ثم البدء بواحدة أخرى . وفي فترة تزيد على العام يقليل ، ذهبت  
سنة من الثمانية عشر موضوعاً إلى سلة المهملات ، ومن بينها موضوع  
مراسم دفني ، حيث لم أستطع أن أجعله شلية كما كان لي الحلم . أما  
القصص الباقية فعلى العكس ، يبدو أنها استعادت أنفاسها لكي تعيش  
حياة طويلة .

وهي التي تشكل قصص هذا الكتاب الاثني عشرة . في شهر  
سبتمبر ( أيلول ) الماضي ، كانت جاهرة للشعر بعد عامين آخرين من  
العمل المقطع . وهكذا كان بالإمكان انتهاء الرحلات المستمرة للعباءة  
وعودتها ، من وإلى صندوق القمامة . غير أن الذي منع ذلك في اللحظة  
الأخيرة ، هو وعرة من الشك وتأليب الطمير ، حيث إن المدن الأوروبية  
المختلفة التي تجري فيها أحداث القصص ، كنت قد وصفتها اعتماداً على  
الذاكرة وعلى البعد ، وأردت أن أتقن من وفاء ذكرياتي بعد ما يقرب من  
عشرين عاماً ، لذا فاني بذلت مسرة سريعة للتعرف من جديد على  
برشلونة وجنيف وروما وباريس . لم يكن لأية من تلك المدن علاقة مع  
ذكرياتي . كلها صارت غريبة ، حالها حال أوروبا جميعاً بفعل  
الاستثمارات المدهشة : كانت ذكرياتي الحقيقية تدلوا لي وكأنها أشباح  
من الذاكرة ، في حين أن ذكرياتي المزيفة كانت مقنعة إلى الحد الذي  
فرطت نفسها على الواقع . وأدّى بي هذا إلى استحالة تمييز الخط الفاصل  
ما بين غيبة الأمل والحنين . وجاء الحل الأخير ، إذ لني وجدت أخيراً ما  
كنت أبحث عنه بلا كلل لإنهاء الكتاب ، والذي لم يكن يمنحه إياي  
سوى مرور السنوات : نظرة من خلال الزمن .

بعد عودتي من مغربي العاصمة تلك ، أعدت كتابة جميع القصص  
من البداية خلال ثمانية أشهر صحمومة ، لم أكن خلالها بحاجة إلى  
التساؤل ، أين كانت الحياة تنتهي وأين كان الحبال يبدأ ، لأن الشك في  
عدم واقعية ما كنت عشته في أوروبا قبل عشرين عاماً قد ساعدني .  
وصارت الكتابة حينذاك سلسلة مبسورة ، إذ كنت أشعر أحياناً بأنني  
أكتب مدفوعاً بلذة القصص ، وهي الحالة الإنسانية التي أكثر ما تكون شبيهاً

بالتحديق ، ثم أنني كنت أحمل في جميع القصص في نفس الوقت ، أنفرد  
من واحدة إلى أخرى بحرية كاملة . وهذا بالذات جعلني أحقق نظرة  
باتورامية أنقلتي من تعب البدايات المتتالية ، وساعدني على اقتناص  
التكرار الفارغ والتناقض القاتل . وهكذا فاني أعقد بأنني قد حصلت  
على المجموعة القصصية الأقرب إلى ما كنت أتمنى كتابته دائماً .

أنه هنا ، إذن ، جاهرز لكي يحمل إلى المائدة بعد كل رحلات  
الذباب والآباب وبعد انتقاده من عتبات الشك . جميع القصص ، عدا  
الأولى والثانية ، ثم انتهائهما في وقت واحد ، وكل واحدة منها تحمل  
تاريخ البدء بها . أما ترتيبها في هذه الطبعة ، فاني حافظت فيه على  
الترتيب الأصلي في كراسي للملاحظات .

اعتقدت دائماً بأن الكتابة الأخيرة لأية قصة هي أفضل من  
سابقاتها . كيف لنا ، إذن ، أن نعرف أيها يجب أن تكون الأخيرة ؟ أنه  
سر المهنة الذي لا يخضع لتقوانين الذكاء ، بل لسحر الغرائز . وهذا تبييه  
بحمل القلياعة التي تعرف متى ينضج الحساء . على كل حال ، ودفعاً  
للكش ، فاني لا أعود إلى قراءتها ، لأنني اعتدت على عدم قراءة أي من  
كسبي خوفاً من أن أنطم على كتابته . والذي يقرأها يعرف ماذا يفعل بها .  
ولحسن الحظ ، فإن عودة هذه القصص الاثني عشرة للمهاجرة إلى سنة  
الأوراق ، إنما هو فرج وراحة كراحة العودة إلى البيت .

غابرييل غارثيا ماركيز

• كورفوينا دي الندياس ، أبريل ( نيسان ) ١٩٩٢

### صخرة سعيدة ، صائدة الرئيس

كان جالساً على المقعد الخشبي تحت الأوراق الصفراء لأشجار  
المتنزه المقر ، يتأمل الأوراق المرفرة وكلتا يديه متكيتان على المنضدة  
المنخفضة للمكاتب ، مفكراً بالثوب . عندما جاء إلى جنيف للمرة الأولى ،  
كانت البحيرة هادئة وشفافة ، وكانت هناك نواصير قديمة تقترب من  
الناس وتأكبل من أياديهم ، وكانت هناك نساء للايجار يلبسن فساتين  
ذات كرايش من القطن الأبيض الشفاف ويحملن مظلات حريرية وكانهن  
أشباح الساقطة مناه . أما الآن فإن المرأة الواحدة الممكنة التي تقع داخل  
حدود الرؤية هي بالغة الزهور في الرصيف الحليوي . كان يعد صخرة في  
تصديق أنه الزمن استطاع أن يسبب ضرراً كهذا ، ليس في حياته  
فحسب ، وإنما في العالم أيضاً .

كان شخصاً مجهولاً كغيره من الناس في هذه المدينة ، مدينة  
الشاهير المشهورين . كان يلبس البدلة الزرقاء القاتمة ذات الخطوط البيضاء  
وصدار الاسترق والقيمة الصلبة التي ألف استعمالها الحكام المتقاعدون .  
وكان له شارب ضاحك طويل الجانين وشعر رمادي كثيف ذو تجمعات  
رومانسية ، ويدان كأنهما يدا عازف حنك . وفي عصره الأمر حلقه



الزواج رغم كونه لرميل ، وعبدان فرحان . والشئ الوحيد الذي كان يفسح حالته الصحية هو تعب بشرته . ومع هذا ، فإنه كان يشعر في ذلك الصباح بأنه بعد غاماً عن أي شعور بالخلاء ، لقد مرت أعوام المجد والسلطة ، ولم يبق الآن سوى أعوام الموت .

كان قد عاد الى جنيف بعد حربين عالميتين ، باحثاً عن جواب شاف لأنه الذي لم يستطع أطباء جزيرة « مارتينيكا » الكاريبية تشخيصه . كان يتوقع أن أقامته لن تصدى الحصة عشر يوماً ، وها هو مقبم هنا منذ ستة أسابيع ما بين فحوصات مهلكة ونتائج غير أكيدة ، وحتى الآن فإنه يحمر عن رؤية النهاية بوضوح .

كانوا يحثون عن الألم في الكبد وفي الكلية وفي البنكرياس وفي البروستاتة ولكن عبثاً . الى أن وصل ذلك الخميس المشؤوم ، حيث عقد معه أحد الأطباء المغمورين موعداً على الساعة التاسعة في ردة الأمراض العصبية . كان المكتب سيهاً بصومعة رهبان ، وكان الطبيب هزلاً وكثيراً ، وكانت هذه اليمنى مجبرة بالجنى لكسر في الابهام . وعندما أطفأ النور ظهرت على الشاشة صورة شاعرية منيرة لعمود فقري لم يكن يعرف أنها له حتى أشار الطبيب بمؤشر الى ما دون المزم عند الحمام فقررتين ، قائلاً له :

- أنك يمكن هنا .

لم يكن هذا بالنسبة له سهلاً . لأن له كان مصعب الاحتمال ومنزلقاً ، حيث كان يظهر أحياناً في جنبه الأيمن ، وأخرى تحت البطن ،

وكان يقاومه بين الحين والآخر على شكل وخزات آتية في أعلى الفخذ .

استمع اليه الطبيب بالدهاش دون أن يزيل المؤشر عن الشاشة . « لهذا عذتنا كل هذا الوقت ، أضاف الطبيب . » لكننا الآن تعلم بأنه يمكن هنا . » وبعددها وضع سيابته على صدغه وأردف قائلاً :

- ومع ذلك ، أقولها بدقة صارمة ، فإن أي ألم موطنه هنا ، سيادة الرئيس . كان أسلوبه الطبي درامياً الى الحد الذي بدا فيه حكمه الأخير رحيماً : على السيد الرئيس أن يخضع لعملية خطيرة ولا مفر منها . فسأله هذا من هامش الخطر ، فحجته اجابة الطبيب المسن محاطاً بأنشواء من الثلث .

- ليس بإمكاننا قوله بصورة أكيدة ، قال له .

ثم أضاف ، حتى وقت قريب كانت مخاطر الأحداث المعينة كبيرة ، وأكثر من ذلك إمكانيات الإصابة بالشلل بمختلف درجاته . غير أنه وبعد التقدم الطبي صارت هذه المخاوف من ورقة الماضي .

نعم الطبيب كلامه بقوله : لنذهب مطمئناً ، هيئ أضيالك جيداً وأخبرنا ولكن لا تنس بذلك كلنا أسرعت ، كان أفضل .

لم يكن صباحاً جيداً لهضم ذلك النبا السيئ ، والأدعي من ذلك تواجده في الغراء . كان قد خرج مبكراً من الفندق ، دون مطف ، لأنه شاهد شمساً مشعة من خلال النافذة ، وكان قد ذهب بخطواته المحسوبة

من « جيمز توبيا وموليل » حيث يوجد المستشفى وحتى ملجأ الشاطئ  
الحابرين في « الفترة الانجليزي » ومازال هناك منذ أكثر من ساعة مفكراً  
بالموت كمعادته منذ بدأ الحريف . هاجت البحيرة وكانت المحيط الهادر  
ولفزع الربيع المهبوسة بطور النورس وأراحت الأوراق الأخيرة للشجر .  
نهض الرئيس ، وبدلاً من أن يشتري زهرة من بائعة الزهور ، فلف  
الحواطة من أحد أحواض الزرع العامة ، ووضعها في الثقب الموجود بطيعة  
سرتها . اندفعت بائعة الزهور .

- هذه الزهور ليست لله ، أيها السيد . قالت مترعجة . - أنها  
ملك البلدية .

لم يهتم هو بقولها وابتعد بخطوات خفيفة ، ماسكاً بالمكاز من  
وسطه ومحرراً إياه أحياناً بظرف خليع . وعند جسر « مولت بلانك »  
كانوا ينزعجون بخفة أعلام الكونغريدالية المتهونة بسبب الريح ، وكانت  
الناظرة الأنيقة تتوجه بالرغوة قد انطفأت قبل وقتها المحدد . ولم يتعرف  
الرئيس على مقهاه الذي اعتاد الذهاب اليه على الرصيف ، لأنهم كانوا قد  
علموا المظلة الخضراء من أعلى الباب وكانت الشرفات الصيفية المزهرة قد  
أغلقت منذ حين . كانت مصابيح الصالة مشتعلة في عز النهار ، وكان  
رباعي الوتر ينددون بحرق قطعة موسيقية لمارارت . أخذ الرئيس من على  
الطاولة جريدة من بين الصحف المحجورة للزبناء ، وضع القبة والمكاز  
على الساعية ووضع النظارات ذات الأطار الذهبي على عينيه ليقرأ هناك  
في المائدة الأكثر الزواء ، وحين ذاك فقط ، أدرك بأن الربيع كان قد حل .  
بدأ القراءة بصفحة الأخبار العالية والتي كان يحرق فيها بين الحين والآخر

على بعض الأخبار الخاصة بأمريكا اللاتينية واستمر في القراءة من الحلف  
إلى الأمام لغاية وصول العاملة التي كانت تحمل له قبة ماء « إيليان » التي  
اعتاد على تناولها يومياً . كان قد هجر عادة شرب القهوة منذ أكثر من  
ثلاثين عاماً بتوصية من الأطباء ، خير أنه كان يقول : « لو تملكني مرة  
الشك على آلي على وقت الموت ، سأعود إلى تناولها » . ربما كانت  
الساعة قد وصلت .

- هات لي قهوة أيضاً ، طلب منها بلغة فرنسية مضبوطة .  
وأردف دون الانتباه إلى ثنائية معنى ما قاله : على الطريقة الإيطالية ، كما  
لو كان الهدف بحث ميت .

شرب القهوة بلا سكر على رشفات بطيئة وبعدما قلب الفئجان  
في الصحن لكي يكون لترسبات القهوة ، بعد كل هذه السنوات ، وقت  
لكتابة مضميره . حرره الطعم المستعاد ، ولو لحين ، من أفكار السوء . وبعد  
برهة ، وكجزء من الكهانة ، شعر بأن أحد ما كان ينظر اليه ، آنذاك قلب  
الصفحة بحركة طارئة ، ونظر من فوق النظارات فوجد وجلاً شامخاً غير  
حليق اللحية ، بقعة رياضية وصدار مصنوع من جلد الحروف ، كان  
يلبسه على قفاه ، والذي أبعد نظرته في الحين لكيلا تلتقي مع نظرة  
الآخر .

كان وجهه مألوفاً ، وكان أحدهما قد رأى الآخر أكثر من مرة في  
تمر المستشفى ، وكان قد رآه في يوم ما على ظهر دراجة نارية في .  
بروجنادي دولاك ، بينما كان هو يتأمل الأوزات ، ولكنه لم يشعر في

أي وقت يأتيه معروف . ومع ذلك ، فإنه لم يشهد بأن يكون سمياً آخر  
من الأشباح التي تطارده في الليل .

أكمل قراءة المجلد دون استكمال صلتاً مع جلد « براهمن »  
القاهر ، حتى صار الألم أشد قوة من مهدئ الموسيقى . آنذاك نظر إلى  
ساعته الذهبية التي كان يحملها في جيبه معلقة في سلسلة ، وتناول  
القرصين المهدئين الخاصين بوسط النهار مع الرشفة الأخيرة من ماء  
والهوان الشقي . وقبل أن يترج نظارته ، تبين مصيره في مقعد المقهى  
وقمر بخير متلح : هنالك كان الشك .

وأخيراً دفع الحساب مع بنفيس ضئيل ، وتناول عكازه وقبضه من  
الساعة وخرج إلى الشارع دون أن ينظر إلى الرجل الذي كان ينظر إليه .  
اجتهد بمشيته الفرحة الاحتفالية ، محاذياً أحواض الزهور التي حطمتها  
الرياح وظن بأنه قد تحرر من ذلك الساحر . غير أنه شعر فجأة بأن أحداً ما  
يتبع خطواته ، فتوقف عند المنحنى ودار نصف دورة . وجد الرجل الذي  
كان يتبعه نفسه مضطراً إلى الموقف الفحائي عوفاً من أن يصطدم به ونظر  
إليه فزعاً على قرب لسيرون من عينيه .

- سيادة الرئيس . همس الرجل .

- قل لهؤلاء الذين يطمعون لك أن يودعوا آمالهم . فالها  
الرئيس دون أن تخفى عن اجسامته وصوته الأوجعي . - إن صحتي  
مماثلة .

- لا أحد يعرف ذلك أفضل مني ، قال الرجل ذلك مهموماً بسبب  
نعل العناب الذي سقط عليه . - انتني أعمل في المستشفى .

كان تلفظه وألقاه وحتى يجلبه ثم عن أنه رجل كاريبي غشن .  
- لعنك طبيب ، قال له الرئيس .

- ليتني كنت كذلك ، أيها السيد . إنني سائق امعاف .

- آسف ، أضل الرئيس ، مقتضاً بأنه أعطى التقدير . - أنه عمل  
سائق .

- ليس يشقة عملك ، أيها الرئيس .

نظر إليه الرئيس بلون تحرج واتكأ على المكاز بيديه وصاله باهتمام  
حقيقي :

- من أين حضرتك ؟

- من الكاريبي .

- عرفت هذا . قال الرئيس ، ولكن من أي بلد ؟

- من نلس بلنك ، أيها السيد ، قال الرجل ماداً له يده : اسمي  
موسروري .

قاطعة الرئيس مندفعاً ، دون أن يترك يده .

- صحياً ، قال له - أي اسم جميل !

نفساً ، هوميرو ، الصعداء .

- وأكثر من ذلك أيضاً ، هوميرو نرى دهاكاً ،

صحت عندهما موضة مرد شتائية وهما دون حماية في متصف  
الطريق . فحمر الرئيس بالحد الذي امتد حتى العظام ، وأدرك بأنه لن  
يستطيع السير بدون معطف ليقطع أشعة الشمس . فبصلاته من دار الفقراء  
التي اعتاد على تناول غذائه فيها

- هل نعدت ؟ سأل الرئيس هوميرو

- لا أتعدى أبداً ، قال هوميرو . - أتأول وحة واحدة فقط في

الليل في صبي

- ليكن استاء هذا اليوم . قالتا الرئيس مطهراً كل أرزينة . -

أدعوك لتناول العشاء

أسك به من ذرائعه وذهب به إلى المطعم المقابل الذي كان اسمه  
مكتوباً في أعلى الباب بحروف مذهبة « الثور الخنوق » . كان المطعم من  
الداخل ضيقاً وداخاً ، ولم يكن هناك على ما يبدو أي مكان فارغ . استمر  
« هوميرو وي » حتى نهاية الصالون لطلب المساعدة ، تمتلكه الممثلة من  
أن أحلها من اللوحدين لم تحرف على الرئيس

- هل هو رئيس مستمر في منصبه ؟ سأله رئيس العمال

- لا ، قال « هوميرو » . - أنه رئيس مخلوع

اتسم رئيس العمال اسماءه ورضى ، وقال :

- لهؤلاء عدي دائماً مضفة خاصة .

فأدعاهما إلى مكان معزل في عمق الصالون ، حيث كان بإمكانهما  
التحدث براحة ، فشكر له الرئيس منحه .

- ليس هناك الكثير ممن يفهمون كحضرتك كرامة المنفى ، قال

كان هذا المطعم مختصاً بنهية أضلاع الثور على المعجم . نظر  
الرئيس ومدعوه إلى اللواتي القرية لوجدا قطع اللحم الكبيرة المشوية  
والخاططة بقطع من النعم للطري . - « أنه لحم رائع » ، همس الرئيس ،  
فغير أنها مجموعة على نظر إلى « هوميرو » نظرة ثابتة وغير من نبرة صوته .  
- في الواقع ، لن كل شيء « مجموع على » .

- وكذلك القهوة ، فهي مجموعة على حضرتك . قال هوميرو ، -

ومع ذلك تناولها

- هل انتهت ؟ سأله الرئيس . كانت هذا استثنائياً في يوم  
استثنائي . لم يكن استاء ذلك اليوم مع القهوة فحسب ، لأنه طلب أيضاً  
أضلاع ثور مشوية على الفحم وصلالة بقول طازجة بنون مهارات مع  
فطرات من زيت الزيتون . وطلب المدعو نفس ما طلب الرئيس ، بالإضافة

الى نصف دورق من النبيذ الأحمر . وبينما كنا في انتظار اللحم ، أخرج  
« هومرو » من جيب مفرقه صحيفة نقود عالية من النقود ومطوية بالأوراق  
وأرى الرئيس صورة فاتمة اللون ، تعرّف على نفسه في تلك الصورة ،  
حيث كان يرتدي قميصاً ، وكان أخضع بما هو عليه الآن . أما فخره  
ومباريه فكانا قديدي السواد ، وكان يوسط مجموعة من الشباب الذين  
بدلوا كل ما في وسعهم للظهور في الصورة . بنظرة واحدة عرف المكان  
وتذكر شعارات الحملة الانتخابية المملّقة وذلك التاريخ النحس .

- يا للعجب ! همس الرئيس . - انني اقول دائماً إن الواحد منا  
يشبه في الصور أكثر من الحياة الواقعية . ثم أعاد اليه الصورة مصحوبة  
بشارة تدل على الانتهاء .

« أتذكر ذلك جيداً ، قال الرئيس . - حدث ذلك منذ آلاف السنين  
في ميدان الدهكة . » سان كريستوبال دي لاس كاساس . »

- تلك هي بلدتي ، قال « هومرو » ، مشيراً الى نفسه ضمن  
المجموعة :

- هذا هو أنا .

تعرف عليه الرئيس

- كنت غراً صغيراً !

- تقريباً ، أردف « هومرو » . - كنت مع حضرتك خلال حملة  
الجنوب كفائد للفرق الجامعية .

وصب الرئيس الشاب قائلاً :

- أنا ، في الواقع ، لم أنته البك .

- على العكس ، كان حضرتك لطيفاً معنا ، أضاف « هومرو » ،  
ولكنك كما كثيرين بما يجعل من المستحيل تذكرنا .

- وبعد ذلك ؟

- من يعرف ما جرى أفضل من حضرتك ؟ قال « هومرو » . -  
بعد الانقلاب العسكري ، يبدو أنها محزنة أن نكون نحن الاثنين هـ ،  
جامعين لأكل نصف ثور . ليسوا كثيرين هؤلاء الذين كان لهم مثل  
حظاً .

في هذه اللحظات ، أخذوا لهما صحن الطعام . علق الرئيس  
السيد في عقه كميدعة الأطفال وأدرك صمت المدهور المزعج بالدهشة  
صغقت قائلاً : لو لم أفعل ذلك ، لكنت أفقد ربة في كل وحة طعام .  
وقبل أن يبدأ بالأكل أراد أن يتأكد من نضوج اللحم ، فاستحسنه بالشارة  
رضى وعاد الى الموضوع للقول :

- إن الذي لا أستطيع فهمه هو لماذا لم تقترب مني من قبل ، بدلاً  
من أن تبغني كرجل مخاطرات .

أتلك ، فصّ عليه « هومرو » بأنه كان قد عرفه حين رآه داخل إلى  
المستشفى من باب محصور للحالات الخاصة . كان ذلك في عز

الصفحة. وكان يلبس بدلة كاملة من الكتان الأبيض لحزو «الأنيل» بأمريكا الوسطى. يطلقه ذي اللونين الأسود والأبيض. وزهرة الأكموان في حليته مزدهرة وشعره الجميل المنفوش بفعل الريح. تحقق «هومبرو» من أنه كان وحيداً في «جنيف» دون صاعدة من أحد. وكان يعرف الطلبة من الذاكرة لأنه كان قد أنهى دراسة القانون فيها. وكانت إدلة المستشفى قد كشفت بناء على طلب الرئيس قرراً بالحفاظ على سرية الأمر. وفي تلك الليلة بالذات كان «هومبرو» قد تثق مع زوجته على الاتصال به. ومع ذلك فإنه كان يتجه لخسة أساليب متوالية باحثاً عن الفرصة المناسبة. ولم يكن ربما قادراً على تجنب لولا مواجهة الآخر له.

- سألني أنك فعلت ذلك، قال له الرئيس. - مع أن الوحدة لا ترمي

- ليس هذا عدلاً.

- لماذا؟ سأله الرئيس بصراحة. - الانتصار الأكبر في حياتي هو أنني استطعت أن أجعل الآخرين يتسوتني.

- نحن نذكرك أكثر مما تظن حضرتك. قال «هومبرو» تلك دون أن يخفي تأثره. - أنها لسعادة أن تراك صليماً وقهاً.

فقال الرئيس بلا انفعال: ومع ذلك، فإن كل الدلائل تشير إلى أنني سلوت قريباً جداً. أجابه «هومبرو»

- إن احتمالات خروجك بخير كبيرة جداً.

تقر الرئيس بدمعة دون أن يخفى عن أرميته

- آه. عجباً! هل ألقى في سويسرا الجميلة قانون الكتان الطني؟

أجابه «هومبرو»: لا توجد في أي مستشفى في العالم أسرار لسائق اسعاف.

- ما أعرفه الآن، أعرفه منذ ساعتين فقط من لسان الشخص الوحيد الذي كان عليه أن يعرف.

- على كل حال، حضرتك لن تموت عبثاً، قال «هومبرو»، لأن أحداً ما سيضحك في المكان اللائق كمؤجح للكرامة.

نصيح الرئيس دمة حزبية وقال:

- أشكرك على تخذك لي.

كان يأكل بنفس الطريقة التي يفعل بها الألباء الأخرى: ببطء وبحناية فائقة وفي نفس الوقت كان يظفر إلى عيني «هومبرو» مباشرة، بحيث تكون لدى هذا الأخير انطباع بأنه كان يرى أنكاره. وبعد معاورة طويلة انصبت على ذكريات الحين، انقسم انشامة مأكلة وقال:

- كان قراري هو عدم الانضمام بحشي، إلا أنني أرى الآن أن علي أن التزم الحيلة كما لو كنت في رواية بوليسية لكيلا يثر على جنتي أحد.

قال « هوميرو » مداعماً هو الآخر : لن ينطق ذلك في المستشفى  
ليس هناك أي سر يمكن أن ينوم أكثر من ساعة .

عندما انتهيا من شرب القهوة ، قرأ الرئيس فنيجانه وعاد إليه  
اتقياضه : كانت الرسالة هي ذاتها ، ومع ذلك فإنه لم يتوتر ، دفع الحساب  
نقداً ، غير أنه تأكد من الجمع عدة مرات وعدّ نفوقه باهتمام خاص ومبالغ  
فيه ، وترك بتشيساً ضئيلاً لم يستحق سوى عهدة عامل للمطعم .

- كانت فرصة طيبة ، قالها لـ « هوميرو » عند وداعه إياه . - ليس  
عندي تاريخ محدد لإجراء العملية ، ولم أقدر بعد ما إذا كنت سأضطر  
نفسي لها . ولكن إذا انتهت الأمور بخير ، فانا سلتقي قبل ذلك ؟  
لنراكم في لائرا ، هي طباعة للأغنياء ، ولا أحد يجهز مثلها للرؤ مع  
الجميري ، ويسعدنا أن تكون حضرتك معنا في البيت في إحدى هذه  
الأيام .

- ثمار البحر متنوعة عليّ ، ولكنني سأكلها بسرور ، قال  
الرئيس ، ولكن قل لي متى ؟ أجابه « هوميرو » :

- الخميس هو يوم فراغي . فأردف الرئيس :

- حسناً ، يوم الخميس على الساعة السابعة ليلاً سأكون في  
بيتك ، وستكون فرصة طيبة . فقال « هوميرو » :

- سأمر أنا على حضرتك . « اقائمة فاميس » ١٤ شارع الصناعة .  
خلف المحطة . هل هذا صحيح ؟ أجابه الرئيس :

- صحيح ، ولهض من مكانه أكثر أريحته من أي وقت مضى .  
يدور أنك تعرف حتى رقم الخلاء الذي لكسه . أجاب « هوميرو »  
مسروراً :

- طيباً ، أيها السيد : واحد وأربعون .

لأن الشيء الذي يقصّه « هوميرو » على الرئيس ، في حين أنه كان  
بروبة ولأحرام طويلة لكل من أراد أن يستمتع إليه ، هو أن هدفه الأصلي لم  
يكن تلك البراية . كان كميرو من سائقي الاسعاف قد اتفق مع شركات  
الدقن والتأمين على بيعهم بعض الخدمات المتعلقة بالمستشفى ، وخاصة  
فيما يتعلق بالمرضى الأجانب ذوي الدخول المحددة . وكانت الأرباح التي  
يكسبونها قليلة وكان عليهم أن يتفلسموها مع غيرهم من الموظفين الذين  
لم يأتهم النفارير السرية الخاصة بالمرضى الخطرين . ومع هذا فإن تلك  
التجارة كانت سلوكاً جديداً لرحل غريب دون مستقبل ، لا يعيش إلا  
بالكاد كبح زوجته وابنه بمزج غير السخرة .

كانت امراته « لائلا دافيس » أكثر واقعية . وكانت امرأة سمراء  
من « سان خوان » في « بورتوريكو » . ناعسة وقوية ذات بشرة حمراء إلى  
لون حلاوة السكر المحروق وعينين كمنين كلة نحاعة تلتزم طباعها  
وخلفها . كانا قد تعرفا إلى بعضهما في الخدمات المخبرية للمستشفى ،  
حيث كانت تعمل كمساعدة في أي عمل يحتاجون إليها ، بعد أن كان  
أحد تجار بلدها قد ذهب بها إلى جنيف لتعمل كمرية أطفال ، ولكنه  
تركها لتواجه مصيرها . تزوجا على الطقوس الكاثوليكية على الرغم من

كولها أميرة يورونية ، وكانا يسكنان في شقة مكونة من صالون وغرفتين لل نوم في الطابق الثامن بأحدى النهايات التي يقم فيها مها حرون أمارقة . كانت لديهم طفلة عمرها تسعة أعوام تدعى « باربارا » وطفل بسعة أعوام يدعى « لاثارو » ، الذي كانت تلبس عليه بعض علامات التحلف العقلي كانت « لاثارو » ذكية وذات طبع حادة ، ولكنها كانت طيبة القلب . كانت تعتبر نفسها غير من يمثل برج الثور ، وكانت تصدق بشكل أعمى كل التكهّنات التي تقال عن برجها . وكانت تجلب الي بيتها موارد غير متظمة ، ومهمة في بعض الأحيان ، عندما كانت تهوى العشاء لبعض السيدات الثريات اللاتي يرغبن في الظهور أمام ضيوفهن بمظهر لائق ويحاولن إيهام الصيوف بأن تلك الأكولات الأنيبة الشهية هي من صنع أيديهن ، أما « هوميرو » فكان عجبوا برزاقته ، ولم يكن قادراً على فصل أكثر مما كان يفعل ، وكان « لاثارو » لم تكن تفهم الحياة بدونه لبراعة قلبه وحجبه صلاحه . كانت حياتهما الأولى مرضية . غير أن السوات التالية أكثر قسوة وأحد الأطفال يكبرون . وفي الوقت الذي وصل الرئيس فيه . كانوا قد بدأوا بصرف اللدخولات التي عملوا على توليها مع حلول السنوات الخمس الأخيرة . ولذا فإن « هوميرو » وفي عندما اكتشف وجود الرئيس بين مرضى المستشفى غير النعلن عنهم ، وأفرطوا في الآمال .

في البداية لم يكونوا يعرفون ما الذي سوف يطلبونه منه ولا الحقوق التي ستقاضونها . فكروا في النعطة الأولى في أن يجرأ له غفمات الدفن الكامل ومن ضمنها التحنيط والقتل الى بلعة ، ولكنهم

أدركوا شيئاً قشياً بأن موته لم يكن قريباً كما ظنوا في الرحلة الأولى ولكنهما كانا بعد يوم الشتاء ذاك مصقولين يشكو كهما .

والواقع أن « هوميرو » ماكان قائد فريق جامعية ولا أي شيء من هذا القبيل ، وإن المرة الوحيدة التي شارك فيها في حملة الانتخابات ، كانت في ذلك اليوم الذي حملوا فيه الصورة والتي عشروا عليها بشكّن معجز بعد أن كانت مفقودة داخل الملاهي . غير أن حماسة كان حقيقياً ، وكان أيضاً قد أصر على الفرار من بلده بعد مشاركته في مقاومة الشوارع ضد الانقلاب العسكري ، مع أن السبب الوحيد الذي جعله يستمر في العيش في جليل بعد كل تلك السنوات هو لفرقة الروحي . ولهذا فإن كذبة أقل أو كذبة أكثر لا ينبغي لها أن تكون عائقاً أمام حصوله على أفضل الرئيس .

كانت المفاجأة الأولى بالنسبة لهما عندما علمتا بأن الشقي الشهير يسكن في فندق من الدرجة الرابعة في حي « غروني » الكتب ، ما بين المهاجرين الآسيويين وفرنسيات الليل ، وأن يأكل وحيداً في دور الفقراء ، في الوقت الذي كانت جنيف مليئة بالاقامات الجميلة اللاتفة بسياسيين متكويين . كان « هوميرو » يراه يوماً بعد آخر يكرر نفس نشاطات ذلك اليوم . كان قد صاحبه بنظرته على مسافة كانت أحياناً قصيرة وعالية من الحكمة في تزهاته الليلية بين الأسوار الخزينة ونباتات الجريس الخدلية للمدينة القديمة . كان قد رآه مستغرقاً خلال الساعات الطويلة أمام تماثيل « كالينيو » . كان قد صعد خلفه خطوة خطوة في السلم الحجري ، يكاد يختلج بشذى الباسمين القوي ، لتأمل ساعات الغروب البطيطة في الصيف



من على قبة «بورغ لي فور» . ورآه في إحدى الليالي واقفاً في طابور الطلبة الذين كانوا يوقنون سماع كونست «روبنسون» . «ولا أدري كيف لم يصب بترلة صلبة» . قال «هومبرو» لزوجته بعد ذلك . وفي البيت الماضي «عندما بدأ الطقس يتغير» كان قد رآه وهو يشتري معطفاً غريباً ، يأخذه من جلد السور الاصطناعي ، ليس في الضلالت للضيقة لشارع «دي رون» . حيث يشتري الأمراء اللاجون ، يل في «سوق الفراغيت» .

- إذن ليس بإمكاننا أن نفعل أي شيء . قالت «لاتارا» عندما حكى لها «هومبرو» كل ذلك . - أنه يغفل تلكه ، قد يكون مستعداً لأن يذل في قبر جماعي من طرف الرعاية الاجتماعية . لن نحصل منه على أي شيء . أجابها «هومبرو» :

- ربما هو فقير حقاً ، بعد كل سنوات العطالة هذه . ردت لاتارا . عليه قائلة :

- آه ، أبها الأسود ، أن يكون من مخرج الحوت الصاعد شيء ، وأن يكون عامراً شيء آخر . كل الناس يعرفون بأنه نهب كل ذهب الحكومة وأنه المضي الأكثر لراه في «مارتينكا» . كان «هومبرو» الذي يكره زوجته بشرة أحوام قد نما وكبر وهو معجب بخبر أن الرئيس كان قد أكمل دراسته وهو يشغل عامل بناء . في حين أن «لاتارا» كانت قد تخرجت من فضاء الصحف المعادية ، للضخمة في أحد البيوت المعادية ، حيث كانت تعمل مربية أطفال منذ صغرها . وهكذا فإن «هومبرو» الذي عاد

على وشك الاحتراق من الفرج في تلك الليلة بعد أن دعاه الرئيس لتناول الغداء معه . لم يلبس دعوته إلى مطعم غالى أي رضى في نفسها . وأصابها الانزعاج لأن «هومبرو» لم يطلب منه أي شيء من الأشياء التي كانوا يحملون بها ، بدءاً بمنح للأطفال وانتهاء بوظيفة أفضل لزوجها في المستشفى . وهذا لها بمثابة تأكيد لشكوكها قراره برمي جثته إلى الصقور بدلاً من أن يصرف نفقده على دفن كرم ونقل جثته بالشكل اللائق . غير أن ماضفح بالكيل هو الخبر الذي احتفظ به «هومبرو» حتى النهاية ، خبر دعوة الرئيس إلى بيته لتناول الرز مع الجمهور ليلة الخميس -

صرخت «لاتارا» : هذا الذي كان يتقننا ! أن يموت هنا . مسحوراً بحسري القلب ثم تجد أنفسنا مضطرين على دفعه من مدغشحات الأطفال . خبر أن وفاءها لزوجها جعلها أخيراً ترضخ للأمر الواقع واستسلمت من إحدى جاراتها لثلاثة صحن مصنوعة من الفضة الألمانية مع ملحقاتها ، ووعاء زجاجياً للسلطة ، وطلبت من جارة أخرى الأبريق الكهربائي لعمل القهوة ، ومن لائحة شرفاً مطرزاً للمنضدة وفناجين القهوة . استبدلت الستائر القديمة بأخرى جديدة لم يكونوا يستعملونها إلا في أيام الأعياد ، ورفعت أغطية الأثاث . وقضت ليلتها كاملاً تنظف فيه الأرض وتزيل الغبار ، وتبدل الأشياء من أماكنها حتى استطاعت الحصول على عكس ما كان يناسبها ، وهو إثارة عطف المدهو بفقر الأثاث .

في ليلة الخميس ، وبعد أن تنفست من شدة المجهود الذي بذلته لتنظيف سلال الطوابق الثمانية . . ظهر الرئيس على الباب بمعطفه الجديد وبعته الصفراء التي انتفض عهدها ، ويده وودة واحدة فقط جاء بها

حديثة له لا تارا . دعشت هي لرجولة الراتمة ولسلوكه الأميري ،  
ولكنها بعيداً عن كل ذلك وأنه كما كانت تفتنه : مزيف وجشع . وهذا  
لها قبل حياء ، لأنها كانت قد حكمت سلحتها بعد أن فحنت لوفاء البيت  
للا تنسج منزلها برائحة المعسري ، ومع هذا فإن قول ما فعله عند وصوله  
هو نفسه بحق وكأنه في غيرة فجائية ، ثم صاح بعينين مغمضتين  
وقراعين مفتوحين : « أه ! رائحة بحرنا ! » . وهذا لها أكثر فحشة من أي  
وقت آخر ، لأنه أعيد إليها وردة واحدة فقط ، وكان ، بلا شك ، قد  
سرقها من إحدى المخلات العامة . وهذا لها أيضاً عانياً لنظرة الاحتقار التي  
وجهها لقطع الخمر التي تصور أمجاد وثاقته ، ورايات وأعلام حشته  
الانتخابية التي كان « هوميرو » قد ثبتها على جدار الصالة ، يحلوه لقاء  
قلب كبير . هذا لها فاسي القلب لأنه لم يتوجه ولو بكلمة تحية إلى  
بربارا و « لا تارو » اللذين كانا قد هبنا له مدينة ، ثم أنه خلال ساعة  
العشاء ، أثار إلى شيعي لم يكن يطبقهما وحما : الكلاب والأطفال . لقد  
كرهته . ومع ذلك فإن معنى الضيافة الكاريرية قد فرض نفسه على أي  
اعتبار آخر . كانت قد لبست ووبها الأفريقي الذي أعادت على لipse في  
ليالي الأعياد ، وكلما فلتادها وأساورها الدينية ، ولكنها لم تدل خلال  
العشاء بأية إشارة ولم تطلق كلمة لكلمة زائدة وكانت في منتهى الأدب  
والإلتزام .

والواقع قد لفرز مع المعسري لم يكن من بين أفضل السمكات التي  
نجد طبعها ، ومع ذلك فإنها هيأة باهتمام قائق ومخرج بشكل جيد . ملا  
الرئيس صحتة مرتين ولحظ في الشاء على الطعام ، وأصبحت كثيراً قطع

الموز الشاضج الثقيلة وملطحة الأفوكاتو ، ولحم آته لم يشاركهم حينهم  
اكتفت « لا تارا » قائمة بما صحت عند تناول الخلوى ، حين أثار « هوميرو »  
موضوع وجود الخالق ووجد نفسه في طريق مسدود .

- أجل ، أنا أعتقد بوجود الخالق ، قال الرئيس ، ولكنه مختلف  
كل الاختلاف عن الكائنات البشرية . أنه مشغول بقضايا أهم وأكبر .

- أنا أعتقد بالأبراج فقط ، قالت « لا تارا » ، وتلحصت ردة فعل  
الرئيس ، ما هو يوم ولادة حضرتك ؟

= الخادي عشر من آذار .

- لم يكن ممكناً أن يكون غير ذلك ، قالت بنفسه من التوق  
والشعور بالنعمر وسلك سيرة لطيفة . أليس كثيراً أن يكون الشاء من برج  
الحوت على مائدة واحدة ؟

كان الرحلان مستمرين في حديثهما عن الخالق ، عندما ذهبت  
هي إلى المطبخ لإعداد القهوة . كانت قد وضعت جميع لوازم الطعام  
وكانت ترجو أن تنتهي ليئتها على غير . وعند عودتها إلى الصالون تحمل  
صينية القهوة ، وصلتها حيلة غائبة صدرت عن الرئيس تركها  
مذهولة :

- لا تشك ، يا صديقي العزيز ، بأن أسوأ ما جرى لبلدنا المسكين  
هو أن كنت أنا رئيساً له .

رأى « هومرو » « لاثارا » عند الباب وهي تحمل الضاحين العينة  
وأرسل القهوة المستعمل وطمّن بأنها سوف يخلص عليها . وحذق فيها  
الرمس أيضاً وقال : « لا تنظري إلي هكذا ، ليتها السيدة ، انى أتكلم من  
كل قلبي » .

وبعد ذلك توجه الى « هومرو » منها :

- من حسن الحظ انى ادفع الآن غالياً لمن حمقى .

ضمت « لاثارا » القهوة وأطعمت مصباح المائدة الوسطى الذي لم  
يكن يرحم وكان يقرئ محرقى الحديث وأصبحت العصابة في فيه ظل  
مريح . واعتست لأول مرة بالضيف الذي لم يكن ظرفه ليبدد حزنها .  
وازداد فضولها عندما انتهى هو من شرب قهوه ثم قلب الفنجان لتستقر  
فرباتها . فعن لهم الرمس في المائدة التي تلت العشاء بأنه كان قد  
اختار جزيرة « مارتينيكا » مكاناً لقبه بسبب الصداقة التي تربطه بالشارم  
« أيمي ميسامري » الذي كان قد نشر لونه آنذاك ديوانه « كرتس العودة  
الى البلد الأم » ، والذي وفر له المساعدة لبدء حياة جديدة ، وبقية الميراث  
الذي كانت زوجته قد استغنته ، اقتربا منزلاً مبنياً من الخشب في ثلال  
« فورث دي فرانس » ، وكانت نوافذه مغطاة بالسلك المعدني ، وكان  
يتوفر على شرفة بحرية مليئة بالزهور العريفة ، حيث كان النوم هناك متعة  
كبيرة ما بين جليلة الحداجد والسالم المصلة بخطر حمل قصب السكر  
وعشروب الروم المصنوع من القصب والمطحون في مطاحن خاصة . بقي  
هناك مع زوجته التي كانت تكبره بأربعة عشر عاماً والتي كانت مريضة

منذ ولادتها الوحيدة ، محاصراً بمصيره ذلك ، عضباً لوفات فراغه في  
قراءة الكتب اللاتين الكلاسيكين ، وباللغة اللاتينية ، مقنناً بأن ذلك  
النشاط ، اما هو غائبة حياته . وكان عليه أن يقاوم خلال سنوات  
اقرابات الغامرة التي كان يقترحها عليه اتباعه المبهنون .

- غير أنني لم أهد الى فتح آية رسالة أبداً . قال ، منذ أن  
اكتشفت بأن الرسائل الأند استعجلاً ، لم تكن كذلك حتى بعد اسبوع  
من استلامها ، وحتى كتابها لم يكن يذكرها بعد مرور شهرين من  
كتابها .

نظر الى « لاثارا » من خلال الضوء الساحب عندما أشتعلت  
ميجارة ، فتناولها منها بحركة جشعة من أسبامه . أخذ منها نفساً عميقاً  
واحتفظ بالذخا في بلعومه . أسييت « لاثارا » بالدخلة وتناولت علة  
السجائر والكبريت وهمت بالتمال لخرى ، غير أنه أعاد إليها السجارة  
المشعولة ، قائلاً : « انك تدخنين بأستاذفة كبيرة يصعب عليّ معها مقاومة  
الهماء التدخين » . ثم أخطر على اطلاق الذخا المحتبس في بلعومه ، لأنه  
أخذ يسجل قليلاً .

- تركت التدخين منذ سنوات كثيرة ، إلا أنه لم يتركني بشكل  
كامل ، ثم أضاف : وفي بعض الأحيان استطاع أن يغلبني ، كما هو  
الآن .

هزة السعال مرتين لخرين ، وعاد اليه الألم ، نظر الرمس الى ساحة  
الحمية وتناول قرصى الليل ثم تفحص قمر الفنجان : لم يكن هناك أي

تغير ، غير أنه لم يصب هذه المرة بالفزع .

- بعض أقباطي القدماء صاروا رؤساء بني ، قال الرئيس -

فأجابهم « هوميرو » : « ماهاغو » ثم علق الرئيس :

- « ماهاغو » وآخرون ، كلهم مثلي ، إلتصبتا شرفاً لم يكن  
لستحقه في مهة لم تكن نجدها ، البعض يغلب السلطة فحسب ، لكن  
الغالبية تبحث ما هو دون ذلك : الوظيفة .

فطست « لاثارا » وتوجهت اليه بسؤالها :

- هل تعرف حضرتك ما الذي يقال حك ؟

تدليل « هوميرو » فرعاً :

- أنه كذب .

- كذب وغير كذب ، قال الرئيس يهتو صماوي - عندما يطلق  
الأمر بأحد الرؤساء ، فأن أسوأ أنواع الغاوي يمكن أن تتوفر على التبيين  
في نفس الوقت : الصلح والكلب .

كان قد عاش في « مارتينيكا » كل أيام نفيه ، دون أن يكون له أي  
اتصال بالعالم الخارجي ، سوى الأخبار القليلة التي كان يسمع عليها في  
الصحيفة الرسمية ، مستمراً وموالياً على دروس اللغة الأسبانية واللاتينية  
في إحدى المدارس الرسمية ، إضافة إلى بعض الترجمات التي كان ينجزها  
سواء على طلب « أبيي ليساري » كانت حرارة شهاب لا تطاق وكان

يبقى في الأوجوحة حتى منتصف النهار على ايقاع المروحة ذات الريش  
الموجودة في غرفة النوم . وكانت زوجته تشمل نفسها بالاحتواء  
بالظهور التي كانت ترعاها وهي طليقة ، حتى في ساعات الحرارة  
العالية ، محمية من الشمس بواسطة قبة عريضة من القش وزينة  
بالماء اصطفاية ووهور قطنة . وعندما كانت درجة الحرارة تأخذ  
بالهبوط ، كانت الأجساد تنتهي السائم العطلة في الشرفة ، وهكذا  
قد كان الزوج يحدق بالبحر حتى تهبط عليه المظلمات ويبتلع ،  
وأما هي فاتها كانت تلعب في كرسياها الهزاز المصنوع من عود  
الصنم ، ولعبتها الشروبة وغوالها الاصطناعية في جميع الأصابع ،  
ترقب مرور السفن العالية . « هذه تذهب إلى بورتوسانتو » ، كانت  
تقول ، « وهذه لا تكاد تستطيع الأبحار بسبب حملها من عيني  
بورتوسانتو » .

وجميع السفن للآرة كانت ليلو لها بأنها ذاهبة إلى بلدنا . وكان  
هو يمنحها الأذن الطراء ، مع أنها في النهاية استطاعت أن تسمى أفضل  
منه ، لأنها قتلت الشاكسة ، وعلى تلك الشاكسة ، كما يجلسان حتى  
ساعات الفجر اللدوية ، حيث كانا يدخلان إلى البيت منهكين ، تنمي  
السيفان . وفي شهر آب لاحدى السنوات ، وبينما كان يتصفح الجريدة  
في الشرفة ، قفز الرئيس مندهشاً :

- يا للمحب ! لقد مت في « استوريل » ! فرعت الزوجة من الخيرة ،  
ورغم أنها كانت تحلق في منبها ، كان الحبر عبارة عن ستة أسطر في  
الصفحة الخامسة من الجريدة التي كانت تطبع على بمد محمولين من داره .

والتي كانت تنشر له بعض الترجمات بين الحين والحين ، وكان مديرها يزوره بين فترة وأخرى . ومع ذلك قلنا تقول في غيرها المشهور بأن الرئيس قد توفي في « لسوريل » في « لفسونة » ، منتج وحماية أوروبا الآيلة الى الانحطاط ، والواقع انه لم يكن هناك مطلقاً ، وربما هو المكان الوحيد في العالم الذي لا يرغب أن يموت فيه . ماتت زوجته بالفعل بعد علم واحد معدلة من الذكرى الوحيدة التي كانت تذكرها في أيامها الأخيرة : ذكرى ولدها الوحيد الذي كان قد شارك في طلع والده ، والذي قتل فيما بعد من طرف زملائه .

خسر الرئيس وقال : « هكذا نحن ، وليس هناك أي شيء يمكن أن نحررنا » . « فكرة حبلى بثلاث الكون أجمع بدون لحظة حب : أولاد من لمار الخطف والاعتصاب وتعامل السوء والخداع والعداوة » . وواجه عيني « لاثارا » الأفرينيين اللتين كانتا تنفحاه بلا رحمة وحاول أن يهدأهما بحسنة الأمتان المحررب .

- إن كلمة عجيب تعني غلط الدموع مع الدماء الجارية . ما الذي يمكن أن يتطره أحدنا من مشروب كرهه كهذا ؟

حدثت فيه « لاثارا » بصمت تتبل كصمت الأموات . غير أنها لما كنت نفسها قبل منتصف الليل بقليل وودعه بقليل وصمته . ورفض الرئيس فكرة أن يصاحبه « هوميرو » الى الفندق ، ولكنه لم يستطع منعه من مساعدته في الحصول على سيارة تكسي . وعند حودته الى المنزل ، وجد « هوميرو » امراته منهارة من الغضب . وقالت له :

- انه الرئيس الأول انطراحاً في كل العالم ، انه ابن عاهرة حقيقي

وعلى الرغم من محاولات « هوميرو » لهدئتها ، فانها قضت ليلة مروعة كانت « لاثارا » تحترف بأنه من اكثر الرجال الذين شاهدتهم حسناً . ذو قدرة ساحقة على جذب النساء وذو رجولة مميزة . انه على طبيعته ولعله لأبد أن يكون مثل عمر في السرير ، قالت « لاثارا » ، مع أنها كانت تعتقد بأن الرئيس كان قد بلغ موافقه التي منحها إياه الخلق في امور متصنة . ولم تكن تتحمل تعجباته مدعياً بأنه كان أسوأ رئيسي لبلدها . ولا دعوياه الزاهدة ، لأنها كانت تعلم بأنه كان يملك نصف ألفة « ماريكا » . ولا ثقافة يدعو استقاره للسلطة ، لأنها كانت تدرك بجلده بأنه مستعد لدفع كل ما يملك في دنياه لكي يمرد الى الرئاسة ولو لتبيلة واحدة ليحمل أعدائه يلحقون التزلب .

- وكل هذا ، أضافت « لاثارا » ، لكي الخضع له وتكون عند قدمي . وعلق « هوميرو » على كلامها قائلاً :

- وما الذي يمكن أن يكسبه من هذا ؟

- لا شيء ، قالت « لاثارا » ، غير أن التبحر مرض لا علاج له . كان غضبها شديداً الى الحد الذي لم يستطع « هوميرو » تحملها في تلك الليلة في السرير ، فذهب لقضاء باقي ليلته على كنة الصالون ملففاً بدثار . نهضت « لاثارا » أيضاً في ساعات الفجر الاولى عاربة من كل شيء ، تماماً كما اعتادت أن تنام يوماً وكلنا عند تواجدها داخل البيت ، ولعلدت تحدثت نفسها في حوار ذاتي . وخلال لحظات معدودة

أزالت من ذاكرة الإنسانية كلَّ أثر للملك المشاء غير المرغوب فيه ، فأعادت عند ظهور الجيوط الأولى للنهار الألباء المستعارة ، واستبدلت الشائر الجديدة بالقديمة وأعدت قطع الأثاث إلى أماكنها ، حتى عادت البدار إلى حالتها قبل الهلة الماضية بفقرها وبسائها . وأخيراً أزيلت قصاصات الجرائد والصور والرايات والأعلام الخاصة بالحملة الانتحائية البهيمية ، ووصت بها إلى صندوق القمامة ، صارعة :

- إلى المحيم !

وبعد مرور اسبوع على ذلك المشاء ، وجد « هومبرو » الرئيس في انتظاره عند باب المستشفى ، مترجياً إياه أن يصاحبه حتى الفندق سعداً بالطريق المالية الثلاثة ، حتى وصلا إلى لسيحة لم تكن بها إلا خيمة واحدة لدخول النور ، وكانت مفتوحة على سماء ومادئة ، وكان هناك حبل لحبل تشتت عليه بعض الملابس لتجلف ، وكان هناك سرير كبير مملأ نصف المساحة وكروسي بسيط وأبريق وحوض متنقل للقبيل وقولاب ملابس ذو مرآة مضيئة . أحسَّ الرئيس بشعور « هومبرو » فقال له :

- أته تقى المحمر الذي قضيت فيه سنوات دراستي . قال ذلك وكأنه يحلو من « هومبرو » . - لقد حججته من « غروت دي غرائس » .

أخرج كيوماً مخملاً وسحب منه ما تبقى له من ثروة وفرشها على السرير : بعض الأساور الذهبية المرصعة بأحجار مختلفة ، قلادة من النؤلر بثلاث دورات وقلادتان من الذهب والأحجار الكريمة الأخرى ، وثلاث

سلاسل ذهبية بها ميداليات ذهبية وقرطان من الذهب المرصع بالزمرّد وقرط آخر مزين بالماس وآخر بالياقوت ، ووهجات لحفظ الذهبات الذهبية ومشبكات للفضة وأحد عشر خاتماً ملصقة بأحجار متنوعة ، وطوق للشر مزين بأحجار براقّة ربما كان في زمانه لأحدى الملكات ، وبعدها أخرج من علبة أخرى ثلاثة أزواج فضية من أزورلر القمصان وزوجين ذهبيتين مع مشابكها الخاصة بالأربطة ، وساعة جيبية مطلية بالذهب الأبيض . وأخيراً أخرج من إحدى علّب الأحذية لوصيته الستة : ثنان ذهبيان وواحد فضي والباقي من المعادن العادية.

- هنا هو كلّ ما تبقى لي في الحياة ، قال لـ « هومبرو »

لم يكن عنده أيّ اختيار آخر سوى بيع أملاكه لإكمال المصاريف الطبية ، وكان جعناً أن يقوم « هومبرو » بمساعدته على بيعها وكتمان الأمر تماماً . في حين أنّ « هومبرو » لم يكن يظنّ بأنه قادر على مساعدته مالمّ يأنه الرئيس بقواكم للشراء .

فرح له الرئيس بأنّ تلك الألباء كانت من نفائس روجه الموروثة من جدّه ذات أصل استعماري والتي كانت قد ورثته بدورها لا متلاكها مجموعة من الأسهم في مناجم الذهب بـ « كولومبيا » بينما كانت الساعة وأزورلر القمصان ومشابك الأربطة تعود إليه هو . أما الأوصية فانها ، بالطبع ، لم تكن من قبل لأحد آخر غيره .

- لا أعتقد أنّ أحداً يمكن أن تكون عنده وصولات بأسماء كهذه ، قال الرئيس لـ « هومبرو » . في حين أنّ هذا الأخير لم يترحّج عن مرقفه

فكر الرئيس لم قال : - في هذه الحالة ليس لي سوى مراجعة الواقع . أخذ  
بجمع الفئاس بهدوء محسوب ، وقال : « أرجوك أن تملرني ، أيها  
المزيو » هومرو ، « غير أنني أود أن أؤكد لك بأنه ليس هناك فقر أسوأ من  
فقر رئيس فقير ، وحتى التمسك بالحياة يبدو عاراً » . في هذه اللحظة رآه  
« هومرو » بقلبه وتغلى له عن فروطه .

وفي تلك الليلة ، عادت « لاثارا » إلى البيت متأخرة ، وشاهدت  
من عند الباب تلك الفئاس تلمع تحت برين لور الصالون الزينقي ، وكان  
رد فعلها كما لو أنها شاهدت عقرباً في سريرها ، وقالت لزوجها لوعة :

- لا تكن فظاً ، أيها الأسود ، لماذا جئت بهذه الأشياء إلى هنا ؟

أفلتتها اجابة « هومرو » أكثر وجلست تمنحن الجواهر واحدة  
واحدة ، بدقة كدقة الصائغ . وفي إحدى اللحظات تحسرت وقالت :

« لأبد أنها لروة » .

وأخيراً بقيت تنظر إلى « هومرو » دون أن تجد مخرجاً لورطه .

- يا للعجب ! كيف يمكن للراحد ان يعرف إن كان كل ما يقوله  
هذا الرجل هو صحيح ؟

- ولم لا ، قال « هومرو » ، انني رأيت منذ قليل بأنه تقسه بفعل  
ملايه ويجعلها في غرفه جعلتها في سلك كما نفعل نحن .

- لئله ، أجايله « لاثارا » .

- لو ريساً لفقره . قال « هومرو » .

عادت « لاثارا » إلى تمحص الفئاس ، ولكن بدقة أقل هذه المرة لأنها اقتنت  
في الأخرى أيضاً . وهكذا بقي صباح اليوم التالي ليست أفضل ملايهها  
وترتبت بالمجهرات التي كانت تبدو لها أكثر غلاء . وضعت في أحاسنها  
كل الخوازم التي كان بإمكانها أن تضعها وحتى في إيهامها . وهكذا شال  
الأسود في فواحها ، ولعبت ليها ، قالت عند خروجها فتباية ومبشرة :

- لينز من ينجراً على طلب وصولات من « لاثارا داييس »

اختارت دكان المجهرات المناسب الذي عرف بالخلاء أكثر من  
جودة السمعة .

وكانت متيقنة بأنهم هناك كانوا يبحون ويشترون دون طرح الكثير من  
الأسئلة . وفعلت مرتعة ولكن بخطوات ثابتة

استقبلها أحد البائعين بالحنانة مسرحة . وكان يلبس لباس الحفلات .  
وكان ضميئاً وشاحياً ، مقبل يلما وهب لمساعدتها . كان داخل المحل أكثر  
إتارة من وضع النهار بسبب المرها والأضواء القوية ، وكان الدكان كله يبدو  
وكأنه من اللؤلؤ . ولم تنظر « لاثارا » إلا بالكاد إلى الموظف ، خوفاً من أن  
تكتشف المهزلة . فاستمرت حتى آخر المحل .

دعاما الموظف إلى الجلوس عند أحد المكاتب الثلاث الموجودة من  
نوع « لويس الخامس عشر » ، والتي كانوا يستعملونها بمثابة طاولات فردية ،

ونشر عليه مشعلاً نظيفاً، ثم جلس مقابل «لائرا» وتنتظر.

- ما هي المساعدة التي يمكنك أن تقدمها لك؟

حلمت هي الخواتم والأساور والأقراط وكل ما كان ظاهراً للعين، وأجلت نضمامها فوق المكتب في نظام وكأنها تضع تطريح

- كل ما أريد أن أعرفه هو ثمنها الحقيقي، قالت له «لائرا».

رتب الجوهري حلت على حية البري وبدأ بفحص المجوهرات بصمت طوي. وبعد وقت ليس بالقيل، ودون أن يترك اختياره للفائز سال

- من أين حضرتك؟

- أنه يا سيدي - تحشرت - من مكان بعيد جداً

- أتصور ذلك، قال هو.

عاد إلى صمته، بينما كانت «لائرا» تنفضه بلا رحمة بهيبتها اللهيبي المرعبي

حس الجوهري طرق الشر المرشح بالناس باعتناء استثنائي وعزله من باقي المجوهرات

تهدأت «لائرا» وفاتت.

- لا شك أن حضرتك من برج العذراء

لم يترك الجوهري فحصة للفائز، ولكنه توجه إليها بسؤاله :

- كيف تعرفين ذلك؟

- من خلال التصرف والسلوك، قالت «لائرا».

لم يصدر منه أي تعليق حتى انتهى من عمله. حينذاك توجه إليها بنفس رزائه الأولى قائلًا :

- من أين حث بكل هذا؟

- أنه ميراث جدتي، قالت «لائرا» بصوت حاد، توفيت في السنة الماضية في «باراماريو» عن عمر سبعة وتسعين عاماً.

نظر الجوهري حينذاك إلى عينيها وقال لها :

- اتني أصف جداً، إن القيمة الوحيدة لهذه الأشياء هو ما تزره الأشياء للهيبة.

أخذ الجوهري الطوق بأطراف أصابعه وحمله بتمعن تحت الضوء الساطع، وقال :

- هذا هذا، إنه قديم جداً. قد يكون مصرياً ولولا سوء حالة الأحجار الكريمة التي توضع لك من الصعب تقييم له. ولكن مع ذلك فإن فيه قيمة تأريخية معينة.

في حين أحجار الجواهر الأخرى كالتاقتوت الجعري والرمود



والباقيات والأوبال ، كلها بلا استثناء كانت زائفة . لا تملك أن الأصلية كانت جيدة ، قال الجمهوري ، ينسا كان يجمع الأنبياء لاستعادتها إليها .  
و غير أن تضالها من يد إلى أخرى ، جبلاً بعد جبل ، أدى إلى فقدان الأحجار الأصلية التي استبدلت بتقواعد القاضي الزجاجية . ففحرت لا تارا بتبيان حاد وفتهدت بعض وتسلط عليها الفزع ، غير أن الجمهوري قال لها ببرة تعزية :

- يحدث هذا باستمرار ، يا سيدة .

- إنني أعلم ذلك ، قالت لا تارا ، بلزناح . لهذا أريد أن أحرر منها .

فحرت حينذاك بأنها أصبحت خارج إطار المهزلة وعادت إلى طبعها الحقيقية . وبدون لف أو دوران أخرجت من حقيبتها زوارا القصصان والساعة الحبيبة ومشبك الأرضية وكوسمة الذهب والفضة وباتني الحاجات الشخصية للرئيس ووضعت كل ذلك على المكتب .

- وهذا أيضاً ؟ قال الجمهوري .

- كل هذا . أجاخه لا تارا .

كانت الفرتكات السوسرية جديدة إلى الحد الذي جعلتها تخاف من أن تنطلي أصابعها بحبرها الرطب . استنمها دون أن تمنعها ، وودعها الجمهوري عند الباب بنفس مراسم الاستقبال . وقبل خروجها بلحظة عندما كان الجمهوري يمسك بالباب الزجاجي لسميح لها بالمرور ، قال لها :

- القسيه الأخير الذي تود أن أقوله لك ، يا سيدة ، هو أنني من برج الدول .

في أول الليل أخذ « هومرو » و « لا تارا » النقود إلى القنصل . وبعد أن حمل الرئيس حباته ، وجد أنه ما زالت تنقصه بعض النقود ، ولذا فإنه أخذ يخلع الأنبياء اللينة التي كان يحملها ويضعها على السرير كخاتم الزواج والساعة ذات السلسلة وزوج من الأزرار ومشبك الرباط التي كان يستعملها هو .

أعادت « لا تارا » له الحاتم ، قائلة :

- هذا لا ، ذكرى كهله لا يمكن أن يباع .

قبل الرئيس ملاحظتها تلك وأعاد الحاتم إلى أصبعه . وأعادت إليه أيضاً ساعته الحبيبة ومع أن الرئيس لم يكن متفقاً معها في ذلك ، فإنها أعادتها إلى محلها في السرة .

- كيف يمكن لأحد أن يبيع ساعات في سويسرا ؟

- لقد بنا واحدة . أحبابها الرئيس .

- أجل ، بسبب الذهب لا بسبب الساعة .

هذه الساعة أيضاً من ذهب ، قال الرئيس .

- نعم ، أضاف لا تارا ، ولكن حضرتك يمكن أن تبقى بدون إجراء العملية اللازمة ، ولكن لن يبقى دون معرفة الوقت .

ورفضت أيضاً الأطوار الذهبي للظنارات ، على الرغم من أنه كان يمتلك آتوم من الباعة . وزن الأنباء بيده ووضع حداً لشكوكه قديماً :

- ومع ذلك فانا بيع هذه الأنباء منحصل على ما يكفي .

وقبل أن تخرج « لا تارا » من بيته ، تناولت الفيل المشور الرطب دون أن تمشيه في ذلك ، وحمله الى بيته لتجفيفه وكيه . غادرا على البزاجة السارية التي كان يهودها « هوميو » ، بينما كانت « لا تارا » راحة خلفه ، لمسك به من عصوه . كانت أنوار للشوارع العمومية قد أضطت لتوها في ذلك المساء اللقيحي ، وكانت الريح قد أزلت الأوراق الأخيرة . أما الأشجار فانها كانت تبدو وكأنها آحافير منتوفة . وكان أحد الجوارات هابطاً من « زودانو » وكان صوت الراديو المنبعث منه عالياً جداً ، حيث كان « جورج برانسي » يفتي :

يا حبيبي ، أمسك المتعود جيداً ، لأن الزمن سيهر من هناك .

والزمن وحش من صنف « أتبلا » الذي إذا مرّ حصاه بأرض ، زال منها كل أثر للحب .

« هوميو » و « لا تارا » كانا في طريقهما نسويين بكلمات الأغنية وفيلدى زهور الزعفران الجميل . وبعد دقائق بدت « لا تارا » وكأنها استغلت من حلم طويل وقالت :

- التلعة !

- ماذا ؟

- المجول المسكين ، ما أتمس حياته !

في يوم الجمعة التالي ، السابع من أكتوبر ( تشرين أول ) ، أجريت للرئيس عملية دامت خمس ساعات ، تركت الأمور غامضة كما كانت ولو مؤقتاً . والحق أن العزاء الوحيد هو أنه كان حياً . وبعد مرور عشرة أيام نقلوه الى غرفة مشتركة مع مرضى آخرين وتمكنوا من زيارته . كان شخصاً آخر :

مبلياً ولصاحباً ، بشر عظيم كان يتساقط بمجرد ملامسته للوصادة . ولم يبق له من عفته السابقة سوى سلامة حركات يديه . كانت محاولاته الأولى للشمس بمساعدة عكالين طبيين تكسر لقلبه . كانت « لا تارا » ليست جند لتوفر عليه أجرة عمرة ليلية . وقضى أحد المرضى الموجودين معه في الغرفة ليلته الأولى بصرخ غزواً من الموت ، واستغدت سهرات الليالي الطويلة أكر ما تبقى له « لا تارا » من صبر وكتمان .

وبعد مرور أربعة أشهر على وصوله الى « جنيف » أخرجوه من المستشفى . دفع « هوميو » الذي كان قد تحول الى مدير حسابات للرئيس ولرأس ماله الفقير ، دفع حساب المستشفى ، وأخذ في إسماعه بمساعدة موظفين آخرين ، أمانوه على الصمود به الى الطابق الثامن . استقر هناك في غرفة الأطفال الذين لم يعترف بهم مطلقاً . وفيه نفسياً أحد يهود اليه وعيه . اجتهد في تنفيذ تمارين إعادة التأهيل بنظام عسكري ، وعاد الى

المضي بمساعدة حكاو واحد . ولكنه حتى عندما كان يلبس أفضل ملبسه . فإن لم يكن يلبس كثيراً ما كان من قبل ، لا في مظهره ولا في طابعه . ونتيجة لحروفه من اللسان القاسي الذي كان على الأبواب والذي أعتبر فيما بعد أسوأ شئ مرت به البلاد خلال قرن من الزمان ، فإنه قرر الرحيل ، خلافاً لنصائح الأطباء الذين أوردوا مراقبته لفترة أخرى ، في سفينة كانت متفادراً « مرسيليا » في الثالث عشر من شهر ديسمبر (كانون أول) .

وفي اللحظات الأخيرة اكتشفوا بأن عقوده لم تكن تكفي ، فأرادت « لاآرا » تكملتها غيبة دون علم زوجها بأخذ حصة من مخزونات الأطفال ، ولكنها لم تجد هناك أيضاً إلا الشيء اليسير . حينذاك اعترف لها « هومرو » بأنه كان قد أخذ حصة من تلك النقود كحكمة مصاريف المستشفى .

- لاهأس ، قالت « لاآرا » بنبرة تنم عن الصبر ، لعل إنه ابتها الكبير ، في الحادي عشر من ديسمبر (كانون أول) ركبوه في قطار « مرسيليا » تحت حراسة من النج ، ولم يكتشفوا رسالة الوداع إلا بعد عودتهم إلى البيت . كان قد تركها فوق مضطدة الأطفال الصغيرة ، وهناك أيضاً كان قد ترك عاتق زوجته للصغيرة « باربارا » ومعه عاتق زوجته المصونة الذي لم يفكر في بيعه مطلقاً . وترك أيضاً صاحبه ذات السلسلة لـ « لاآرا » وبما أنه كان يوم أحد ، فإن بعض الجيران من أصل كارمبي من الذين اكتشفوا السر ، كانوا قد حضروا إلى محطة « كورنا ين » مع فرقة من عازلي الجنتك من مدينة « فيراكروث » . كان الرئيس غامد

الهيئة يرتدي معطلة دون اعتناء وفي حقه لفاف ملون طويل كان من قبل لـ « لاآرا » . ومع ذلك فإنه استمر في مقدمة العربة الأخيرة من القطار يحيى مودعه بفتح تحت ضربات العاصفة . أخذ القطار يتحرك عندما تذكر هومرو ، بأن عكاو الرئيس كان عنده . جرى حتى طرف الرصيف ورمى به بقوة لكي يلتقطه الرئيس في الهواء ، غير أنه سقط تحت عجلات القطار وتحطم . وكانت لحظات مرعبة ، وإن أنكر شيء شاعلته « لاآرا » ، كانت يد الرئيس المرتجفة الممدودة لتناول العكاو الذي لم تلتقطه أبداً ، ورأت أيضاً حارس القطار الذي استطاع أن يمسك بلفاف العجوز المنطى بالثلع لانفلاذ من السقوط في الفراغ . جرت « لاآرا » مرتبة للقاء زوجها ، محاولة الانقسام لاختفاء آثار الدموع .

- يا إلهي ، صرخت « لاآرا » ، هذا الرجل لن يموت أبداً .

وصل سالماً حسباً ذكر في برقية السكر الطويلة . ولم يصل منه أي خبر بعد مرور عام من ذلك . وبهذا وصلت منه رسالة من ست صفحات مكتوبة باليد ، كان من المستحيل التعرف عليه من خلالها . كان الأكم قد عاوده ، حاداً ومخافاً على مواعيدته كسابق . ومع هذا فإن الرئيس كان قد قرّر عدم الاعتناء بذلك واليهى كيفما اتفق . كان الشاعر « إيمي ليساري » قد أعداه عكاواً مرسماً بالصدف ، غير أنه قرّر عدم استعماله . وكان منذ ستة أشهر يأكل اللحوم بانتظام وكذا كل أصناف البحرينات ، وكان قادراً على تناول عشرين فنجاناً من القهوة المركزة . غير أنه لم يعد يقرأ قمر الفصحان لأن التفكهات كانت تأتي مكتوبة .

وفي يوم عيد ميلاده الخامس والسبعين ، كان قد ضرب عدة كزوس من مشروب الروم اللذيذ لـ « ماريتيكا » ، شر معها براحه كبيرة وعاد إلى التسعين . لم يكن يشعر ، بالطبع ، بأي تحسن ولا بأي ترويح . وكان سبب الرسالة المليفي على ما يبدو هو احبارهم بمشاعر الاغراء التي كانت تنتابه للعودة إلى بلده لتولي مسؤولية حركة جديدة من أجل قضية عادلة ووطن كريم ، حتى وإن لم يحصل من وراء ذلك إلا على محد مسكين . وهو الأعمى من المجر على فراشه ، وفي هذا المص كان قد ختم وصاته قائلاً إن سفرته إلى جنيف كانت محرومة بالراحة الربانية

يوليو (حزيران) ١٩٧٩

١ - ملاحظة المترجم : أنيلا ( Anila ) منكت الهون ( ١٣٢ - ١٥٣ )  
 انخر في الحكم ١٣٤ وغزا الامبراطورية البيزنطية ١٤١ . هاجم غالبا  
 فكريه أنيوس في الحقل الكائناتونية ١٥١ . اجتاح مدن ايطاليا دون  
 أن يمس روما ١٥٢ . انخرض لبراطوريه بعد وفاته . وكان هناك  
 اعتقاد مفاده ان حصان أنيلا اذا مر بمكان ، فإنه لن يبيت فيه الروح بعد  
 ذلك .

## القديمة

بعد اثنين وعشرين عاماً رأيت « ماغريجو دوارتي » من جديد . ظهر  
 لحة في أحد الأزقة السرية لـ « تراسيري » ، وقد وجدت عباء في  
 الحرف . عليه هذه النظرة الاولى لرؤية لغته الاسبانية ولظهوره الذي بنا  
 وكأه وروائي قديم . كان شعره أبيض وخفيفاً ولم يبق فيه أثر من ملوكة  
 الحزن وملابسه الجاثية وكأنها ملابس محام من جبال الأند ، والتي حاء  
 بها إلى روما للمرة الاولى . غير ان مجرى الحديث أخذ يبتعد شيئاً فشيئاً  
 من غدير السنوات ، وعدت أراه كما كان في السابق : صامت ومقاجم  
 ومواظب كمواظبة الحجار . قبل تناول فجان القهوة الثاني ، لمي أخذ  
 باراك التي كنا نرتادها في أوقات ماضية ، تحركت على الترجه اليه يسؤال  
 كان يأكلني من الداخل :

- ما الذي جرى للقديمة ؟

- أتيا هناك ، أجايني ، تنتظر .

نقط أنا ومضى الاوبرا « رفايل ويرو صلفا » كان بإمكاننا أن  
 نفهم النقل الانساني المربع لاحابه .

كما نعرف مأساته إلى الحد الذي جعلني أفكر خلال سنوات بأن «  
مارغريت دولري» شخصية بحث عن مؤلف . من تلك الشخصيات التي  
تبقي نحن الروائيين في إنتظارها طيلة حياتنا . وإذا لم أسمع له بالمشور  
عليّ كمؤلف ، فإن ذلك يعود إلى أنّ نهاية قصته كانت تبدو لي مما  
يصعب تصوّره .

كان قد وصل إلى «روما» في ذلك الربيع للشرق ، عندما كان  
يو الثاني عشر . يعني من أزمة الفوات التي حجز عن ثقاتها الأطباء  
والسحرة رغم استعمالهم لجميع الفنون الحرة والشريرة التي كانوا  
يجعلونها . كان قد خرج ولأول مرة من غرته ذات الانحدارات الشديدة  
في «توليسا» بهيال «الألد» الكولومبية ، وكان هذا بادياً عليه حتى في  
طريقة تزمه . حضر في صباح أحد الأيام إلى دارتنا القنصلية مصحوباً  
بحقبة مصنوعة من خشب الصنوبر البراق ، وكانت تدور وكأنها حلقة  
كمان جهيد ، وفسر للفنصل السب القريب فبهه . اتصل الفنصل هاتلياً  
بمبنى الأوبرا «رفاليل ريسو سلفا» ، ابن بلده ، لكي يحجز له غرفة في  
القرنل الذي كنا نلكن فيه نحن الاثنان . وهكذا تعرّفت عليه .

لم يكن «مارغريت دولري» قد تجاوز المدرسة الابتدائية ، فمر أنّ  
حبّه للفنون الجميلة ، كان قد ساعده على تكوين أفضل وأتمل بسبب  
قرائنه الشرحة لكلّ ما كان يقع بين يديه من مطبوعات . وفي الساعة  
عشرة من عصره ، عندما كان يعمل كاتباً في البلدية ، تزوج بفنأة جميلة  
تولدت بعدها بقليل بعد ولادة ابنتها الأولى . وكانت هذه أجل من أمها ،  
وتولدت هي الأخرى بسبب حتى المدينة عندما كانت في السابعة من

عمرها . غير أنّ القصة الحقيقية لـ «مارغريت دولري» كانت قد بدأت  
قبل مجيئه إلى روما بسنة أقصر عندما اضطروا على تحويل مقبرة القرية  
بسبب بناء صدّ وككل مكان المنطقة المخرج «مارغريت» عظام موته  
لنقلها إلى المقبرة الجديدة . كانت الزوجة قد تحوّلت إلى تراب . وفي القبر  
الحاذي ، كانت الطفلة على العكس ، إذ لم تتغير جسدياً أبداً بعد أحد عشر  
عاماً من وفاتها . إلى درجة أنه لم يشدّ الورود الضفرة التي دفنت معها  
عندما فخرها غطاء تابوتها . والشئ المدهش حقاً في كل ذلك كان اتعدام  
ورث الحقة .

انسلّات حينها القرية بمئات الفضوليين الذين جذبتهم ضجة غير  
المعجزة . لم يكن هناك أيّ شك في أنّ عدم تمسّخ الحقة أصاً هو علامة ،  
لا تقبل الجدل ، على القسامة . وحتى أسفّل الأبرشية كان متفقاً على أنّ  
معجزة كهذه ، لا بدّ من اعضاعها إلى حكم «الفاتيكان» . ولعلها غائتهم  
وصلوا على جمع تبرعات عمومية لكي يتسكن «مارغريت دولري» من  
النسر إلى روما ، ليصارح من أجل قضية ليست فضيحة فحسب ولا قضية  
تخصّ حدود القرية الضيقة ، وأنما هو أمر يتعلق بالوطن كلّ .

وبنصا كان «مارغريت دولري» يقصّ علينا حكاياته في النزل  
الكائن بحيّ «باريولي» الوديع ، فتح نقل الصندوق المحكم ورفع العطاء ،  
وهكذا أعلننا أنا ومضني الأوبرا «رييسو سلفا» على المعجزة . لم تكن  
مثل الموميات اللذابات الموجودة في الكثير من متاحف المعالم ، بل طفلة  
تلبس لباس عروس وكأنها كانت غارقة في نومها بعد إقامة طويلة تحت  
الأرض . كانت بشرتها ملساء ودافئة وكانت عيناها مفتوحتين وصاليتين

وكانتا توحسان بانطباع يصعب تحمله وكأنها تنظر اليها من خلال الموت . ولم يفلح قماش الساتان وأزهار البرتقال الاصطناعية لتفاج مرور السوات، لذا فأنها لم تكن تتمتع بمثل صحة بشرة الطفلة . غير أن الأوراد التي وضعت في يديها ، كانت ما تزال حية ونضرة . ولم ينقص وزن العملية المصنوعة من خشب الصنوبر ، فعلاً ، عندما أخرجها الحقة منه . بدأ « مارغريته » دورتي « اجراماته » في اليوم التالي لوصوله ، وتلقى في البداية مساعدة دبلوحاسية كانت تضاعفة أكثر منها فعالة . ولما بعد أخذ يستعمل كل الجهد التي كانت تطرق على ياله لتجاوز العقبات الكثيرة التي كان « الفاتيكان » ينعما في طريقه . وكان شديد الكتمان بشأن مراجعته . ولكن الآخرين كانوا يعلمون بأنها كانت كثيرة وعذبة الفائدة . كان يتصل بكافة الجمعيات الدينية والمنظمات الانسانية التي كان يجدها في طريقه . حيث كانوا يستمعون اليه باهتمام ولكن بدون دهشة ، وكانوا يعدونه بعمل اجرامات سريعة لم تكن محقق مطلقاً . والواقع أن الوقت لم يكن مناسباً لأن جميع ما كان يتعلق بالسدة البابوية ، كان يتم لرجاؤه حتى يتجاوز « البابا » أزمة الفواق التي لم تستص على وسائل الأطباء الاكلينيين لحسب ، بل كذلك على كل أنواع العلاجات السحرية التي كانوا يحرثون بها من أرجاء العالم أجمع .

وأخيراً ، وفي شهر يوليو ( تموز ) تعافى « بيو الثاني عشر » ، وذهب في إجازته الصيفية إلى « كاستيلفانولمو » . وأخذ « مارغريته » تقديمية إلى الجلسة الأسبوعية الأولى متأملاً عرضها عليهم . ظهر « البابا » في الفناء الداخلي ، في غرفة منخفضة إلى الحد الذي تمكن فيه

« مارغريته » من رؤية أظفاره المنقبة جيداً وشم نفسه الذي كان ينفوح بعطر الخزامى . ولم ينحس « البابا » بين السياح القادمين من العالم كله ، كما كان يتوقع « مارغريته » ، وإنما ألقى خطابه في ست لغات ولهجات بالسيح العام .

وبعد أرجاء الأمر مرات عديدة ، قرؤ « مارغريته » مواجهة الأمر بنفسه ، ورفع إلى سكرتارية المولة رسالة مكتوبة بخط اليد من صتين ورقة تقريباً ، ولكنه لم يحصل من وراء ذلك عنى أية اجابة . ولكنه كان يتوقع ذلك ، لأن الموظف الذي استلمها بصورة رسمية حانقه لم يكتب نفسه حتى بالقاء نظرة رسمية على الطفلة الميتة ، كما أن الموظفين الذين كانوا يمررون بقربيها ، كانوا يظرون اليها دون أي اهتمام . وروى له أحدهم بأنهم كانوا قد استلموا في السنة السابقة أكثر من ثمانمائة رسالة يطالبون فيها أصحابها تقديم جثث لم تتفصح في أرجاء مختلفة من العالم . وطلب « مارغريته » أخيراً لحص التعداد وزن الحقة ، غير أن الموظف الذي درس الأمر رفض التكرار به ، قائلاً :

- ليس هذا الأوصوة جماعة .

في ساعات فراغه القليلة وفي لسيات أيام الأحد المجيدة في الصيف ، كان « مارغريته » يقسم في غرفته متعمكاً في قراءة أي كتاب يبدو له مفيداً لقضيته . وفي آخر كل شهر وبمبادرة شخصية منه ، كان « مارغريته » بدون في كراس مدرسي قائمة مفصلة لجميع مصاريفه بخطه الأنيق الذي يحاكي خطوط رؤساء الكنيسة ، من أجل اطلاع الشريعي من

لحيته على تلك الحسابات . وقبل اكتمال العام ، كان يعرف مناصات « روما » كما لو أنه ولد فيها ، متعللاً الإيطالية بشكل بسيط وبكلمات قليلة مثلما يتحدث سكان « الأند » اللغة الأسبالية وحار بالامكان مقارنته بأفضل المازين بطرق القديس . ولكنه أضنى وناً طويلاً قبل تبديل لباسه الحائري وصلاره وقبحة التسيه بقبحة الهامين ، والتي كانت في روما ، آنذاك ، حاصة ببعض المجتمعات السرية ذات الأهداف النظمية . اعاد على الحروح مكرراً جداً مصحوباً بملة القديسة ، وكان يعود أحياناً في الليل للنأخر ، منهوكتاً وحربناً ، ولكنه كان يحمل في نفسه دائماً لمسة من الأمل لتحل همة من جديد للمناهة في اليوم التالي .

- القديسون يمشون في أزمتهم الخاصة . كان يقول .

كنت أنا في روما لأول مرة ، أدرس في « المركز التجريبي للسينا » ، وعلت عذابه بحقة لا تنسى . وكان المنزل الذي تسكن فيه عبارة عن نفقة حديثة على بعد خطوات من « فيا بورغيسي » . وكانت صاحبه تشغل غرفتين منه ، وتزجر أربع غرف أخرى للطلاب الأجانب . كنا نناديها « ماريا الجميلة » وكانت جميلة ومزاجية في هر عريفها ، وكانت وفية لقاعدتها المقدسة التي مفادها أن كل واحد منا ملك حر في غرفه . والواقع أن التي كانت تتحمل أهواء الحياة البرومة هي أختها الكبرى « العمة أنطونيتا » . كانت ملاكاً بلا أجنحة وكانت تعمل لها ساعات محددة خلال النهار ، متقلبة في جميع أرجاء الدار ومعهما سطليها وحكستها للصنوعة من الخيش ، تنظف وتلمع بكل ما لوتهت من مهارة

مرمر البقعة وهي التي علمتا على كل العصافير التي كان زوجها « برونيني » يصطادها ، وكانت هذه عادة ودقة بقيت لاحقاً به من زمن الحرب ، والذي أخذ « مارغريو » فيما بعد للسكن في بيته ، عندما أصبح عاجزاً عن دفع اجور « ماريا الجميلة » .

وكانت تلك الدار التي لا يحكمها قانون تهيئة الملازمة لطباع « مارغريو » . في كل ساعة كان يفاجننا بأمر جديد ، حتى في ساعات الفجر الأولى عندما كان الزفير المرحب لأسد حديقة الحيوانات في « فيا بورغيسي » يوقظنا من نومنا . كان مغني الاوبرا ي ريجيرو سلفاً . قد اطمأن الى أن سكان روما لم يكونوا يتأذون من تدريباته الصباحية المبكرة . لما فاته كان ينهض على الساعة السادسة وباعل حمله الطلي البارد ، ويعدل لحته وحاجبيه التيبهين بحاجي « ميستوفلس » . ولم يكن يستسلم بجسده وروحه الى تدريبات الغناء ، الأ بعد ليس روجه ذي المربعات الاسكلندية ولغائه المصنوع من الحرير الصيني و النعطر بالقولونيا الشخصية . كان يفتح نوافذ غرفه على مصراعها ، في وقت كانت فيه نجوم ليالي الشتاء تازلت بادية في السماء ، يبدأ حينذاك بتسعين حنجرته ، مغنياً حملاً متدرجة الطول في موضوعات غرامية لغاية الانقراض في الغناء بكامل صوته . والشيء الذي كنا نتظره يوماً هو أن مغني الاوبرا عندما كان يخرج نفقة ( دو ) من صغره . كان أسد « فيا بورغيسي » بجبهه تزئير يكاد يهر الأرض .

- أتلك « القديس ماركوس » مجسداً ، يا بني . كانت تقول له ذلك « أنطونيتا » مندعة بحق . - أنه الوحيد الذي كان بإمكانه

التحدث مع الأسود . وفي صباح أحد الأيام ، لم يكن الأسد هو الذي أجابه بركره . بدأ مضي الأويرا إحدى قبايل الحب لـ « لوتيلو » : فما مضى وفي ليلة ظلماء ، كان النواج كنهً واضحاً مُمزاً . ولجأة ومن عمق الغناء وصلنا الجواب بصوت أوبرالي جميل . استمر مضي الأويرا ، وكلا الصوتين غنياً القطعة كاملة لتسلية المهران الذين ضحوا نوافذهم لتعديسها بجوار ذلك الحب الذي لا يمكن مقاومته . كان مضي الأويرا على وفك أن يمسى عليه عندما علم بأن « ديموته » الحفية لم تكن سوى « ماريا » كانغليا « العظيمة » .

وأظن أن ذلك الفصل كان السبب الرئيسي لاندماج « مارغريتا » في أجواء البيت ، لأنه بدأ من يومه المملوس مع الجميع على المائدة المشتركة ، وليس في المطبخ الذي اعتاد عليه منذ البداية ، حيث كانت « انطونيا » تدخل على قلة السرور بشكل يومي تقريباً بمرئها الزائع الذي يحتوي على المصافير المفردة ، كانت « ماريا الجميلة » تقرأ لنا الصحف بعد الانتهاء من تناول الطعام لكي نتمردنا على التلفظ الأبدلي . وكانت تفسر لنا الأخبار جحيز وظرافة تدخل فيها لسرور على قلوبنا . وفي أحد الأيام قصت علينا ، بعد أن ورد ذكر القديسة ، عسر متحف كبير في مدينة « باليرمو » : خاص بالجلت غير المحفنة . وذكرت بأن ذلك المتحف ملئ بهجث رجال ونساء وأطفال وحتى المدهد من الأصناف ، كانوا قد أخرجوا من نفس المنبر للأباء الكوثيين . أفتق الخبر « مارغريتا » واكتفى هناك بنظرة صرعية ألقاها على الجثث للوزعة في الممرات الكمية للمتحف ، ليكون نفسه رأياً معزياً :

- أنها حالات مختلفة ، قال ، بالنسبة لهؤلاء بلاحظ التأمل بسرعة أنهم موتى .

وبعد الغداء كانت روما تستسلم لحذر شهر آب . كانت قميص منتصف النهار تبقى لينة في وسط الساء ، وفي صمت الساعة الثانية ظهراً لم يكن يسمع سوى خرير الماء الذي هو الصوت الطبيعي في روما . ولكن النواط كانت تنفتح فجأة في حدود الساعة مساءً لتستقبل الهواء الليل الذي بدأ بالتحرك ، وتخرج الجماهير فرحة إلى الشوارع ليس لها هدف آخر سوى التمشي في وسط فرقة الدرجات النارية وصراخ بالمي الطبخ وأغنيات الحب بين زهور الشرفات . لم نكن أنا ومغني الأوبرا ننام القبوله ، وكنا نذهب في دراجته النارية لنحمل البوظة والشوكولاتة إلى بنات النهى الصلصات اللاتي كن يحملن تحت زهور المغار المعمرة في « فيا بروجيسي » ، باحثات عن صباح متعقظ تحت أشعة الشمس . كن جميلات وقهترات وودودات وكذالية النساء الإيطاليات في ذلك الوقت كن يلبسن الثياب القطنية الزرقاء أو البيضاء الوردية أو الككان الأخضر ، وكن يحمن من الشمس بمظلات فخرها الموسى وقنار الحربة الأخيرة . كانت مصبة اتسائية كبيرة التواجد معهن ، لأنهن كن يفتقرن طرق لغواتين للهنه ، وكن يحن لأنفسهن ترف فقدان زبون جيد في سبل اللعاب معنا لتناول قهوة مصحوبة بمحاورة ممتعة في أحد المقاهي القريبة ، أو الفترة معنا في الحرات المؤجرة عبر طرقات المدينة العامة ، أو القاتم على مصائر الملوك المغلوعين وعشيقاتهم المنكوبات اللاتي كن يركن الحبل في ساعات الغروب بمادين الحبل . وأكثر من مرة عملاً لهن كمترحمين ،



نقل لمن حديث بعض الأجانب الفايين . لم يكن ذهابنا مع « مارغريتو »  
دولرتي « إلى » نيا بورغيسي ، بسبون ، وإنما كان هدفا هو أن نتعرف  
هذا على الأسد . كان يعيش طليقاً في جزيرة صغيرة خالية ومحاولة  
بمخاض عميق . ولم يكده يلسنا في الطرف الآخر ، الأوبدا يزار بهاج  
جعل حارسه يدهش منه . القرب زوار الحديثة مدهورين ، وحاول منفي  
الأوبرا الاعلان عن هويته بقاء الـ ( دو ) الساحبة : غير أن الأسد لم يهتم  
به . كان يزار نحونا جميعاً على ما يبدو دون تفرق ، غير أن حارسه  
سرعان ما انتبه إلى أن الأسد كان يزار وعيناه على « مارغريتو » وهكذا  
كان : فكلمنا محرّك « مارغريتو » ، تحرّك معه الأسد ، وإذا اختبأ ، ترك  
الأسد الزئير . احتشد الحارس الذي كان ذكوراً في الأدب الكلاسيكي من  
جامعة « سينا » ، بأن « مارغريتو » لأبداً وله كان في هذا اليوم مع أسود  
أخرى عدته براحتها . وعنا هذا التفسير الذي كان مرفوضاً لم يحد  
تفسيراً آخر .

- على كل حال ، قال ، إن زئيره هذا ليس زئير حرب بل زئير  
حنان ، غير أن ما أثار انفعال منفي الأوبرا « ربيرا سلفا » ، لم يكن ذلك  
للسهولة الاستثنائي ، بل اضطراب « مارغريتو » عندما نوقفاً للتحدث مع  
فئات المتزوّ . روى ذلك عند اجتماعنا على المائدة ، فعلق البعض بنبت  
وأخرون بتسلط ، وكما جميعاً متفقين على أن عملاً طيباً لمساعدة  
« مارغريتو » قد يختلف عنه وحدته . غفلت « مازيا الجميلة » متأثرة  
برقة قلوبها على صديقتها وكأنها تضم إليها طفلها بحرّ ويدين محبتين  
بالحوام الإصطاحية قاتلة :

- كنت أنمل ذلك احساناً ، لولا عدم فكنتي تماماً من هؤلاء الرجال  
من لا يسي الصدور .

وهكذا فقد مرّ منفي الأوبرا يحيى « نيا بورغيسي » في الساعة  
الثانية بعد الظهر ، وحمل معه على دراجته النارية الفرائشة التي بدت له  
أكثر ملازمة لمح « مارغريتو » دولرتي « ساعة من الصحة الطيبة . جعلها  
تتحرى في غرفته ثم حمّتها بالصابون المعطر ونشّلتها ثم عطرها بماء  
القولونيا النعني ورفقها بخار الزينة من أعلاها إلى أسفلها ، وأضاف  
إلى ذلك البودرة التي كان يستعملها بعد الحلاقة والتي تبعث منها رائحة  
الكافور . وأخيراً دفع لها عن الوقت الذي قضته في غرفته ، إضافة إلى أجر  
ساعة أخرى ، ثم وصف لها ما كان عليها أن تفعله بخطوة خطوة .

قطعت الفتاة الجميلة العارية فناء الدار المظلل على أصابع قدميها  
كحلم القبلولة ، ودقت دقتين خفيفتين على باب الغرفة الموجودة في آخر  
الفناء . فتح « مارغريتو » دولرتي « الباب وكان حاليّاً وبدون قميص ،  
فقال له :

- مساء الخير ، أيها الشاب . لقد بعثي منفي الأوبرا . قالت له  
ذلك ببرة وحركات تليدة ثانوية .

نحر « مارغريتو » بخدش كبير في عزة نفسه ، ولم يتجاوز ذلك  
الآن بصوت . فتح لها الباب ليصح لها بالمرور . تمددت هي على السرير ،  
بينما كان هو يلبس قميصه وعذابه على عجل لاستقبالها بالاحترام  
اللائق ، وبعد ذلك جلس على كرسي إلى جانبها وبدأ معها الحديث ،

قالت له الفتاة وهي في غاية التعجب ، إن عليه أن يسرع لأنه ليس معها إلا ساعة واحدة ، ولكنه لم يرد أن يهملهم .

وبعدما قالت الفتاة بأنها كانت ، على كل حال ، مستعدة للبقاء معه كل الوقت الذي يريد به هو ، دون أن يدفع لها ولو شيئاً واحداً ، لأنه ليس هناك حسب قولها ، أي رجل في العالم يمكن أن يتصرف أفضل منه . لم تكن الفتاة تعلم ما الذي يمكن أن تفعله ، فأخذت تنظف الغرفة بنظرانها فاكشفت العلة الخشبية فوق بناء الموقد ومالكه إن كان في ذلك قلة مسكفون . لم يهجمها « مارغريجو » ، بل توجه إلى السائدة وضع الأرباب الخشبية التي نظفها لكي يدخل الهواء ، ثم أخذ العلة ووضعها على السرير ورفع غطاءها ، حاولت الفتاة أن تقول شيئاً ، غير أن فكها ارتنخى ولم تنس بحرف . « أو كما قالت لنا فيما بعد : « لقد تمجدت مؤخرتي » . فررت مدعورة ولكنها أحضرت انجماها في الممر ، والتقت وسماً يوجه مع المنة « انطرونيثا » التي كانت ذاهبة لوضع مصباح جديد في ثوبا غرضي . كان الحرف الذي تمكن من الاثنين عظيماً إلى الحد الذي أدى بالفتاة إلى الاعتصام في غرفة مضي الأوبرا ، ورفضت مغادرتها حتى ساعة متأخرة في الليل .

لما المنة « انطرونيثا » ، فلما لم تتوصل إلى معرفة ما جرى مطلقاً ، دخلت إلى غرفتي في غاية الرعب ، ولم تستطع تثبيت المصباح في الثريا لشدة ارتجاف يديها . سألتها عما بها ، فأجابت : « إن هذه الدار مفرقة ، وكذا الآن في عز النهار » . لم تفت علي بالتنازع كبير بأن ضابطاً للملأها كان يقيم في غرفة مضي الأوبرا خلال الحرب قد خنق

حشيقته في تلك الغرفة ، وأضافت بأنها لم أكن من مناصبه قد رأت حشداً كانت منهكة في أمثال البيت ، ظهور القنينة الجمينة وهي تنحس في عرائت المنزل . ثم أردلت :

- قبل لحظات وأنها تمشي عارية تماماً في الممر . كانت نسخة طبق الأصل . عادت وثابة لفصل الخريف إلى المذبة من جديد ، وأغلقت الشرفات الصيفية المزهرة مع بداية هبوب الرياح الأولى ، وعدنا أنا ومضي الأوبرا إلى مكاننا القديم في « ترانسييري » ، حيث اعتننا على فلول العشاء مع طلاب معهد الغناء « الكونت كارلو كالكاغني » ، وبعض زملائي من مدرسة السينما ، من بين هؤلاء الأخيرين كان « لوكس » أكثرهم مواظبة ، وكان يوناتياً ذكياً ولطيفاً ، وكانت حقته الوحيدة هي عطاياته المعلقة عن الظلم الاجتماعي . ولحسن الحظ ، فإن مضي الأوبرا ، كانوا قادرين دائماً على إحيائه بغناء أجواء قصيرة من الأوبرا وبصوت مرتفع لم يكن يزعج أحداً ، حتى وإن كان بعد منتصف الليل ، بل على العكس ، فإن بعض السهارى اللذين كانوا ينضمون إلى الكورس ، وكان الجهران يلتفون الرافد ويصفقون . وفي أحد الليالي ، بينما كنا ننتهي ، دخل « مارغريجو » على أطراف أصابعه كيلاً يقاطنا ، وكان يحمل معه العبوة الخشبية التي لم يجد الوقت الكافي لتركها في المنزل بعد أن ذهب بها لمرضها على عيوري « سان خوان دي ليران » ، الذي كان معروفاً بتأثيره على « الرهبانية المتقدمة للطقوس » ، ولعت بطرف عيني بأنه وضع العبوة تحت متصلة مروية ، وجلس معنا حتى تنتهي من الغناء . وكالعادة جمعنا في حدود منتصف الليل عدة مضادات إلى بعضها بعد أن غمضت

همة المجموعة ، وبها مجتمعين : هؤلاء الذين كانوا يفتون ولعن الذين  
 كنا نتحدث عن السينما وأصدقاء الطرفين ، ومن بينهم « مارغريجو  
 دوارتي » الذي كان معروفاً لدى المجموعة بالكولومبي الصامت والحزين ،  
 ولم يكونوا يعرفون عنه شيئاً آخر غير هذا . « لاكس » . مدفوعاً برغبة  
 حبّ الإطلاع ، سأله إن كان يعرف الكمان المجهد . ارتعت أنا لما بدا لي  
 من تهوّر يصعب تقدير نتائجه . ولم يستطع صفني الاوبرا الذي لم يكن منه  
 اتقن مثلي ، من إصلاح ذات البين . غير أن « مارغريجو » كان هو الوحيد  
 الذي استقبل السؤال بطبيعة تامة .

- ليس هذا كماناً ، قال ، أنه القديسة .

وضع العلبة على المنضدة وفتح القفل ثم رفع الغطاء . حشرت حاصفة  
 من الذهول في أرجاء المطعم . تجمع الزبائن الآخرون وعمال لتقوى وأخيراً  
 الطباخون بصداريهم المنطحة بالدم ، مذهولين بتأملون المعجزة . أشار  
 بعضهم على نفسه بإشارة الصليب وحث واحدة من الطباخات على  
 ركبتها وجمعت يديها وأعدت تنصلي في صمت ، محكمة بارئها  
 الحسني التي غزت جسدها .

غير أننا ، وبعد زوال الانفعال الأول ، وجدنا أنفسنا مقموعين  
 في جدران صرخ حول قصور ونقصان القدسية في زماننا ذلك ، وكان  
 « لاكس » بالطبع أكثرنا تطرفاً ، وإن الشيء الوحيد الواضح الذي  
 نخرجنا به من جدلنا ، هو فكرته عن عمل ليلم ناقد من خلال موضوع  
 القديسة .

- إنني متأكد - قال - من أن المعجزة « ليماري » لن يسمح بأن  
 يخرجه هذا الموضوع من بين يديه .

وكان يعني « ليماري لياتيني » أساذنا للصوم والصوم  
 السينمائي ، وهو واحد من كبار رجال السينما ، وهو الشخص الوحيد  
 الذي كان على صلة شخصية بنا خارج إطار المدرسة . كان يحاول أن  
 يعلمنا ليس قواعد المهنة فحسب ، بل طريقة مختلفة لرؤية الحياة . كان  
 يبدو وكأنه آلة لخلق موضوعات سينمائية . كانت تخرج منه كمون الماء  
 للفضجة ، رغماً عن إرادته تقريباً . وكانت تأتيه على عجل مما كان  
 يحوجه إلى شخص آخر لكي يرويها له بصوت مرتفع ولصطادها وهي  
 طائرة . وبعد الانتهاء منها فقط ، كانت عنه تفسد . وكان يقول :  
 بوصفي أن أجد نفسي مضطراً على تصويرها . كان يظن بأنها كانت  
 تفقد الشيء الكثير من أصالتها على الشاشة . كان يحتفظ بأفكاره في  
 قصاصات مرتبة حسب موضوعاتها ومربوطة بدهائس من أطرافها ،  
 وكان يملك الكثير منها ، حيث كانت للأخرقة في يده .

يوم السبت التالي ، ذهبنا للقاءه مع « مارغريجو دوارتي » . وبدلنا  
 رغبته القديسة . وجدنا في انتظارنا عند باب منزله في شارع « أنسيليا  
 ميراثي » مسجوراً بالفكرة التي نقلناها له بالهاتف . لم يجد الوقت  
 لتحياتنا بلطافته المبهودة ، وأخذ « مارغريجو » إلى أحد المكاتب المهواة  
 وضع العلبة بنفسه وحصل أملك مالم تكن تنصوره ، فبدلاً من أن يجن  
 فرحاً كما كان متوقعاً ، أصيب بنوع من الشلل العقلي .

## ١ - همى مرتباً .

نظر الى التدبيرة بصمت لمدة دقيقتين أو ثلاث . وبدون أن يهسى بكلمة ، أخلق القلعة وفاد « مارغريو » نحو الباب ، وكأنه طفل يخطو خطواته الأولى . ودعه رمت على كتفه قاتلاً : « شكراً ، يا بني ، شكراً جزيلاً » أعاذك الله في صراحتك . « وعندما أخلق الباب جاء اليها ومرد عليها حكمه :

- ليست ماسبة للبيما ، ليس هناك من يستطيع تصديدها

وأما هذا الدرس المدهش في الترامواي في العودة . انا كان هو الذي يقول ذلك ، فليس هناك مجال حتى في التفكير في الأمر : هذه القلعة لن تنفع . في حين أن « ماريا الجميلة » استقبلتنا بالحبر العاجل الذي مفاده أن « ثباتني » سيتظرونا في نفس تلك الليلة ، ولكن بدون « مارغريو »

وجدناه في أحسن حالاته . كان « لاسي » قد أخذ معه البين أو ثلاثة من زملائه ، ولكن « ثباتني » بدا وكأنه لم يرههم عندما فتح الباب .

- وجدناها ، وجدتها ، صرح . سيكون الفيلم كالتفيلة ، لذا ونسى « مارغريو » بحث الطفلة .

- في الفيلم أو في الحياة ؟ سأله

- لا تكن أحمق ، قال لي .

ولكننا هنا بسرعة ومضى فكرة تستعصي على المقاومة في عينيه ، ثم قال مفكراً بجذ :

- ألا انا كان هو قادراً على بحثها في الحياة الواقعية . إن عليه أن يهرب كانت محردة وسوس طائفة قبل الأمسك من جديد يخطو الحديث . أخذ يمشي في الشوارع مثل مجنون صمد ، يثر يديه ويسرد قصة الفيلم بصوت قوي . كنا نستمع اليه مشدوهين . وصار عندنا تطباع بأنه كان يرى المشاهد والصور وكأنها عصفائر فسفورية تهرب منه زوامات وتظهر بجثث في جميع أطراف البيت

- في إحدى الليالي - قال - وبعد أن مات حوالي العشرين من الباهوت الذين لم يستقبلوه ، بدخل « مارغريو » الى بيته منعماً ومرماً . يفتح القلعة ويهاهب وجه اليه ويقول لها بكل حنان العالم : « من أجل عيني أليك ، يا بني ، انهضي وامشي » .

نظر اليها جميعاً وأنهم حملته بحركة ثم من الصبر :

- وتنهض الطفلة !

كان ينتظر منا شيئاً ما . ولكننا كنا في حيرة من أمرنا بحيث لم نشعر على أي شيء لنفونه ، سوى « لاسي » اليوناني ، الذي وقع يده كما لو كان في فصل دراسي ، يطلب الأذن بالكلام

- مشككتي أنني لا أستطيع تصديق ذلك . ولما هم دعفتنا توجه مباشرة الى « ثباتني » قاتلاً ! اهلوني ، أيها الأستاذ ، لكنني لا أصدق ذلك . بدت على « ثباتني » علامات الحيرة وقال

- ولم لا ؟

- لا أدري ، قال : لا كس ، متقبضاً . - إن هذا غير ممكن .

- ! صرخ حينها الأستاذ بصوت يشبه الرعد ، لأهدأ أنه مسح في الحلي كته . - إن هذا هو أكثر ما يؤلمني من الاستاينين : أنهم لا يحقدون بالواقع .

في السنوات الخمس عشرة التالية ، وحسب رواية مارغريته :  
فأنه كان قد ذهب بالندبة إلى « كاستيلندولفو » ، حتى أن بعد فرصة لمرضاها ، وفي أحد اللقاءات الذي ضم ما يقرب من مائتي حاج من أمريكا اللاتينية ، تمكن من سرد قصته ، بين دفعات الحاضرين ، على مسامح « خوان الثالث والعشرين » المعروف بلطفه - لكنه لم يستطع أن يره البتة ، لأنه اضطر على تركها عند المدخل ، إلى جانب مزودو الحجاج الآخرين ، حذراً من أن يقدم أحد على اختياله . سمعه « البابا » باهتمام بالغ وفي حدود ما كان يسمح به اللقاء والجمهور ، ورويت « البابا » على عنقه تسجيماً له وقال :

- حسناً ، يا بني - إن الله سيحكمك على مثارتك .

غير أنه لم يشعر بقرب تحقق حلمه إلا في عهد المملكة السريمية الروال للمبسم « أليينو لوتياتي » ، إذ أن أحد اقرباءه ، وبسبب تأثره بقصته « مارغريته » قرر التوسط . لم يهتم بادعائاته أحد ، غير أنه وبعد يومين فقط ، وبينما كانوا يتناولون طعام الغداء ، اتصل أحد ما تلفونياً

بالتزلز ليترك خيراً عاجلاً وبسيطاً لـ « مارغريته » : لا ينبغي له أن يتحرك من « روما » ، لأنه سيصلي قبل يوم الخميس إلى « الغاتيكاني » للقاء خاص . ولم نتحقق مطلقاً فيما اذا كانت تلك مجرد مزحة أم لا . كان « مارغريته » يعتقد بأن المسألة حادة وبقي في حالة التلار . لم يخرج من البيت ، وإذا كان يريد الذهاب إلى الحمام ، فإنه كان يعلن عن ذلك بصوت عال ويقول : « أنا ذاهب إلى الحمام » ، فكانت « ماريا الجميلة » الظريفة كالعادة والمشرقة على عتبة الشبخوخة ، تطلق تهقها امرأة متحررة ، وتقول بصوت مرتفع :

- تعلم ذلك ، يا « مارغريته » - قد يناديك « البابا » ، أليس كذلك ؟

وفي الأسبوع التالي ، وقبل يومين فقط من الموعد النهائي للمكالمة المعلن عنها ، تهاوى « مارغريته » أمام الخبر الرئيسي للحريرة التي دفعوا بها من تحت الباب : مات « البابا » . عاش لحظات من الأمل عندما فكّر بأن الحريرة يمكن أن تكون قديمة وانهم أحفظوا في جلها في ذلك اليوم ، لأنه ليس من المعقول أن يموت « بابا » كل شهر . ولكن ، هكذا كان : المبسم « أليينو لوتياتي » الذي تم اختياره قبل ثلاثة وثلاثين يوماً ، كان قد أصبح ميتاً في فراشه .

عدت إلى « روما » اثنين وعشرين عاماً بعد تعرّفي الأول على « مارغريته دوارتي » ، وربما لم أكن أنذكره لو لم أكن التقى به بالصدفة ، لأنّ وفي الضيف لم يكن يسمح لي بالتفكير بأحد . كان المطر يتساقط

باصرار وكأني لثوبه دافعة ، وصارت الأضواء المنسقة القديمة صكرة ،  
وكانت الأماكن التي كنت أحسها ملكاً لي لأنها تمتعني الشيفتي ، قد  
تحولت إلى أماكن أخرى غريبة . كانت البناية التي يوجد بها النزل على  
حالتها ، ولكن لم يكن هناك أحد يعرف شيئاً عن « ماريا الجميلة » . ولم  
يكن هناك من يردّ على تلفونات مامي الأوبرا « روبرو سيلفا » لئلا  
كان قد بعثها لي على مرّ تلك السنوات . وفي أحد الأيام ، ذكرت على  
الفناء أمام أناس السينما الجدد ، اسم أستاذي ، فحين صمت قليل على  
المائلة للحظات ، حتى نجرأ أحدهم على القول

- « ثاني » ! لم أسمع به مطلقاً

وعكنا كان : لم يكن هناك من سمع به . كانت الحجارة  
وتهاير عيسى ، شعاع تحت المطر . وكان « ميدان الحبل » للأثيرات  
الخرينات قد ابتلعت الأدغال بدلاً من الزهور ، وبدلاً من تلك الصبايا  
الجميلات ، كانت هناك نساء كأنهن بطلات رياضة صحنات وحركات  
لجنسهن كنتنكر بعض نساء ملويد . والوحيد الذي كان قد بقي حياً من  
مجموع الحيوانات المنقرضة هو الأسد المجزأ المصاب بالحرب والركام ،  
في جزيرته المحاطة بالماء الرائد . لم يكن هناك من يسي ولا من يموت من  
الحب في النظام المعلقة بالامتياز في ساحة اسبانيا . إن « روما » التي  
كنّا نحن اليها ، كانت « روما » أخرى قديمة داخل روما القاصرة .  
ونجاة أدركني صوت كأنه كان خارجاً من العالم الآخر ، والذي جعلني  
أقولُ حالاً في وقتي « تراستيفري » :

- مرحباً ، أيها الشاعر !

كان هو بيته ، حوضاً ومنعاً . كان خمسة بابوات قد توقفا ،  
وكانت علامات التداعي الأولى يادية على « روما » ، بينما كان هو لا يزال  
متظراً . قال لي في التوافق بعد أربع ساعات من ذكريات اخنين : « لقد  
انتظرت كثيراً وليس من المقبول أن تأخر الحبل طويلاً . قد تأخر بعض  
الشهور . ذهب بحرّ خطواته في وسط الشارع بحذاءه الحربي وقطعه التي  
صعدت لونها وكأنه روماني قديم ، دون أن يحذر من الحفر المليئة بماء  
المطر ، والتي أحدثت الأضواء صمغين فيها . حينذاك لم يبق لدي أي شك ،  
وإن كنت لم أشك من قبل ، في أن القديس هو نفسه . وبدون انشغال به ،  
ومن خلال الحقة السليمة لانيته ، كان يداخل في حياته منذ اثنين وعشرين  
عاماً من أجل فضيته المشروعة والمخاصة لإعلان قديمته .

المسلسل ( آب ) ١٩٨١

### طائرة الحساء النائمة

كانت حسناء ومزينة ، ذات بشرة ناعمة بلون الخبز وعينين  
لؤلؤيتين خضراوين ، وكان لها شعر أملس ولسود وطويل يغطي ظهرها  
حتى النعما ، وكانت محاطة بهالة من قدم الأصل ، تجعلها قابلة على أن  
تكون من « إندونيسيا » أو من بلاد « الأند » . كانت ملابسها تدل على  
ذوق رفيع : سترة من جلد الرقيق ولعص من الحرير الطبيعي للورد  
بشكل غريب وصروال من الكتان الخشن وحذاء بلون الورد الجمهني .  
« علمه هي أجمل امرأة شاعدها في حياتي » ، فكثرت بذلك عندما مرت  
بمخطواتها الصامتة وكأنها لوزة ، بينما كنت أنا في الطابور أنتظر لأخذ  
الطائرة إلى « ليوپورك » في مطار « تسارلز ديفول » بباريس . كان  
شهراً غارقاً للعادة دام لحظات ثم اختفت وسط الجمهر في المدخل .

كانت الساعة الناعمة صباحاً ، وكانت الثلوج تنساقط منذ الليلة  
السابقة وكان المرور أكثر ازدهاراً من المعتاد في شوارع المدينة ، وأكثر  
بطئاً في الطريق السيار ، وكانت هناك شاحنات للحمل مصطفة على  
الأرصفة ، وسيارات ينمت منها الدخان وسط الثلوج . في حين أن  
الحياة في غمرات المطار كانت وكأنها استمرار للربيع .

كنت في طابور التسجيل ، خلف امرأة هولندية سفة والتي بقيت تتحدث لمدة ساعة تقريباً بشأن وزن حقيقتها الأحدى عشرة . بدأ الليل يدب في انفي عندما ظهرت فجأة وجسدي أكتم أنفاسي ، وهكذا فأنني لم أدرك متى انتهى الحمام ، حتى أبقتني الموطنة من حيواني منيرة مليئة بالحناب ، وسألتها مستظراً عما اذا كانت هي يؤمن بالحب من أول نظرة . « طبعاً » قالت لي . « إن صوف الحب الأخرى هي المستحيلة . تأملت بظرائها الثانية شائعة الكمبيوتر وسألتني عن القعد الذي أفضله : للمسحون أو غير لهم للمسحين

- لا أرى عدي . أجتهد متفصلاً ، والشرط الوحيد هو ألا يكون القعد في جانب صاحبة الأحدى عشرة حقبة

فكرت لي ذلك باهتمام تجارية ، دون أن تهمل نظرائها من النساء الفسفورية ، ثم قالت لي :

- اختر واحد من الأرقام التالية : ثلاثة ، أربعة ، خمسة .

- أربعة

بدت على وجهها ابتسامة هي أشبه ما تكون باهتمام المتتصر وقالت :

- انني أعمل هاملاً خمسة عشر عاماً ، وإن هذه هي المرة الأولى التي لا يختار فيها أحد الزائرين الرقم خمسة .

وضعت على بطاقة دخول الطائرة الرقم وسلمتها لي مع باقي أورتني ونظرت إلي لأول مرة بعين بلون الصب ، كانت نظرائها تلك بمثابة سلمى لي حتى أعود لزيارة الحساء . وعندما فقط تبهتني إلى أن انطوار كان قد أغلق لترو ولأن جميع الرحلات قد تم ارجائها .

- إلى متى ؟

إلى أن يشاء الله ، قالت لي باهتمامها . أعلن الراديو صباح اليوم بأنها ستكون أكبر عاصفة للجنة خلال هذا العام .

لقد أخطأ : كانت أكبر عاصفة للجنة خلال القرن ، غير أن الريح في قاعة انتظار الدرجة الأولى كان حقيقياً ، إلى الحد الذي كانت هناك في المزهريات ورود حية ، وحتى الموسيقى التي كانت تُسمع في الداخل كانت تبدو صامدة وسكينة . كما أراد لها مدعوها . وفجأة خطر لي بأن ذلك قد يكون ملحاً مناسباً للحساء ، وأخذت أبحث عنها في القاعات الأخرى مرتجفاً بسبب جبرائي الخاصة . كان أغلبهم من الرجال ، من رجال الحياة الواقعية الذي كانوا يقرأون صحفاً باللغة الإنجليزية ، بينما كانت تسألهم يفكرون رجال آخرين ويتأملن الطائرات المينة تحت النجوم من خلال النوافذ الزجاجية الفسحة ، ويتأملن أيضاً المصانع المغطاة بالنجوم وحقول ، ورومي ، الواسعة التي دمرتها العاصفة الثلجية ، راحة ليها أشكلاً هي أشبه بالأسود . وبعد منتصف النهار ، لم يكن هناك موضع قدم ، وصارت الحرارة في الداخل لا تطاق مما جعلني أهرم بحثاً عن مكان أنفسي فيه .



في الخارج شاهدت مشهلاً مرمهاً - بشر من كل الأجناس كانوا قد ملأوا صالات الانتظار والممرات وحتى السلالم ، ممتدين على الأرض مع حيواناتهم واطفالهم ومستلزمات السفر . كانت طرق المواصلات المؤدية الى المدينة قد انقطعت هي الأخرى ، وكان القصر البلاستيكي الشفاف يبدو وكأنه كبولة فضائية هائلة تحترق وسط العاصفة . لم أتمكن من إبعاد فكرة أن الحساء يمكن أن تكون بين تلك القبائل الوديمة ، وقد لبثت هذه الفكرة من منتهي وجعلتني قادراً على الانتظار . في ساعة الغداه أدركنا حقيقة حالتنا التي هي أشبه بحالة للفرقي .

تسكنت طوابير لانهاية أمام المطاعم السبعة واستأثرت المقاهي والبارات ، واضطروا الى اعلانها بعد أقل من ثلاث ساعات ، لأنه لم يق فيها أي شيء للأكل أو لشرب . والأطفال الذين بدؤوا في لحظة ما وكانهم كل أطفال العالم ، أمثلوا يكون في وقت واحد ، وبدأت ترتفع من الجماهير راحة كأنها راحة القطيع ، أنه زمن الفراش ، وكل الذي حصلت عليه لسد ومقي وسط تلك المسابقة ، كان عبارة عن الكأسين الأخضرين من البوظة المصنوعة من القشعة في محل خاص بالأطفال . تناولتها قليلاً قليلاً أمام المحل ، في الوقت الذي كان العمال فيه يضعون الكراسي فوق الناظر كلما حوت واحدة منها ، وكانت أنظر الى نفسي في المرأة الموحدة في عمق المحل ، ويدي الكأس فكرت في الأخير والمنفعة الكرتونية الأخيرة ، منكرًا بالحساء . ألتفت طائرة نهبورك ، التي كان من المقرر أن تطير على الساعة الحادية عشرة صباحاً ، ألتفت في الثانية مساءً ، وذلك عندما تمكنت أخيراً من ركوب الطائرة ، وكان ركاب الدرجة الأولى قد استقروا في أماكنهم ، عندما قادني إحدى المضيفات

الى مقعدي . كسحت الأنفاس في المقعد المخاض لمقعدي ، والى جانب النافذة ، كانت الحساء تقوم بترتيب أثباتها واستغلال الفضاء المسروح لها به بمهارة الجواهر بالسفر . لو أنني كتبت هذا مرة ، لما صدقني أحد ، فكثرت . ولم ينطق لساني لمثتر ساعتها سوى نصف تحية لم تكذب نسعها :

استقرت في مكانها بطريقة وكأنها صوف تقيم هناك لسنوات طويلة ، واضعة كل حاجة في مكانها وبشكل مرتب ، حتى صار المكان هذا وكأنه بيت نموذجي يسهل على اليد أن تطال أي شيء فيه . وبما كانت تجهز مكانها ، جلب لنا الخفيف مشروب الشبانيا ترحيباً بنا . تناولت كأساً لألقمها إليها ، غير أنني ندمت على إعطائي هذا في الوقت المناسب ، إذا أنها لم تطلب سوى كأس ماء . لم طلبت اليه بلغة فرنسية غير مفهومة أولاً وبلغة الإنجليزية أوضح من الأولى قليلاً ، أديرفضها أحد لأي سبب كان طيلة الرحلة . كان صوتها حاداً وداهاً يتم من حزن شرقي .

عندما حملوا إليها الماء ، فحمت في حضنها حبة تشبه حبوب الزينة ذات زوايا نحاسية شبيهة بمصاديق الحفلات ، وأخرجت حبيبتين ذهبيتين من غلاف صغير كان يحوي على حبوب بألوان مختلفة . كانت تقبل كل ذلك بانتظام هاديء ، كما لو كانت حياتها غالية من اللقنات مند ولادتها . وأخيراً أنزلت ستارة النافذة ودفعت بالمقعد الى الحلف حتى غايته القصرى ، وتنفطت بالهبات حتى المحرم دون أن تخضع حذابها وليست قناع النوم لم تلمدت فوق المقعد على جانبها بحيث أدارت ظهرها لي ونامت بلا انقطاع أو زفرة ولم تغير وضعيتها ولو

فيلما، خلال الساعات الثماني وللغالبين الاكثري عشرة التي دامتها رحلة  
« نيويورك »

كانت سفرة مكثفة . كنت أظنّ قاعاً بأنه ليس هناك أي شيء في  
الطبيعة أحمل من امرأة حسناء ، ولهذا كان عليّ من الصعب أن أعرب ولو  
لحظة واحدة من سحر ذلك الكائن الأسطوري الذي كان ينم في جانبي  
كان المضيف قد اعتنى بمجرد أن أقلعت الطائرة واستبدل بمضيف  
ديكارتية حاولت أن توقف الحسنة لأعضائها عنة الزينة وصماحات الأذان  
لسماع الموسيقى . أعدت على المضيفة الضيف الذي قلعه الحسنة  
للمضيف ، ولكن المضيفة ألحّت على أنها تريد صماحها بنفسها ، وفيما إذا  
كانت لا تريد حتى أن تتنسى . أكدت لها المضيف رغبة الحسنة ، ومع  
ذلك فأنها عاتبتني أنا لأن الحسنة لم تطلق في عبقها اللوحة التي تدعو إلى  
عدم الانقائها .

ناولت عشائي وحيداً منقطعاً بجميع الكلمات التي كان من  
الممكن أن أقولها للحسنة فيما لو كانت في حالة يقظة . كان نومها  
مستقراً جداً ، إلى الحد الذي صرت أذكر بأن الحيتين اللتين تناولتهما كانا  
ربما للموت لا للنوم . وقبل كل جرعة ، كنت أرفع كأساً وأقول :

— بصحتك ، أيها الحسنة .

وبعد انتهاء العشاء أطفأنا الأنوار ووضعا فيلما ولكن لم ينته اليه  
أحد ، وغرقنا نحن الاثنين في حلال العالم . كانت أكبر عاصفة خلال  
القرن قد مرّت ، وكان نيل الأطلسي قسحاً وقطافاً ، والطائرة تبدو  
وكأنها تائهة بين المحرم . أذلك تأملتها شبراً قهراً خلال ساعات عديدة ،

وكانت علامة الحياة الوحيدة التي يستطیع التأمل أن يدركها هي حلال  
الأحلام التي كانت تمرّ على جنبها كعمود السحاب في المياه . كانت  
تجمل في صفها سلسلة رفيقة لا تكاد ترى فوق بشرتها اللحية ، وكانت  
أذناها في غاية الكمال ليس بهما تقوب للأقراط ، وكانت أظفارها وردية  
توحي بجودة صحتها ، وفي أحد أصابع يدها اليسرى كانت تلبس خاتماً  
لملحس ، وبما أنّ مظهرها كان يوحي بأنّ عمرها دون العشرين ، فاني  
صيرت نفسي بفكرة أن ذلك الخاتم لم يكن حلقة زواج ، وأنما خاتم  
خطبة زائلة . « إنني أعلم بأنك تاملين ، حفيظة ومتينة ، محرو وفي  
للحجر ، خطّ نقي ، فربة من فرائمي المتقيدين » تذكرت وكمررت وأنا  
أحدل في صقاعات التشبهات هذه الأبيات من قصيدة « غيراردو دييلو »  
الرائعة . ودفعت فيما بعد مقعدتي إلى الخلف وجعلته في مسرى مقعدتها ،  
وبقيتا منمعددين بقرب بعضنا وكأنا في سرير زواج . وكانت طبيعة  
تنفسها مثل طبيعة صوتها ، والقدى للبعث من جسدها لم يكن سوى  
قدى جمالها الحاضر بدا لي الأمر وكأنه شيء غير مقبول : في الربيع  
الماضي كنت قرأت رواية رائعة لـ « ماسوناري كواياتا » تتحدث عن  
المستئين البرحوازيين في « كيوتو » ، والذين كانوا يدفعون مبالغ كبيرة  
لقضاء ليلة يتأملون فيها أجمل صاها المدينة ، حاربات ومُخَنَّدات ، في  
حين أن الرجال المستئين يحضرون في نفس السرير بفعل الحب . لم  
يكونوا يلمسونهن وليس من حقهم أن يوقظوهن ، ولم يكونوا في الواقع  
يحاولون ذلك ، لأنّ جوهر الفذة كان رلّيتهن ثامات . وفي ليلتي تلك ،  
حيث صهرت على نوم الحسنة ، لم أتهم فوق العجايز ذاك فحسب بل  
عنته بالكامل .

- من يستطيع تصديق ذلك ؟ تسابقت وقد اتفقت لحروري بكراعي  
بفعل الصمبانيا : أنا الآن عجوز باهاتي .

لظنّ أنني كنت ساعات عديدة مغلوهاً بتأثير الصمبانيا ووجه الفيلم  
الصّامت ، ثم استيقظت والصداع يكاد يشق رأسي ، ذهبت الى دورة  
المياه ، وكانت المعبور صاحبة الاحدى عشرة حقبة تنام على مقعدهما  
الكائنين خلف مقعدي بصفتي . كانت منطرحة على مقعدهما بشكل غير  
مستظم ، باعدت ما بين رجلها ، وكانت تلبس وكألتها حقة ميث لسيه  
صحية في ساعة القتال . وعلى الأرض ، في منتصف الممر كانت توجد  
نظائرها الطبية وعقدتها ذو الحزب المثلثة ، وجمعت للحضات قصيرة بذلك  
الفرح البائس ، فرج عدم رفعها واعطائها لها . وبعد أن فرّجت عن نفسي  
بكثرة تناول الصمبانيا ، فوجئت حين نظرت الى نفسي في المرآة ، مخز  
وقبح وتعبت من أن تكون أضرار الحب مرعبة الى هذا الحد ، وفجأة  
اتحدت الطائفة بشكل مستقيم ، غير أنها سرعان ما استعادت توازنها  
واستمرت في طيراتها نخب بين اللطافات ، واستعمل الأمر بالعودة الى  
اللقاقد . عرجت مسرعاً وفي رأسي أمل ، وهو أن تعمل الاضطرابات  
الربانية على ايقاظ الحساء ، وأن تضطرها على اللجوء الى ذراعي هروباً  
من الرعب . وبسبب استعجالي كنت على وشك أن أدوس نظائرات  
الهولندية ، وكان يسمدني أن يقع ذلك . غير أنني عدت اليها ورفعتها ثم  
وطحتها في حضنها ، وفحرت فجأة بأنني كنت محظوظاً لأنها لم  
تلتخر هي قبلي الزم أربعة .

كان نوم الحساء لا يغلب ، وعندما حادث الطائفة الى استقرارها ،

كان عليّ أن أقارم بعض الوسوس التي كانت تدهمني الى مرها بأله  
حجة كنت ، لأن الشيء الوحيد الذي كنت أتمناه في تلك الساعة  
الأخيرة هو أن أرهاها بقطعة ، حتى وإن كانت في حالة غضب ، لكن  
أستطيع أنا استعادة حريتي وربما لباني . غير أنني لم أكن قادراً على  
ذلك . « اللسة » ، قلت لنفسي بنوع من الاحتقار . لماذا لم أولد في برح  
الثور ؟ . استيقظت بدون مساعدة من أحد ، عندما التفتت اعلاات  
الهوط ، وكانت جميلة ونضرة كما لو أنها نامت في حديقة ورود .  
حينذاك فقط أدركت بأن اللتين يجلسون الى جانبي بعض في مقاعد  
الطائرة ، هم أشبه بالأزواج الذين مرّ على زواجهم وقت طويل ، وهم لا  
يحبون بعضهم عندما يستيقظون . لم تحبني هي الأخرى ، رفعت القناع  
وكتفت عينيها المشرقتين وقدّمت مسنداً للمقعد الى الأمام ، ثم دفعت  
بالبطانية الى جانب وهزّت رأسها ليعود شهرها المنفوش الى حالته  
للأوقفة لمحتضت يداها مدغوماً بوزنه الخاص . وضعت حلبة الزينة في  
حضنها من جديد وتزيّنت بشكل سريع وسطي استمر حتى فتح أبواب  
الطائرة لمخافة النظر لي . عندها ليست متزنتها للصنوعة من حلد الوثيق ،  
وكادت أن تحرّ من فوقي متعللة اعتذاراً شكلياً بلغة اسبانية غامضة  
للتكلمي امريكا اللاتينية ، وغادرت دون أن تودعني ، ومن غير أن  
تشكرني على الأقل لكثرة ما فعلته في سبيل ليلنا السعيدة تلك ،  
وانتظت لغاية خمس يوماً هذا في أمازون ، نيويورك .

بولو ( حزيران ) ١٩٨٢

### أحلام للايجار

في التاسعة صباحاً ، بينما كنا نتناول الفطور في غرفة هانانا  
ريخرا ، تحت شمس مشرقة ، ولعت موجة بحرية هائلة العنيد من  
السيارات التي كانت تمر في الطريق المفضة على رصيف الشاطئ ، أو التي  
كانت متوقفة الى جانب الطريق ، والنصفت واحدة منها بالفعل تلك  
الضربة بأحد حوائط الفندق . هذا ذلك وكأنه انفجار ديناميكي زرع  
الرعب في الطواق العشرين للباية ، وحول الواحدة الزجاجية الملونة  
للمدخل الى تراسه . وانقضت معهم قطع الآلات ، وأصيب بعضهم  
بحروق . بسبب تساقط الزجاج المنهشم عليهم ، كان ارتطاماً هائلاً ،  
حيث ابتدأت الطريق الواسعة ذات الانجمامين التي تفصل ما بين رصيف  
الشارع والفندق ، لم تحم وصول المروحة الى واحدة الفندك الزجاجية  
وتحطمها .

جمع المتطوعون الكوبيون الذين يغلب عليهم طابع السرور  
وبمساعدة رجال الاطفاء بقايا الحطام في أنل من ست ساعات وأغلقتوا  
الناب المائلة على البحر وفتحوا أخرى وعاد كل شيء الى طبيعته . ولم

يشغل أحد خلال الصباح بالسيارة التي اتصلت بجدار الفندق لظنهم بأنها كانت من بين السيارات المتوقفة عند الرصيف . ولكن الزائفة عندما أخرجتها من مكانها ، اكتشفوا جثة امرأة محبسة في مقعد السائق ومشبوكة بحزام الأمان . كانت ضربتها قتيلا إلى الحد الذي لم يهتروا على أي عظم سليم في جسدها . كان وجهها قد تشوه وحللتها قد تشقق وملابسها قد تمزقت ، وكان في يدها خاتم ذهبي بصورة أنثى ذات عينين من الزمرد . فوصلت الشرطة إلى نتيجة أن تلك المرأة لم تكن سوى رئيسة الحادعات في بيت السفير البرتغالي الجديد . ولعلها قد كانت قادمة مع امرأة السفير إلى « هافانا » قبل خمسة عشر يوماً من الحادث ، وكانت في صباح هذا اليوم قد عرجت إلى السوق في سيارة جديدة . لم يكن اسمها بالنسبة لي أي شيء عندما قرأت الخبر في الصحف ، ولكن خاتمها الذي كان على شكل أنثى وعينين من الزمرد آثار فضولي . ومع ذلك قالني لم أستطع التحقق من الاصبح الذي كانت تلبس الخاتم فيه .

كانت هذه نقطة حاسمة . لأنني كنت أخاف أن تكون تلك المرأة التي لا أنسى والتي لم أهرأ اسمها الحقيقي مطلقاً . وكانت تستعمل دائماً كلها في صباها اليمنى ، ولم يكن ذلك مألوفاً حينذاك . كنت تعرف عليها . قبل أربعة وثلاثين عاماً في « فينا » ، بينما كنت أكل السجق والصبيدة الساخنة وأتربيرة البراسيل في حانة يتردد عليها طلاب أمريكا اللاتينية . كنت أصلاً من « روما » في صباح ذلك اليوم ، ومازلت أذكر دهشتي الكبيرة بحجم وسمة صدرها الشبه بصدر مطربة اوبرالية ، وذبول التمايل الهزيل اللطيف في عنق المعطف ، وذلك الخاتم

المصري بصورة الأنثى . ظننت حينها بأنها كانت النسابة الوحيدة في تلك الحانة الخشبية الطويلة ، لتكلمها لغة اسبانية بدالية وبدون نفس أثناء الحديث على طريقة هالسي المحروقات . غير أن الأمر لم يكن كما تصورت ، لأنها كانت مولودة في « كولومبيا » ، وكانت قد ذهبت إلى « المساء » في فترة ما بين الحربين ، عندما كانت طفلة للدراسة الموسيقى والغناء . في تلك الأثناء كانت في حدود الثلاثين وإن كانت تبدو أكبر ، ويظهر أنها لم تكن جميلة في أي حرة من فترات حياتها وبدأت تتشيخ قبل موعدها . ولكنها كانت أنثى رائعة وخفيفة جداً في نفس الوقت .

كانت « فينا » ما تزال مدينة امبراطورية قديمة ، وكان موقعها الجغرافي بين عالمين لا يلتقيان كثرة للحرب العانية الثانية ، قد جعل منها قبلة للسوق السوداء والتجسس العالمي . لم يكن بإمكانني أن أتخيل يوماً أفضل لآبته بلادي اللاجئة تلك التي كانت حريصة على تناول طعامها في تلك الحانة الطلائية الواقعة في إحدى الزوايا ، ولم أكن أتصور بأنها كانت تقبل ذلك لحرمة وقتها لأصلها ، لأنها كانت تملك من الموارء الفائقة التي تبيع لها عمراء الحانة تقدماً بما في ذلك الزينة . لم تذكر اسمها الحقيقي مطلقاً ، وكنا ندعوها باسم جرعاتي يصب نطقه الخمره طلاب أمريكا اللاتينية المقيمين في « فينا » وهو : « قراو فريدا » .

وبمجرد أن لدنوها لي ، اترفت تلك السفاهة السعيدة بسؤالها عن سبب استقرارها في عالم تشبه الاختلاف والبعيد عن قسم أقليم « الكندي » العاصفة ، فردت علي دفعة واحدة :  
- أوجر نفسي لكي أحلم .

كان ذلك ، في الحقيقة ، عملها الوحيد . كانت ثلاثة اخوتها  
الأحد عشر من أبناء صاحب حجر مزدهر من القلم ، كالدلس ، القديم ،  
وعند أن تعلمت الكلام قامت بتأصيل تلك العادة الحسنة بروايتها الأحلام  
قبل الفطور ، وهي الساعة التي تكون فيها ملكة الكهانة عندها أكثر نقاء  
وفي الساعة من عمرها حلمت بأن أحد اخوتها قد اكتسحه التيار . قامت  
الأم ، وبدافع اعتقادها الديني ، بمنع الطفل من السباحة في النهر ، وهو  
أكثر شيء كان بهواه الصغير . وصار له « فراو فريده » حد ذلك لسلوبها  
الخاص في الكهانة .

— هذا الحلم لا يعني بأن الطفل سوف يغرق ، قالت ، بل عليه ألا  
يأكل الحلوى .

لن تفسر الحلم بتلك الطريقة كان يبدو كمقاب للطفل في الخامسة  
ليس باستطاعته المشي بدون حلويات أيام الأحد . وبما أن الأم كانت  
منقمة بملكات الكهانة لدى ابنتها ، فأنها أحرمت تحديقها ذلك ولفظه  
بيد حديدية . وفي أول فرصة توفرت للطفل حين كانت أمه حافلة عنه  
ابتلع قطعة من الحلوى خفية وعلى عجل ، فاحتقن بها ولم يمكن بالامكان  
التقاضه .

ولم تفكر « فرلو فريده » بأن قدرتها تلك كانت صالحة لتكون  
مهنة ، حتى أفسدتها الحياة من ثلاثين في ثلاثين « فينا » القاسية .  
وعندما دقت باب أول منزل رغب في المشي فيه ، سألوها عن الأبناء  
التي تجدها ، فأجابته ولم تكلم : « الحلم » . ولم تحج إلا إلى تفسير

بسيط لكي تقبل بها رؤية البت بمرتب لم يكن يستحقه بالكاد مصاريفها  
الغيلة ، غير أنهم وفروا لها غرفة جيدة وثلاث وجبات عطائية . وكان  
الفطور أفضل وجبة ، لأن العائلة كانت تجلس في تلك الأثناء لغرفة  
مصائر كل فرد من أفرادها : الأب رجل مهذب يهوى من الإيجارات ،  
الأم امرأة سعيدة تعشق الموسيقى الكلاسيكية الرومانسية ، وطفلان بصر  
أحد عشر عاماً وتسعة أعوام على التوالي . كانوا جميعاً متدينين ، ولهذا  
فإنهم كانوا ميالين إلى الحرافات المبهجورة ، فاستقبلوا « فراو فريده »  
بفرح كبير ، وكان التزامها الوحيد تجاههم هو التكهّن اليومي بمصير  
العائلة من خلال الأحلام .

أحداث مهمتها لوقت طويل ، وعلى الخصوص أثناء سنوات  
الحرب ، عندما كان الواقع أشد سوءاً من الكوابيس . وكانت هي الوحيدة  
التي تستطيع أن تقرر في ساعة الانقراض ما ينبغي أن يفعله . حتى تحولت  
تشخيصاتها إلى السلطة الوحيدة في المنزل ، وأصبحت سيطرتها على  
العائلة مطلقة : وحتى التهدئة الحقيقية لم يمكن بالامكان سماعه إلا بأمر  
منها . وعمل جود في « فينا » كان صاحب المنزل قد تولى لدوره ،  
وكان قد أوصى لها بحزم من موارث الإيجارات ، وكان لمرطبه الوحيد في  
ذلك هو أن تقوم على رؤية الأحلام للعائلة حتى النهاية .

كنت في « فينا » لمدة تزيد على الشهر ، أشارك فيها الطلاب  
ظروفه القاسية ، بينما كنت أنتظر بعض القود التي لم تصل مطلقاً .  
وكانت لثربارات المفاجئة والكرامة التي تقوم بها « فرلو فريده » آنذاك  
للحانة ، وكأنها أعياد ترضع حياة الفترة التي كُتبت لمر بها . وفي إحدى

الهائي عندما كانت الفصوص قد تحمست بفعل البهرة ، همت في أذني  
قائلة باقتناع لم يكن يسمح بانضاعة الوقت :

- جئت فقط لأخبرك بأنني حلمت في الليلة الماضية بأني كنت  
معك . عليك أن تغادر بسرعة ، وألا تعود إلى « فينا » في السنوات  
الحسن القادمة وكان انصاعها حقيقياً إلى درجة أنها لم يهدأ لها بال حتى  
ركبتي في قطار الليل الأخير للغادر إلى روما . وصرحت أنا من جانبي  
بأن الوهم قد تسلط عليّ منذ ذلك الحين ، واعتبرت نفسي ناهياً من  
كثرة لم أخبرها أبداً ، ولم أهد إلى « فينا » حتى الآن .

ولبل كاثرة « هافانا » ، كنت التفتت إلى « فراو فريدة » في  
« برشلونة » ، بطريقة غير متوقعة ومن بنات الصلغة ، بحيث بدت لي  
وكانها سرّاً ، حدث ذلك في نفس اليوم الذي وطئت فيه قدماً « باهلو  
نيرونا » الأراضي الإسبانية بعد الحرب الأهلية عند توقفه هناك ضمن سفرة  
بحرية بطيئة إلى « فالنسيا » ، « بيلبي » ، أمضى معاً صباحاً كاملاً يطارد  
فيه الكلب في المكبات المختصة ببيع الكلب القديمة ، واشترى في « بورتره »  
كتاباً قديماً فقد غلظه وذهبت أوراثة ، ودفع ثمنه الذي كان يعادل مرتبه  
كفصل في « رانغول » لمدة شهرين . كان يتحرك بين الناس وكأنه فيل  
حاجز ، بلغم اهتمام طفولي بالميكانيكية الداخلية للأشياء ، بحيث أن  
العالم كان يبدو له وكأنه لعبة وتربة كبيرة تخترع الحيلة بواضعها .

لم أتعرف في حياتي على إنسان عبيد به يمكن أن تنطبق عليه  
وجهة النظر التي يملكها أحدنا عن « بابا » نهضوي : أكرول ومهذب .

وكان يرأس العائلة دائماً حتى وإن كان غلباً لأرادته . وكانت زوجته  
« مائليدي » تعلق على صدره مبدعة هي ألبه بصدور الحلاقين منها بمبدعة  
الطعام ، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة لتفادي أن يسمح في المرق .  
وكان ذلك اليوم في « كاراباس » يوماً لن ينسى ، فقد التهم بالكامل  
ثلاثاً من جراد البحر ، قطعها بأستاذة الجراح ، وكان في نفس الوقت  
يلتهم بعينه صحون الآخرين كلها ويتناول منها جميعاً بليلة معدية تثير  
الشبهة للطعام : محار « حليقيا » و«علاميات » كانتابريا « والوز البحرى  
ل « اليكاني » والاسبردينا للساحل القطلوني . وكان في تلك الأثناء  
يتكلم مثله مثل الفرنسيين عن ملطات الأطعمة الأخرى ومنها على  
الخصوص « ريمبات » و« شربات البحر لما قبل التاريخ في « بيلبي » التي  
كان يحملها في القلب .

ولجأة كلف عن الطعام وأرغف احسامه مثل سرطان بحري وقال  
لي بصوت شديد الانخفاض :

- أحد ما غلغلي بعل النظر فيّ .

نظرت من فوق كنفه ، وكان متحفاً فعلاً ، وراعه وعلى بعد ثلاث  
مواليد منه ، كانت هناك امرأة رابطة الحلقى ، تلبس قمّة قديمة من البلد  
ولففاً بنفسجياً وهي تفضع الطعام بطناً وعيناها محدقتان فيه . عرفها  
في الحين ، مع أن الشصوعة قد أدركتها وسفت ، ولكنها كانت هي  
نفسها ، وفي ضبابها الحاتم الذي كان على صورة أفس . كانت مسافرة  
من « نابولي » في نفس البانخرة التي كانت تقلّ عائلة « نيرونا » ، غير

أنهم لم يكونوا قد انتقوا في السفر دعوناها إلى شرب القهوة على ما لدينا  
وحسنتها على الكلام عن أحلامها لا تارة دمنة الشاعر . ولكنك لم يهتم بها  
لأنه قرر منذ البداية بأنه لا يؤمن بتكهنات الأحلام . وقال :

- إن البصرة لا تكمن إلا في الشعر .

وبعد الغداء ، وهي نزهتنا التي لأبد منها في « لاس وافيالس » ،  
تأخرت عن قصد لأكون مع « فرلو فريده » لبحث ذكرياتنا مون أن نسمنا  
كذلك فريده . روت لي بأنها كانت قد باعحت ممتلكاتها في « السما » ،  
ودفعت لحيث في « بورغو » بالترحال كمنفعة ، تسكن في منزل  
وصنعته لي على أنه شبه بقصر مزينة كان على تل ، وتستطيع أن تتأهده  
مع المحيط كله لنابة أمرها اللاتينية . وقد بدا لي بوضوح ، وإن لم نقله  
في أثناء حديثها معي ، أنها تسلطت بأحلامها للنواصية على لرواة أرياب  
منها الذين يصعب تعاليم في « غيا » . ومع ذلك فأنها لم تتر في أي  
رد فعل ، لأنني اعتقد دائماً بأنه أحلامها لم تكن سوى نوع من الاحتيال  
في ميل لقمة العين . قلت لها ذلك ، فأطقت فقهقة قوية يصعب  
مقاومتها وقالت لي : « ما زلت جريداً كما كنت » . ولم ترد على  
ذلك لأن بالي المسمومة كانوا قد توقعوا لانتظار « نيرودا » لكي يذهب  
كلامه مع بغاوات وباللهجة التبيلية في سوق الطيور في « لاس  
رامبلان » . وعندما عدنا إلى حديثنا « غيوت » فرلو فريده « الموضوع  
وقالت لي :

- بالمناسبة ، يمكنك الآن أن تعود إلى « فينا » .

وعندها فقط تذكرت بأنه كانت قد مرت ثلاث عشرة سنة منذ أن  
نهرنا .

- مع أن أحلامك مزينة ، قلت لها ، فإني لست أعود أبداً للحياة  
والحلم . الخرقا عنها في الساعة الثالثة ، إذ صاحبنا « نيرودا » إلى قبلته  
المنقصة دام قبلته في بيتا بعد إجراء بعض الترتيبات الاحتفالية التي  
كانت تذكر بشكل ما بحفلات الشاي في « اليابان » . استلزم فتح بعض  
الثوابل ولحلاق أخرى للحصول على حزمة الحرارة المغلوبة بالضبط ،  
والحصول على نوع خاص من الصبغ من لجامه محدد ، وأن يجهز « سميت  
النام » . ثم « نيرودا » في الحين واستيقظ بعدها بمشعر دقائق كالانطلاق  
ومون أن توقع . ظهر في الصائرة وقد استعاد قوله وقد انصفت علامة  
الوصلة بخده .

- حلست جلك المثلثة التي تحمل ، قال .

طلبت منه « مايلدي » أن يروي لها حلمه ، فقال :

- حلمت بأنها كانت تعلم بي

- هذا ثراث « بورجيس » ، قلت له .

نظر إلى مترجماً .

- هل هو مكتوب ؟

- إن لم يكن مكتوباً ، فإنه سيكتبه مرة ما ، قلت له . سيكون  
واحد من متاعته .



ولم يكده نروفا أن يبعد إلى ظهر السفينة ، حتى ودعنا على  
عجل وجلس إلى منصة متروية وبدأ يكتب الشعر بانطلاق برهته ذات  
الجزر الأخضر التي كان يرسم بها الزهور والاسماك والطيور إلى جانب  
كلمات الأهداء في كتبه . وعندما سمعنا صغر الباهرة التخليدي الأول ،  
بحشا من فلول قريفة ، وأخيراً عثرنا عليها على ظهر الباهرة مع بعض  
السباح وكنا على وشك مغادرة الباهرة دون أن نودعها . كانت هي  
الأخرى قد احتفظت من قبلولها لنتر .

- حلمت بهتاسع ، فالت لنا .

طليت منها ، مندهشاً ، أن تروي لي الحلم .

- حلمت بأنه كان يحلم بي .

سبب لها وجهي الذي بدت عليه علامات الاندهاش نوعاً من الحيرة ،

فقلت :

- ماذا تريد ؟ يصرخ أحياناً بين هذا الكم من الأحلام حلم قد لا  
تكون له أية صلة بالحياة الواقعية .

لم أرها بعد ذلك ولم أسأل عنها حتى سمعت بقصة الخاتم الذي  
هو بصورة أنمي ويعود لامرأة توليت لي تلك العاصلة عند فندق  
دريغرا . ولهذا غائتي لم استطع مقاومة رغبتي الحاصصة في توجيه  
الأصيلة إلى السفير البرتغالي عندما التقينا في إحدى الحفلات الدبلوماسية  
بعد الحادث بجمهور .

تحفت السفر عنها بحماس واصحاب كبرين : لا يمكن أن  
تصوركم كانت رائمة ، قال هذا وأضاف : كنت بالثأيد متكتب  
عنها قصة ، لو أنك عرضها .

ولستمر تحدثت عنها بنفس الحماس ، ذاكراً تفاصيل مدعشة ،  
ولكن دون أن يعطيني أي دليل يساعدني على استخلاص نتيجة نهائية  
مأته أحرأ :

- ماذا كانت تفعل بالتحديد ؟

- لاني ، قال لي بنوع من خبة الأمل . - كانت تعلم .

مارس ( آذار ) ١٩٨٠

## ما جئت إلا للتحدث بالهاتف

في أسبوعه رابعة مطرة ، علما كانت « ماريا دي لالوث ثوبانيس » صافرة تسوق سياراتها المستأجرة نحو « برغلونة » ، أصبحت مركبتها يعطل في صحاري « لوس مولينروس » ، كانت « ماريا دي لالوث » خاة ميكسيكية جميلة وجادة في السابعة والعشرين من العمر . وكانت قبل ذلك بأعوام قليلة قد اشتهرت نوعاً كممثلة تقوم بأدوار مختلفة ، وكانت متروحة من سحر ومحمود يؤدي عمله في الصالونات والحفلات ، وكانت ذائعة للقاءه مساء ذلك اليوم بعد أن زارت بعض أقرانها في مدينة « سرقسطة » . وبعد ساعة من الاشارات اليائسة للسيارات وقناصات الأحمال التي كانت تمر بسرعة وسط المرافد ، عطف عليها سائق حافلة نصف مستهلكة وتوقف لها . وقد خفها ، في الواقع بأنه لم يكن يقصد مكاناً بعيداً

- لا يهم ، قالت ماريا ، مائسة الوحيد الذي أحتاج إليه هو الثقلون . كانت صديقة لأنّ المائسة الوحيد الذي كانت تريد هو اخبر زوجها بعدم وصولها قبل السابعة مساء . كانت تبدو مثل عصفور ملول ، بمظهرها الطلائع وحذاء الشاطئ في شهر أبريل ، وكان فخرها

بسبب الحادث كبيراً مما أنشأها مفاتيح السيارة . وإلى جانب السائق كانت توجد امرأة ذات هيئة عسكرية ولكن بملوكة لطيفة ، فسحت لها مجالاً إلى جانبها وأعطتها مشقة وبطانية . وبعد أن نثقت « ماريا » نفسها جزئياً ، جلست والتفت بالبطانية ثم حاولت اشعال سيجارة ولكن علة الكبريت كانت مبللة أضعلت لها جارتها اللقافة وطلبت منها واحدة من السجائر القليلة التي لم تبطل . استسلمت « ماريا » لرغبتها في الترويح عن نفسها فخرج صوتها أقوى من صوت المطر وطققة الحافلة ، فقاطعتها المرأة بإشارة منها بوضع سابتها على فمها ، ثم همت :

- أنتن لاكمات .

نظرت « ماريا » من فوق كضها ورأت بأن الحافلة كانت تحمل نساء بأعمار مختلفة وطيقات متنوعة عذرات بطانيات مسبهة ببطانيتهن انتقلت إليها عدوى الهدوء فهاوت في مقعدها واستسلمت لصوت المطر . وعندما استفاقت وجدت بأن الوايل قد انتهى إلى برد رتيب . لم تكن « ماريا » تعرف كم من الوقت استغرق نومها ولا في أي مكان من العالم كانت توجد في تلك اللحظات . كانت جارتها في المقعد يبدو أكثر احتشاشاً وتوتراً :

- أين نحن ؟ سألتها « ماريا » ، فأجابت المرأة قائلة :

لقد وصلنا .

كانت الحافلة تندخل فناء حجراً لبناء ضخم ومكفهر كأنه دير قديم

في غابة من الأشجار المقطوعة . كانت المسافرات جالسات في أماكن دون حركة ولم يكن في الحافلة سوى ضوء هزيل ، ولم يتحركن إلا بأمر المرأة ذات الهيئة العسكرية التي طلبت منهن الدور بانتظام شديد وكانهن تلصقات في روضة أطفال . كن كبيرات وكن يتحركن بتفتير شديد في ظلام الفناء وكانهن أنصباح حلم . كانت « ماريا » آخر من نزل وظلت بالنهن راهبات ، ولكن فكرتها هذه تغيرت عندما شاهدت العديد منهن بلباس موحد يتم استقبائهن عند باب الحافلة وتنفط رؤوسهن بالبطانيات لكي لا يتبللن ثم يقفن في طابور ويقودونهن بممرات انقاض وسرعة على الأكف ، وبعد أن ودعت « ماريا » جارتها في المقعد ، أرادت أن تعيد إليها البطانية ، ولكن الجارة نصحتها بأن تنظي رأسها بها لنقطع الداء ثم تركها عند الأبواب .

- هل يوجد تلفون ؟ سألتها « ماريا » .

- طبعاً ، قالت المرأة . هناك سيلوتك .

وطلبت من « ماريا » سيجارة أخرى ، فأعطتها هذه العلة المبللة بما فيها من سجاير ، وقالت لها : « ستجلف في الطريق » . أشادت المرأة بلباس مودعة من سلم الحافلة وقالت بصوت مرتفع : حقاً صعيداً ، وتحركت الحافلة بعدها دون تباطؤ .

أضلعت « ماريا » مجري نحو مدخل البناء ، ولكن أحد الحراس أراد ان يستوقفها بضربة قوية على كفها ثم أردها بصرخة قوية : « قلت لك توقفي » .

نظرت « ماري » من تحت العنانة فرأت هذين زجاجيين جامدين  
وصباة امرأة تنسج الى الطابور « طاطات » . وعندما وصلت الى دحلز  
الباه « افرقت عن المجموعة وسالت التواب عن التلفون « غير أن أحد  
الحراس أعادها الى الطابور راجتاً على كنفها ولاتاً لها بأسلوب مهذب :

- من هنا « أينما الجمينة « من هنا التهور

نمت « ماري » النساء الأخريات في تمر منم « وأخيراً دخلت الى  
صالة نوم جماعة « وهناك استلم الحراس الأغطية وبدؤوا بتوزيع الأسرة «  
وأخذت امرأة أخرى « بدت لـ « ماري » أكثر إنسانية وأعلى رتبة من  
جارة الحافلة « أصبحت تدور على الطابور من أوله وحتى آخره وبداها  
قائمة للتأكد من أسماء الراصات المديبات اللاتي كن يحملن أسماهن  
مكتوبة على قطعة من ورق الكرتون المعلقة في صدرياتهن . وعندما  
وصلت الى « ماري » استغربت لأنها لم تكن تحمل أية ورقة تعرف بها .

- إنني جئت للحدث بالهاتف فقط . قالت لها « ماري » .

حككت لها على وجه السرعة بأن صيارتها كانت قد تعطلت في  
الطريق العام وإن زوجها « ساحر الحفلات » كان ينتظرها في « برملوة »  
لأداء ثلاثة التزامات متتالية حتى منتصف الليل « وأنها كانت تريد اخباره  
بعدم تمكنها من الوصول في الوقت المناسب . كانت الساعة تقترب من  
السابعة « وكان على زوجها الخروج من البيت بعد عشر دقائق « وكانت  
« ماري » تخشى أن يلقي كل التلذذات بسبب تأخرها . وبدا لها بأن  
الحارسة كانت تسمع اليها باهتمام :

- ما اصحك ؟ قالتها .

نظرت « ماري » اسمها مشغوعاً بحسرة ارتياح « ولكن المرأة لم  
تثر على اسمها على الرغم من مراجعة القائمة هذه مرات . سألت  
الحارسة وقد سيطر عليها القلق . امرأة أخرى « ولكن هذه هزت كتفها  
دون أن تنسج بكلمة .

- إنني جئت للحدث بالهاتف . قالت « ماري »

- حسناً « أينما الضبورة « قالت لها الزبينة وقادتها نحو سرورها  
بأسلوب لطيف ومكتلف . - إذا تعرفت جيداً « مستضيفين التحدث  
بالهاتف مع من تتأين « ولكن خذاً وليس الآن .

حدث آنذاك شيء « في ذهن « ماري » حملتها تفهم لماذا كانت  
النساء في الحافلة يتحركن بطريقة وكأنهن في صق حوض من لئاء .  
كانوا قد استعملوا بعض المسكات لتهديتهن « وإن ذلك القصر العاري  
في العتمة ذا المديان السبكة الثينة من الحجر والسلام الباردة « لم يكن  
حوى مشغلي للمصائب بالأعراض العظيمة . هربت « ماري » مرتمة من  
صالة النوم « وقبل أن تصل الباب قبضت عليها حارسة عملاقة كانت  
تنسج بدلة ميكانيكي ووجهت لها صرة بانفتاح العمومي الذي كانت  
تحمله فطرحتها أرضاً « نظرت اليها « ماري « بخوف عينيها وهي مشلولة  
من الخوف .

- في حيل الله « قالت . أقسم لك بأني المرحومة « بأني لم أجيئ  
الى هنا الا للحدث بالهاتف .

وكفتها رؤية وجهها لتعلم بعدم جدوى التوصل بها ، تلك  
الجنون ، لاسية البلية التي كانوا يسمونها « هرقة » لقوتها الفاتفة ، كانت  
مكلفة بالحالات الصعبة ، وكانت التثاقل من التزلزلات قد ماتت من قبل  
مضنوقتين بذراعهما الشيء بلراع دب قطبي مدرّب على فنّ القتل بسبب  
الاهمال ، وتمّ حل القضية الاولى على أنها حادث متعقّب منه ، وكانت  
الثانية أقل وضوحاً .

وقاموا بتوبيخ « هرقة » وتحذيرها من أنهم في المرة القادمة  
سينتقون بعض من ظروف الموت . وكانت الأقوال الشائعة تحكي بأن  
تلك الشاة الضالّة ذات الاقلاب الكبيرة ، كانت ذات صبرة حكرة مليحة  
بالحوادث الفاضحة في العديد من مستشفيات المجانين في « امباليا » .

ولم تم « ماريا » في تلك الليلة الا بعد أن حقنوها بمخوم ، وعندما  
استفاقت قبل طلوع الصباح مدفوعة بفهمّة التدخين . وجدت نفسها  
مربوطة من معصمها وكعبها الى قوائم السرير ، ولم يحضر أحد لتحدثها  
رغم صراخها . وفي الصباح وبينما لم يجد لها زوجها أي أثر في  
« برشلونة » ، اضطروا الى أخذها الى المستشفى لأنهم وجدوها قد فقدت  
الاحاسن ، وانها كانت غارقة في وسط بحيرة من القنارات الشطبية .

وعندما عاد اليها احساسها لم تكن تعلم حقيقة الوقت الذي مرّ ،  
وكان العالم قد تحول الى غدير من الحب ، وكان يوجد مقابل سريرها  
مجنون كأنه النحال . يمشي على باطن قدميه وله ابتسامة تمت على الحذر  
والذي أعاد اليها سعادة العيش بالاحساس لها لمرتين . أنه مدير المستشفى .

وقل أن تكلمه « ماريا » لمرّته ، وطلبت منه سيجارة ، فاعطاها واحدة  
بعد اشمالها ثم أهداها العلبة التي كانت فيه مخلوطة . لم تتمكن « ماريا »  
من كبح نظيرها .

- استغلّي الفرصة الآن وابكي قدر ما استطعت . قال لها الطبيب  
ذلك بصوت يبعث على النوم . - ليس هناك علاج أفضل من النوم .

روّحت « ماريا » عن نفسها بدون خجل ، ولم تكن من قبل قد  
بكت بتلك الطريقة ، حتى مع عشاقها العابرين في لحظات الضجر التي  
تضرب عارسة الحب . وفي الوقت الذي كان الطبيب يستمع اليها ، فإنه  
كان يرتّب سريرها في نفس الوقت ويصلح وضع الوسادة لكي تستطيع  
النفس بشكل أفضل ، وكان يقردها في مناهة تذكرونها بحكمة ولطف  
لم تعلم بهما أبداً . كانت المرة الاولى في حياتها أن تحصل معجزة كهذه ،  
وهو أن يفهمها انسان ويستمع اليها بكل روحه دون أن يتنظر لقاء ذلك  
بأن يضاجعها . وبعد ساعة طويلة ، حيث روّحت عن نفسها ، طلبت  
منه أن يسمح لها بالتحدث مع زوجها بالهاتف .

عاد الطبيب الى حية التي تخوله اياه منزله وقال لها : « ليس  
الآن ، أيتها الملكة » . وقامب غذاها بمحتان لم تشر بمثله من قبل مطلقاً .  
« سيكون كل شيء في وقته » ومن عند الباب قام لها بحركة استقلية  
واحتضني الى الأبد بعد أن قال :

- تقي بي .

في مساء ذلك اليوم تم تسجيل « ماريا » في ذلك الملجأ تحت رقم متسلسل ، إضافة الى تعليق مطبوع بخصوص طريقة وصولها الغامضة والشكوك الخاصة بهويتها . وعلى المانش بقيت ملاحظة المدير المكتوبة بخط يده : هاتحة . ومنما توقعت « ماريا » كان زوجها قد خرج من شقته للتراضعة الكائنة في حي « أورنا » بعد نصف ساعة من مواعده المقرر لتنفيذ التزاماته الثلاثة

كانت المرة الأولى التي لم تصل بها في الوقت المحدد . في مدة تقارب العامين حيث ربطتهما علاقة حرة ومنسجمة . وقد فهم هو ذلك الأخير على أنه نتيجة للأمطار الشديدة التي عصفت بالانليم في نهاية ذلك الامسوع . وقبل مغادرته ، ترك لها رسالة تبتها على الباب ، يصف فيها تحركاته لتلك الليلة .

في الليلة الأولى حيث تنكر جميع الأطفال بصورة حيوان الكفخر ، استغنى عن المكينة النحمة للأصاكا التي لا ترى ، لأنه لم يكن يستطيع تنفيذها بدون مساعدتها ، وكان التزامه الثاني في بيت امرأة عجوز لها ثلاثة وتسعون عاماً . كانت تتحرك على كرسي ذي عجلات وتتخبر لاحفالها بكل عهد من أعواد ميلادها للسنوات الثلاثين الأخيرة بمصور ساحر جديد . وكان هو مرتبكاً بشكل كبير لتأخر « ماريا » مما أفضده التركيز ولم يوفق حتى في أبسط ألعابه ، وكان ثالث التزاماته التزاماً ثانياً و ليلياً يتغلب في منتهى تعزف فيها موسيقى « الكونشرت » في « لاس راملاس » ، حيث قام بعمله دون اهتمام بحضور مجموعة من السياح الفرنسيين الذين رفضوا تصديق ما كانوا يرون لأنهم لم يكونوا يؤمنون

بالسحر . وبعد الانتهاء من كل التزام ، كان يتصل بيته بالهاتف وينظر صلي أن ترد عليه « ماريا » .

وفي طريق عودته الى بيته بشاحته الصغيرة المملة لتقديم الخدمات العمومية ، شاهد بوادر فصل الربيع على أشجار النخيل التي ترين شارع باسيودي غراليا ، وألفزته فكرة تحفة مرت بلهه تصور عائلتها المديرة بدون « ماريا » . وتلاشى أمه الأخير عندما وجد رسالته المثبتة على الباب في مكانها ، وسبب له هذا ارتباكاً كبيراً جعله يسي تقديم الطعام الى القطة . وبسبب كياشي ليلها الآن ، ماثني أنبه الى جهلي لاصمه القواقسي ، لأنها في « برشلونة » كما لدعوه بانسمه المنهي « ستورنو الساحر » ، كان غريب الأطوار ويمتاز ميلاده اجتماعية تألي الاصلاح ، غير أن الاحسلي والظرفة اللذين كانا يتبعانه ، كانت « ماريا » تتمتع بمدر كبير منهما . فهي التي تقوده من بيده في تلك الأجواء ذات الأسرار الكبيرة ، حيث يعجب الالتقاء بشخص آخر غيره يقوم بالانصال بالآخرين مثلباً للسؤال عن زوجته . لعل « ستورنو » ذلك أكثر من مرة في بداية محبة . ولكنه اكتفى في هذه الليلة بالانصال به « مرقسطة » ، حيث ودت عليه إحدى الحداث نصف نائمة ، وبهدوء مشر بأن « ماريا » قد عاشرت بعد طعام الغداء . لم يتم الساعة واحدة ، رأى ثنائها حلقاً تقبلاً أنبه بالكناوس ، بدت به « ماريا » مرتدية ثوب مرس بمرق وملطبخ بالدعاء . وعندها استيقظ مستسلماً لشكوكه المرعبة بأن « ماريا » عادت الى تركه لوحده ، ولكن بصورة لهالة هذه المرة ، في هذا العالم الفسيح بولها .

كانت قد فعلت ذلك من قبل ثلاث مرّات مع ثلاثة رجال مختلفين، من قِبلهم هو، في الأرواح الخمسة الأخيرة. كانت قد هجرته في مدينة «الكسيك» بعد تعرفها ستة أشهر حيث كانا يحضران من السعادة بفعل حبّ محزون في غرفة الخدم باقاة «التوريس». وفي صباح أحد الأيام افتقدوا «ماريا» التي لم تعد إلى البيت بعد نضائها لبنة خليعة وفاضحة. تركت كلّ ممتلكاتها وحى غلام زوجها السابق مع رسالة تقول فيها أنها غير قادرة على تحمّل عذابات ذلك الحبّ الغاوي. ظنّ «ساتورلو» بأنها قد عادت إلى زوجها الأول، أحد رعاة الدراسة ومُفكر مندمعة ثانوية، والذي كانت قد تزوجت به عشية قبل بلوغها من الرشد، والذي تركته بعد عامين وذهبت مع آخر دون أن تربطهما علاقة حبّ. ولكن مهلاً: كانت قد عادت إلى منزل والديها، وذهب «ساتورلو» إلى هناك للبحث عنها بأيّ ثمن، ترسّل بها بدون أية شروط ووعدها بالتملّك أكثر مما كان يحصل في السابق، ولكنّه اصطدم بقرولها الذي لا رجعة فيه: «هناك علاقات حبّ قصيرة وأخرى طويلة»، قالت له وعصمت كلامها بلا رحمة قائلة: «وعلاقتي هذه كانت قصيرة». استسلم هو أمام قرولها الحازم. ومع ذلك، وفي فجر يوم جميع القديسين، لدى عودته إلى سكّنه البتيم، وبعد حوالي عام من النسيان، وجدها نائمة على تحت الصالة وعلى رأسها أكليل من الزّهر، مرتدية فستان عروس طويل الخامة ترتديه عادة العرائس الطرلوات.

روت له «ماريا» الحقيقة. كان خطيبها الجديد أرمل وبدون أطفال. صاحب مركز مالي مقبول وعلى استعداد للزّواج وإلى الأبد عن طريق الكنيسة الكاثوليكية، ألا أنه تركها تنتظره بلباس العرس عند

المذبح. قرّر والدها عمل الحفلة بأيّ حال، ونبتت هي اللبنة فرفضت وغنّت مع فرقة الموسيقى الشعبية وأفرطت في الشّرب وفي حالة من الندم الفطيع والظلمر ذهبت عند منتصف الليل تبحث عن «ساتورلو». لم يكن في البيت، ولكنها عثرت على مفاتيح البيت في المزهرة الموجودة في الممر، حيث كانوا يخفونها باستمرار. وفي هذه المرّة استسلمت هي له بدون شروط. وهذه المرّة إلى متى؟، سألتها، فأجابته هي بيت شعري للشاعر «بنيتوس دي موراليس»: «الحبّ خالد ما دام مستمراً». ورغم مرور عامين فأنّه مازال مستمراً.

كانت «ماريا» تبدو أكثر بضوحاً تبخّلت عن أسرارها في أن تصبح غثلة وتفرّغت له هو سواء في العمل أو في السرير. وفي أواخر العام الماضي كانا قد حضرا إلى مؤتمر خاصّ بالسّحرة في «بريغان» بغرلسا، وفي طريق العودة مرّاً ببرشلونة، فأعجبتهما كثيراً وأقاما فيها، وقد مرّت على ذلك ثمانية أشهر، تحسّنت لهما أوضاعهما فاشترتا شقة في الحيّ القطلوني «أورتا»، والكاتبة في مكان صاخب وفي حجارة بلا أبواب، ولكنها كانت كبيرة تكفي لايوا خمسة أبناء. كانت السعادة ممكنة حتى نهاية الأسبوع الماضي، عندما استأجرت «ماريا» سيارة وذهبت إلى «سرقسطة» لزيارة بعض أقربائها، وأعدت بالعودة في الساعة السابعة من مساء يوم الاثنين. وحتى صباح يوم الخميس لم يصل عنها أي خبر.

وفي يوم الاثنين من الأسبوع التالي، اتصلت شركة التأمين على السيارات المستأجرة هاتفياً بينها للاستفسار عن «ماريا». - ليس لي

أي علم بها ، قال « ساتورنو » ، « ابخوا عنها في « مرسطة » ،  
 وإعداد ساعة الطقوس إلى مكانها . وبعد مرور اسبوع ذهب شرطي مدني  
 إلى بيتها يحمل حبر العنور على هيكل السيارة في طريق طبق  
 قرب « قادش » ، على بعد تسعمائة كيلومتر من المكان الذي تركها فيه  
 « ماريا » . وأراد الشرطي أن يعرف إذا كانت « ماريا » تعرف تفاصيل  
 أخرى عن السرق . كان « ساتورنو » حينذاك يطعم قطته ، ولم يك  
 ينظر إلى الشرطي عندما قال له بوضوح إن عليهم ألا يضيؤوا الوقت في  
 البحث عنها ، لأن زوجته كانت قد هربت من البيت ، وأنه لا يعلم  
 مع من ولا إلى أين . كان مقتنعاً إلى الحد الذي فعرفه الشرطي بنوع من  
 عدم الارتياح واعتذر منه على الأسئلة التي وجهها إليه . واعتبر الأمر  
 مغلقاً .

إن الرية بأن تكون « ماريا » قد هربت مع رجل آخر قد تسلطت  
 على « ساتورنو » في فترة أعياد الفصح ببلدة « كاداكيس » ، حيث  
 كانت « روسا ريطاس » قد دعتهما للزيارة بقارب غرامي . كما في  
 « الماريم » ، وهو جزر مزدحم وبأس لـ « اليسار المقدس » في عرس المهد  
 انفراتكوري . مجتمعين حول مائدة حديدية تكني بالكاد لسة أشخاص ،  
 في حين الساكنا عشرين شخصاً . وبعد الانتهاء من العلية الثانية للسجائر  
 في ذلك اللقاء ، وجدت « ماريا » نفسها بدون كبير . امتد ذراع هزيل  
 منطى بشعر رجولي وصوار بروتزي وروماني ليفتح الطريق بين جمهور  
 المائدة وليشغل لها سيجارها ، فكرته هي دون أن تنه إلى شخصه ،  
 ولكن « ساتورنو » الساحر وكه . كان مراصفاً بارز العظام وأمرد . عليه

شعوب لثوث ، وله شعر أسود وطويل على شكل ذيل الحصان يصل إلى  
 محزومه . كانت الواجبات الزجاجية للبار تتحمل بالكاد ربح الشمال  
 الريعة ، ومع هذا فإنه كان يلبس بجامة تصلح للخروج بها إلى الشارع  
 مصنوعة من القطن الصلب وتعلأ بلمسه الفلاحون عادة .

لم يروه بعد ذلك حتى نهاية الحريف في مطعم مختص بتقديم  
 الأسماك في شارع « لابريلونية » ، يرتدي عس لباس السابق ولكنه  
 استبدل ذيل الحصان بضميرة . سئم على الاثنين وكأنه يحيى صديقين  
 قديمين . وبسبب الطريقة التي قيل بها « ماريا » ، وقيلته هي ، صفت  
 « ساتورنو » شكوك مفادها أنهما كانا يلتقيان سرراً . وبعد أيام عشر  
 بالصدفة على اسم جديد ورقم تلفون مكتوبين من طرف « ماريا » في  
 دفتر حناوين العائلة . وبدافع البصرة الجلية للغيرة ، اكتشف أن كانت .  
 ثم إن حالة هذا الطفيلي الاجتماعية عززت من قناعاته : اثنان وعشرون  
 عاماً ، ولد وحيداً لعائلة غنية ، صانع ديكورات لمعارض المودة ، معروف  
 بعلاقاته بالجنسين إضافة إلى تقديمه الخدمات الجنسية المرفوعة الأجر للنساء  
 المزوجات . ولكنه تماثل نفسه لغاية الليلة التي انحفت فيها « ماريا » ولم  
 تعد إلى البيت ، حينذاك بدأ بالاتصال به هاتفياً بشكل يومي ، كل  
 ساعتين أو ثلاث وأبداً من السادسة صباحاً وحتى فجر اليوم التالي ، وبعد  
 ذلك كان يتصل به كلما وجد هاتفاً قريباً منه ، غير أن عدم رد أحد على  
 الهاتف قد زاد من عناءه .

وفي اليوم الرابع ردت عليه امرأة أندلسية أخبرته بأنها لم تكن هناك  
 ألا تقوم بأعمال التنظيف ، « لقد ذهب الآنس » ، قالت له ذلك بنبرة فيها



الكثير من التائل مما فتح جنونه اكثر، ولم يستطع مقاومة اغراء مؤالها  
صاً اذا كانت الآسنة « ماريا » موحدة بالصدفة هناك .

- لا تسكن هنا آية ضاة بهذا الاسم ، آجابه المرافة . - رب البيت  
أعرب .

- إني اعلم ذلك ، قال لها ، لا تسكن هناك ، ولكنها تذهب  
احباتاً الى هذا البيت ، أليس كذلك ؟ .

انفعلت للمرأة وصاحت :

- ولكن من هذا الأحق الذي يتكلم معي ؟

أعاد « ماتورنو » الساعة الى مكانها ، وبدأ له رد المرأة السلي  
بمنابة تأكيد لشكوكه التي أصبحت الآن يقيناً حارقاً . فقد السيطرة على  
نفسه ، وبدأ في الأيام التالية بالاتصال حسب الحروف الهجائية بجميع  
المعارف في « برشلونة » ولم يجد عندهم أي دليل يمكن أن يساعد ،  
وكانت كل مخابرة من مخابراته تزيد من حدة مأساته ، وصار هذباته  
بنداع الخيرة لئالماً بين سهارى بار « اليسار المقدس » ، وكانوا يحبون  
بأنواع من المزج لاثارة معاناته . حينذاك فقط أدرك قسوة وحدته في تلك  
المدنية الرالمة المجتونة والمستنفقة ، والتي لن يجد السعادة فيها مطلقاً .  
وحند الفجر وبعد اطعام القطعة عصر قلبه لئلا يموت واتخذ قرناً بنسيان  
« ماريا » .

وبعد مرور شهرين . لم تكن « ماريا » بعد قد ألفت حياة

المستشفى . لم تكن تأكل اكثر مما يسد رمها تبقى حية ، من ذلك الطعام  
اليومي الذي يقدم لمن في صحن مبنية على المائدة الكبيرة المصنوعة من  
الغلب القاسي ، ونظراتها ثابتة على الصورة المحجرة للجنرال .  
فرانيسكو فرانكو . التي كانت تترأس فاعة الطعام الكتيبة وكأنها تعود  
الى القرون الوسطى . كانت في البداية ترفض النظام الرمي ورتابه الغية  
لأداء صلوات الفجر والمدائح وصلوات العشاء وعبر ذلك من لوامر  
الكنيسة التي كانت تشغل الجزء الاكبر من الوقت . وكانت ترفض اللعب  
بالكرة في فناء الاستراحة أو أن تشتمل في معمل الزهور الاصطناعية الذي  
كان يدار من قبل مجموعة من نزيلات المستشفى بحرس محروس .  
ولكنها واعتباراً من الاسبوع الثالث ، أخذت تنسجم مع جو المستشفى .  
وعلى كل حال فان الأطباء كانوا يقولون بأنهن يدان هكذا حبيماً ،  
وأنهن يتجهن الى الانسجام مع الأعزبات عاجلاً لم أجلاً .

ثم حل مشكلة الحاجة الى السجائر في الأيام الاولى لوجودها ، فذ  
كانت إحدى الحارسات تبيعها السجائر بسعر اللعيب ، ولكن هذه  
المشكلة عادت لتفتقها عندما نفذ ما كان لديها من مال قليل . وأعلنت  
تسلى فيما بعد بالسجائر المصنوعة من ورق الجرائد ، والتي كانت بعض  
النزيلات يمتننها من أعقاب السجائر التي يجمعنها من للقمامة ، وقد  
صار حاجس التدخين عندها مثل حاجس التلفزيون .

ثم انّ النقود الضئيلة التي حصلت عليها من صناعة الزهور  
الاصطناعية ، أتاح لها فرجاً سريع الزوال .

ووحشة الليالي كانت من أكثر الأمور قسوة . كانت الكثبرات من التزيلات يمين ساهرات مثلها ، ولكن دون أن يجرأ أن يفعل أي شيء ، لأن الحارسة الليلية كانت هي الأخرى تسهر عند الباب الرئيسي للفلق ، بسلسلة وقفل وفي إحدى الليالي عندما كانت « ماري » تنحدر بالغبقة والكثابة سألت بصوت مسموح حارثتها التي تحاذي سريرها :

- أين نحن ؟

ردت عليها جارتها بصوت حاد وواضح :

- في أعمال الجحيم

- يتراءون إن هذه هي أرض عرية ، قال صوت آخر من بعيد سُمع في كل أرجاء القاعة . - ولأنه أن يكون هذا صحيحاً ، لأننا في ليالي الصيف المتقمة نسمع أصوات كلاب تببح جهة البحر (١) .

سُمع صوت السلسلة داخل الحلقات ، كأنه صوت مرصاة الغلاوين وانفتح الباب . كانت الحارسة المجهتة تدنو في هذه اللحظات وكأنها الحى الوحيد في ذلك الصمت المطلق وبدأت تتشمس في قاعة النوم جهة ودهاباً من طرفه إلى آخر . لوانعت « ماري » وكانت هي وحدها التي تعرف لماذا .

منذ الأسبوع الأول لوجودها في المستشفى ، كانت الحارسة الليلية قد عرضت عليها بلون لاف أو دوران أن تنام معها في غرفة الحراسة . وبدأت بنبرة تجارية محددة : مقابلضة الحب بالسجائر أو بالشكولاته أو

بأي شيء آخر . سيكون هناك كل شيء ، كانت تقول لها مرثجة : ستكونين الملكة . وأمام رفض « ماري » استبدلت الحارسة أسلوبها ، إذ كانت تترك لها أوراقاً تحمل كلمات حب تضعها تحت وسادتها أو في جيوب صدارها أو في أماكن أخرى يصعب التفكير بها . كانت رسائله تحذوية لفرق القلب ، قادرة على أن تفزع الحجر . وكان قد مضى على ذلك أكثر من شهر ، بدت فيه صابرة على منعتها لغاية تلك الليلة التي وقعت فيها تلك الحادثة في قاعة النوم .

وعندما اقتضت بأن جميع التزيلات كنّ ينعظن في نوم عميق ، اقتربت الحارسة من سرير « ماري » وحسنت في أذنها كل أنواع الهواجس الممنونة وكانت تقبلها في وجهها وعقها الذي يوتر من الفزع وفرعها للتخشين وساقها للمهكين ، وأخيراً عندما ظنت بأن شلل « ماري » لم يكن بسبب فرعها بل ربما هو علامة رطبي ، تجرأت على أكثر من ذلك . وجهت لها « ماري » حينذاك ضربة بظاهر كفها فانفجعت إلى الوراء واصطدمت بسرير جارتها . نهضت الحارسة وهي في أحد حالات الغضب وسط اضطراب التزيلات الهائجات .

- يا ابنة العاهرة ، صرخت . سنتقن سوية في هذا الاصطبل حتى نصبحي مجنونة في حبى .

وصل فصل الصيف بدون إعلان في الأحد الأول لشهر يوليو (حزيران) ، واضطروا إلى اتخاذ اجراءات الضوارئ ، لأن التزيلات وبسبب تحررهن بالحرارة العالية بدأت يخلعن ملابسهن ، بما في ذلك معاطفهن

الصوتية أثناء الصلوات . وحضرت ماريًا خنمعة بمشهد للمرضات  
العاريات اللاحي كانت الحارسات تبصمن في الصحن وكانهن دجاجات  
عمياء . ووسط حالة الاضطراب هذه وهرباً من الضربات الضالمة ،  
وبدون أن تعلم « ماريًا » كيف ، وجدت نفسها وحيدة في مكتب  
مهجور له جهاز هاتف يرن دون انقطاع وكأنه يتوصل . ردت « ماريًا »  
عليه دون تفكير وسمعت صوتاً بعيداً وباسماً يتلقى بالاعلان عن  
الوقت :

- الساعة الآن هي الخامسة والاربعون واثنان وتسعون دقيقة ومائة  
وصبح ثوان .

- لوطي ! قالت « ماريًا » .

أعادت السّاعة الى مكانها مفصلة ، وهمت بالذهاب ، غير أنها  
التفت الى أن بين يديها فرصة لا تعوض كانت على ذلك اضاحتها ،  
حينئذ رفعت السماعة وأدارت القرص ستة دورات وهي في غاية  
التوتر والجدلة ، بحيث انها لم تكن متأكدة مما اذا كان ذلك الرقم هو رقم  
هاتف بيتها . انتظرت ولها بكاء ينطلق من صدرها ، وسمعت ذلك  
الصوت المألوف لهاتف بيتها الثّمره والخزين ، مرة ، مرتين ، ثلاثاً ، وأخيراً  
سمعت صوت رجل جليتها في البيت يقولها .

- ماذا ؟

اضطرت الى الانتظار كي يزل كرة الدموع التي تشكلت في  
حلقها .

- غزالي ، حياتي ، تهلّلت .

غلّبتها الدموع . وفي الطرف الآخر من الخط ، كان هناك صمت  
مخيف ، وبصق الصّوت المشتعل من الثيرة كلمة :

- عاهرة .

وقطع الخط بجفاف .

في تلك الليلة وفي توبة من الهياج ، أنزلت « ماريًا » الصورة  
الحجرية للجنرال المعلقة في قاعة الطعام ورمت بها بكلّ قواها نحو  
الواجهة الزجاجية للمطلة على الحديقة ، وانهالت سابعة في دماها . ومع  
ذلك فقد وجدت نفسها قادرة على مواجهة الحارسات ، موجّهة لهن  
ضربات متتالية . وقد حاولن اخضاعها ولكنهنّ لم يلفن هدفهنّ ، حتى  
أبهرت « حرقه » لآنية في فتحة الباب وبذراعين مقلّعين وهي تنظر  
اليها . استسلمت « ماريًا » لقدتها الى جناح المهنولات الهالجات  
وأنهكن قواها بواسطة التوب ماء قوي وبارد سلّط عليها ، ثم  
حقنها بمادة الترتين في مقلّعيها . وحين فحرت بمجرها عن السير لتروم  
السائقين ، فكّرت بأنه ليس هناك أي شيء في العالم يمكن أن يمنع  
حربها من ذلك المحيم . في الاسبوع التالي وبعد صودتها الى قاعة النوم  
المشتركة ، نهضت « ماريًا » على أصابع قدميها ودقّت باب غرفة الحارسة  
الليلة .

كان الثمن الذي طلبته « ماريًا » مقدماً هو أن توصل الحارسة

وسأله إلى زوجها . فقلت الحارسة على شرط أن يبقى الانفاق مريباً  
وأعزنت بسانتها الحارة حارسة وقالت :

- لو اطلع أحد على هذا السر ، فأنك متعوتين .

وعكنا قد ذهب « ساتورو » الساحر إلى مستشفى الجنونات يوم  
السمت التالي ، بشاحة الحفلات الصميرة ، وأعدّها لأقامة احتفال بمناسبة  
عودة « ماريا » ، استقبله المدير شخصياً في مكتبه الطيف والمظم وكأنه  
سفينة حربية ، وقدم له تقريراً مطوّناً عن حالة زوجته ، ليس هناك من  
يعرف مصدر قلوبها أو كيف ومتى . لأنّ المعلومات الأولى الخاصة  
بوجودها هناك ، كانت عبارة عن التسجيل الرسمي الذي أملاه هو  
نفسه على الموظفة بعد إجراء مقابلة لـ « ماريا » . وأنّ التحقيق  
الذي تمّ بذوّه في نفس ذلك اليوم ، لم يتوصل إلى أية نتيجة . وعلى كل  
حال ، فإنّ النفس الذي كان يصرّ فضول المدير هو كيف حرف  
« ساتورو » المكان الذي توجد به زوجته . ولقد حاول « ساتورو »  
حماية الحارسة :

- أخبرني بذلك شركة التأمين على السيارات . قال له

افتتح المدير وقال بالمهجة المبسط : « لا أعرف كيف تعمل شركات  
التأمين لتعرف كل شيء » . اتقى المدير نظرة على الملف الذي كان فوق  
مكتبه وكأنه مكتب زاهد وعجم قتلًا :

- إن الحقيقة الوحيدة هي غطوة حاتها .

كان مصداً للساح له بزيارتها مع اتخاذ إجراءات الخلل  
الغشورية ، فيما إذا التزم « ساتورو » الساحر ، لمصلحة زوجته ، بمواعيد  
التصرّف التي يبرسها هو له .

وحاصّة في طريق تعامله معها ، لفادي صفوطها في نوبات الهياج  
التي صارت لتناها بصورة أكثر وأعنف .

- الله في . هرب . قال « ساتورو » . كانت دائماً شديدة الطبع ،  
غير أنّها كانت تسيطر على أعمالها .

لشكر الطبيب إشارة عالم وقال : « هناك تصرّفات تبقى كانت  
خلال سنوات طويلة ، ثمّ تفجر في يوم ما . ومع هذا فإنّها محفوظة  
لوجودها هنا . لأننا محصون في الحالات التي نفتح إلى شيء من شدّة  
وأخيراً نهبه إلى هاجس « ماريا » الخاص بالهاتف . وقال له :

- دعها تفل ما تشاء ولا تعارضها .

- حاضر ، يا دكتور ، قال « ساتورو » بأسلوب فرح . - إنّ هذا  
هو اختصاصي ، كانت قاعة الزيارات ، وهي حليط بين سجن ومكان  
للاحتراق ، كانت في الأصل غرفة المحادثات القديمة للمدير . لم يكن  
دخول « ساتورو » إليها الفجاءة للفرح كما كان متظّراً . كانت « ماريا »  
والقة في وسط القاعة إلى حالب مضطدة مع كرمين ، وعلى الضفدة  
مزهرة بلا زهور . كان من الواضح أنّها قد تجهّزت للذهاب ، مرتدة  
مغطتها بالباس ذا اللون الأحمر القاتم ، وحذاء قدراً كانوا قد أعطوه لها من

تبرحات المحسنين . وفي زلوية لا تكاد ترى ، كانت « هرقل » يلزمها المتقاطعين . لم تحرك « ماريا » عندما شاهدت زوجها يدخل ، ولم يظهر أي انفعال على وجهها الذي مارلت آثار جروح الزجاج بادية عليه . قبل أحدهما الآخر بشكل رتيب .

- كيف حالك ؟ سألتها هو .

- صيدة بمجيك أعزاً ، يا خزالي ، قالت له . إن هذا هو الموت بعينه .

لم يكن حدهما وقت للجلوس ، وروت له « ماريا » وهي تروح من نفسها بالدموع ، تمامة للمستشفى وقسرة الحارسات والطعام الذي لا تأكله حتى الكلاب والبهائم العظيمة التي لا تستطيع فيها اغماض عينها من الرعب .

- لا أعرف منذ كم يوم أو شهر أو سنة وأنا في هذا المكان ، ولكنني أعلم بأن كل يوم كان أسوأ من الآخر . قالت له ذلك وهي تنحصر من الأعصاب وأشدت :

- أعتقد أنني لن أعود إلى حائتي الأولى مطلقاً .

- لقد انقضى كل ذلك ، قال لها وهو يداعب أطراف أصابعه آثار الجروح بوجهها . - سأقوم بزيارتك كل يوم سبت ، بل أكثر من ذلك إذا سمح لي اللدير ، وسعدين بأن كل شيء سيتهي على خير .

حفظت هي في حبيته الفاترين . وحاول « ساتورنو » استعمال قته لاحقاً ، فقص عليها بنبذة صهيانية ملتزمة أقوالاً مسؤولة بخصوص تشخيصات الأطباء .

- « وبإيجاز » قال لها ، « ما زلت بحاجة إلى أيام أخرى لتشفى تماماً » . فهمت « ماريا » الحقيقة .

- ما هكذا ، يا خزالي ، قالت له مبهورة . حتى أنت تظن أنني مجنونة ؟؟

- كيف يمكنك أن تفكري هكذا ؟ قال لها محاولاً الضحك . كل ما في الأمر هو أن من الأفضل للجميع أن تستمرى لوقت آخر هنا ، ولكن بطرف أفضل ، بالطبع .

- ولكنني قلت لك بأنني لم آتي إلى هنا سوى للتحديث بالهاتف . قالت « ماريا » .

لم يعرف هو كيف عليه أن يحصر أمام حاجبها الخفيف . نظر إلى « هرقل » ، فاستغلت هذه الفرصة وأشارت إلى ساعتها اليدوية لتذكره بانتهاء وقت الزيارة . انتهت « ماريا » إلى الإشارة ونظرت إلى الزوايا فرائت « هرقل » وهي على أعباء الاستعداد للهجوم . حينذاك تعلقت برفقة زوجها وبدأت تصرخ مثل مجنونة حقيقة . أراحها عنه بكل رقة ممكنة وتركها لرحمة « هرقل » التي مجت عليها من الخلف وبدون إعطاء فرصة لرد الفعل ، ضربتها بالملتحاح الذي كان في يدها اليسرى ودفعها

نحو ذراعها الحديدية الأخر وأسكت بها من رقبها ثم صاحت :-  
«ساتورنو» الساحر :

-اذعب .

هرب «ساتورنو» مرتعاً

ومع ذلك ففي يوم السبت التالي وبعد أن تحلل من رعب الزيارة  
السابقة عاد «ساتورنو» إلى المستشفى وحمل معه قطعه التي أجلسها  
لياماً شبيهاً بملابسه :

سجج الحياكة الأحمر والأصفر لـ «ليوناردو» الكبير ، والتبقة  
المرتفعة ومغطى بدورة ونصف وكأنه للطران ، دخل بشاحته الصغيرة  
الخاصة بالحفلات إلى فناء الدبر ، وهناك قدم حفلة مدعشة دامت حوالي  
ثلاث ساعات ، تمتع بها الزبيلات من خلال الشرفات ، وأطلقن  
صرخات متعافرة وحفلات غير لائقة ، كلهن حضرن عدا «ماريا» التي  
لم ترفض استقبال زوجها حسب . بل حتى زوجته من الشرفات ، شعره  
ساتورنو بأنه جرح جرحاً عميقاً ، وعزاه للدير على ذلك بقوله :

-إنه وقد فعل معروف . مستغبر بلا شك .

لكنها لم تتغير مطلقاً . فبعد محاولاته المتكررة لرأيها دون نجاح ،  
حاول «ساتورنو» بكل الوسائل أن تستلم رسالة منه ، ولكن دون  
جدي . أعادتها إليه أربع مرات متتالية وبدون أي تعليق . كفت  
«ساتورنو» عن ذلك ، ولكنه استمر في أخذ حلب السجائر إلى بوابة

المستشفى ، دون أن يعلم ما إذا كانت تصل «ماريا» أم لا ، حتى امتلئ  
للقواقع .

انقطعت أخباره تماماً ، ولم يُعرف عنه سوى زواجه من جليل  
وعودته إلى بلده . وقبل أن يغادر «برشلونة» ، ترك قطعه نصف مئة من  
الجرع إلى أحد خطيباته العارات التي وعدت بأخذ السجائر إلى «ماريا»  
باستمرار . ولكنها اختفت هي الأخرى . وكانت «روساريناس» تتذكر  
أنها ألقت بها في مخازن «الكورت النجس» منذ حوالي اثني عشر عاماً .  
كان رأسها حليقاً وكانت تلبس معطفاً يرتقالي اللون لأحد الملاحب  
الفرقية ، وكانت في أيام حملها الأخيرة ، روت لـ «روساريناس» بأنها  
استمرت في أخذ السجائر إلى «ماريا» كنسا سحت لها الفرصة ، وأنها  
قامت بمساعدتها لحل بعض الأمور العاجلة والطارئة . حتى اليوم الذي  
ذهبت فيه إلى هناك ولم تشاهد سوى حطام المستشفى الذي كان مغم  
كذكرى سيئة من ذلك الزمن السكد . بدت «ماريا» لها مشرقة في المرة  
الأخيرة التي شاهدها ، أذكرتها السمنة قليلاً ، ولكنها كانت مسرورة  
بهدهو المستشفى . في ذلك اليوم أحضرت لها القطة أيضاً ، لأن النقود التي  
تركها لها «ساتورنو» لأطعام القطة ، كانت قد نفذت .

أبريل ( نيسان ) ١٩٧٨

١ - ملاحظة للمترجم : يشير المؤلف هنا إلى مثل اسباني معروف يقول :  
«هناك حرب على الساحل» . يضرب هذا المثل للتخدير من الحراق  
السلبية للكلام ، لأن هناك احتمالاً بأن يسمعه من لا ينبغي له أن  
يسمعه .

## أصحاب شهرآب

وصلنا إلى « أريزو » (١) قبل منتصف النهار خليل ، وثمنا  
 لأكثر من ساعتين نبحث عن القلعة التي يهود تاربوها إلى عصر النهضة  
 والتي كان قد اشترها الكاتب الفنزويلي « ميغيل أوتيرو سلفا » في تلك  
 المنحدرات الرعوية لحقول « تومكانا » . كان يوم الأحد في أول شهر  
 أغسطس ( آب ) ، وكان يوماً ساخناً وصاعباً ، ولم يكن من السهل  
 العثور على أحد يعرف شيئاً في تلك قشورع المكتظة بالسباح . وبعد  
 محاولات عديدة ، عدنا إلى السهارة وتركنا المدينة وبعنا طريقاً محاملاً  
 بأشجار السرو وبنود علامات مرور وسلكنا امرأة عجوز ترمي قطعاً من  
 الأوز فدللتنا بدقة على مكان القلعة . وقبل أن نودعنا ساكنات هذا إننا كنا  
 نفكر في الميت هناك ، فأجبلها ، حسب غفطنا ، بأننا قاصدون إلى القلعة  
 نناول طعام الغداء فقط

- هذا أفضل ، قالت . لأنه تلك الدار ترهب

سخرنا لنا وزوجتي من اصقاعها ، لأننا لا نؤمن بأصحاب وسط  
 النهار ، غير أن لدينا الاثنين جسمة وسبعة أموام على التوالي فرحاً بفكرة  
 التعرف على قسح وجهها نوجه .

بالإضافة إلى كون « مينيل أوتيرو » كاتباً جيداً ، فإنه مصنف في غاية الكرم و ضليح بليلذ الطعام و اصول الأكل . كان يتصرفنا على طعام لن نساء . وبما أن الوقت كان متأخراً ، فأننا لم نتعرف على القلعة من الداخل قبل جلوسنا إلى مائدة الطعام ، ولكن مظهره الخارجي لم يكن يثير أي نوع من الرعب ، وإن أي احتمال لتفتق كان يتبدد بمنظر للهدنة التي كنا نراها ، ولكن من الشفقة التي كنا نأكل فيها . كان من الصعب تصديق أن في تلك الربوة ذات البورت المراقبة التي لا تكفي إلا بالكاد لسجون ألف شخص ، قد ولد ذلك العدد من الرجال ذوي العقيدة الخالدة . ومع ذلك ، فإن « مينيل أوتيرو » سلفاً ، قال لنا بظرافته الكاريسية إنه ليس هناك ، على كثرة هؤلاء ، من اشتهر كثيراً في « أريثو » ثم عبر عن رأيه قائلاً :

- أكبرهم كان « لودويكو »

هكلا بدون ألقاب : « لودويكو » ، كبير سادة الفن والحرب ، الذي كان يني تلك القلعة على حساب مأساته ، والذي تحدث عنه « مينيل » طوال فترة الغلاء ، تحدث لنا عن سلطته الواسعة و عن حبه للتناقض وموته التفطيع . قمنا علينا كيف أنه طعن في لحظة جنون القلب ، زوجته في نفس السبرير الذي تحباً فيه قبل ذلك بلليل ، ثم كيف حرص على نفسه كلابه المنترمة للمقاتلة تقطعت أرباً بأستانها . وأكد لنا بجدية بأن أصبح « لودويكو » ، كان يطوف بعد منتصف الليل أرجاء البيت في جنح الظلام ، بحثاً عن السكنة من عذاب الحب .

كانت القلعة في الواقع عائنة وكثيرة . غير أن رواية « مينيل » لم تبدأ لنا ونحن في تلك الحالة من احتلاء العلون وفرح القلوب ، سوى مجرد لادرة من تلك التوادد الكثيرة التي كان يرويها لتسليّة ضيوئه . كانت الاثنان والستاتون غرفة التي إزناها بعد التقبولة دون أن ننهر ، قد عائلت كل النوع الضخيمات من قبل مالكيها المتواليين . كان « مينيل » قد جهّد الطابق السفلي بالكامل ، وبني غرفة نوم حديثة بأرضية من الرمرر وأجنحة لحمام الساونا والتربة الهدية ، وكلها الشرفة المليئة بالأرهار ذات الأكوام الصاروخية ، حيث تناولنا طعام الغداء . أما الطابق الثاني الذي تم استعماله أكثر من أي طابق آخر على مرّ القرون ، فإنه كان عبارة عن مجموعة من الغرف المتتابعة وبلا آلة علامات فارقة . وبها أثاث من مختلف المصور ، تركت لتواجه مصيرها . وفي الطابق الأخير ، لاحظنا غرفة كأنّ يد الزمان لم تطلها . وكانت غرفة نوم « لودويكو » .

كانت لحظة ساحرة . رأينا السبرير ذا الستائر المطرزة مغيوط من ذهب وفضة العجيب المنصوع من التقاطين الذي مارال منصّباً بفعل الدم الجفاف لحسبته المذبوحة . ورأينا الموقد ووماده البارد والقطعة الأخيرة من الحطب التي تحولّت إلى حجر ، والدولاب الذي يحترق على أسلحه وهي في أحسن حال ، وصورته المرسومة على لوحة زهيدة في حالة تأمل وفي إطار ذهبي ، يد أحد كبار فنانتي « فلورنسا » من الذين لم يحالفهم الحظّ ليل شهرة كبيرة . غير أن الذي أثار دهشتي بغوة هو رائحة الفراولة الطازجة التي بقيت محصورة في جنبات الخرفة دون أن يحد أحد لذلك تفسيراً .



أن نهارات فصل الصيف طويلة ومريحة في منطقة « توسكانا » ،  
ويجني حطب الألق في مكان حتى التاسعة مساءً ، وعندما انتهينا من رؤية  
القلعة ، كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة ، غير أن « مينيل » ألح على  
أخذنا لمشاهدة اللوحات الجصية لـ « بيرو ديلا فرانيسكا » في كنيسة  
« سان فرانسيسكو » ، وبعدما تناولنا قهوة مصغرة بمحادثة طويلة تحت  
تombes الساحبة العميقة ، وعندما رجعنا لأخذ حقائبنا ، وجدنا المشاء  
جاهزاً ، وهكذا قد بقينا للمساء.

وبينا كنا نتناول عشاءنا تحت سماء بتفسحة مليئة بالنجوم ،  
أقبل الطعان بعض الفوايس في المطبخ وذهبنا لاكتشاف الظلمات في  
الطوايق العليا ، وكنا نسمع من مكاننا على المائدة خبيها وكأنهما خيول  
جيلة تجري على السلاسل ، صرير الأبواب وصرخاتهما القفرحة وهما  
يناديان « لودويكو » في الغرف الداجية . وكانا هما اللذان اقترحا فكرة  
المشي السهية ، وساندهما « مينيل لوتيرو » متفاه في ذلك ، ولم نجرأ نحن  
على رفض ذلك .

وعلى المكس مما كنت أعشاه ، قد تمنا جيداً ، أما وزوجتي في  
غرفة بالطابق السفلي ، ووللنا في غرفة تجاور غرفنا . وكان قد تم تجديد  
الاثنتين ولم يزل بهما أي أثر للثمنة ، وبينا كنت أغلب النعاس ، حدثت  
الذقات الاتني عشرة الساهرة لساعة الصالة ذات الرقص وتذكرت  
التحذير الخفيف لراعية الأوز . ولكن لشدت تعبنا ، تمنا بسرعة وغرقنا في نوم  
عميق ومستمر واستيقظت بعد الساعة على نفس مفرقة كانت تتخلل  
لبلاب النافذة . وإلى جانبي ، كانت زوجتي نعوم في بحر هادئ من

البراة . - يا للحرق ، قلت لنفسي . - مازال هناك من يؤمن بالأصباح  
في هذا الزمن . حينئذ قطع أرعيتي رائحة الفروالة الطازجة ورأيت  
الموقد برصاده البارد وقطعة الخطب المنحولة إلى حجر ، وصورة الرجل  
الحزين الذي كان نظراً لنا عبر قرون ثلاثة وفي إطار ذهبي . لم تكن ، في  
الواقع ، في غرفة الطابق السفلي حيث تمنا في الليلة الماضية ، بل في غرفة  
يوم « لودويكو » ، تحت الأفيز والسائر الفرية والشرانسف المشربة بالدم  
الذي مازال صائناً في صريره اللعين .

#### اكتوبر (لشرين الأول) ١٩٨٠

١ - ملاحظة المخرج : « لوترو » مدينة في وسط إيطاليا في منطقة  
« توسكانا » . يسكن فيها حوالي حة ألف نسمة ، وهي مركز تجاري  
للمعجات الزراعية فيها آثار ورومانية وقوطية مهمة .

### ماريا دوس براتيرس (١)

وصل موخف مؤسسه دفين الموتى في الوقت المحدد بالضبط ،  
بحيث أن « ماريا دوس براتيرس » كانت ما تزال تترس الحشام ورأسها  
مليء بماسكات لف الشمر ، غير أنها وجدت نفسها بالكاد وقد تضع  
وردة حمراء فوق أذنها كيلا تبدو منفردة كما كانت تشر . وتأسفت أكثر  
على حالتها عندما فتحت الباب ورات بأن الموظف لم يكن رجلاً كبيراً  
كما ينبغي أن يكون تجار الموت حسب شأنها ، بل شاباً عجولاً يرتدي  
سترة مبرمعات وربطة بها عصا غير ملونة . ولم يكن يحمل معطفاً على  
الرغم من ربيع برشلونة الثقيل المعروف بالمطاره المصحوبة بالعواصف  
الهادئة التي تجعله أشد لزجاً من الشتاء . جلست « ماريا دوس براتيرس »  
وهي تشر بخجل شديد ، على الرغم من تعودها على استقبال الكثير من  
الرجال في مختلف ساعات اليوم . كانت قد أكملت لقولها السادسة  
والسبعين ، وكانت ملتجة بأنها ستحوت قبل حلول أعياد الميلاد ، وعلى  
الرغم من ذلك ، فإنها كانت على وشك الخلق الباب بوجه ناظر الدفن ،  
طالبة منه أن ينتظر قليلاً بينما ترتدي هي ملابسها لتقبله كما يجب ،  
ولكنها حدثت عن الفكرة لظننها بأنه سوف يتحمد بروداً في بسطة السلم  
المنحمة لدعته إلى الدخول

- أرجو الملعرة على مظهري هذا الذي يشبه مظهر الخفاش ، قالت له ، ولكنني أحسن في « قتلونا » منذ خمسين عاماً ، وهذه هي المرة الأولى التي يصل فيها انسان الى الموعود بالوقت المحدد تماماً .

كانت تتكلم اللغة الطفولية بصوت مذبذبة وبنقاء قديم ومهجور نوعاً ، ومع ذلك فإنها لم تخلص تماماً من موسيقى لغتها البرتغالية المسية ، وعلى كبر سنّها وخصلاتها الشبيهة بالأسلاك ، فإنها مارالت تلك المردة السمره الخيرية ذات الشعر البات والحين الصلواوين الشرمتين وكانت قد قتلت الحور الزائفة بالرجال منذ زمن طويل . لم يصدر عن تاجر الموت الذي استعان على رؤية طريقة بضوئه التشارع الذي يصل الى للكان ، لم يصدر عنه أي تعليق ، بل تلفّظ حذائه بحصيرة الجوت وقبل يدها واتحنى احتراماً لها .

- إنك رجل فيه رجال (ماني) ، قالت له « ماريا دوس برايرس » بهتة مججلة . - اجلس .

ورغم حديثه في هذه المهنة ، فإنه كان مجيدها تماماً ولهذا فإنه لم يستغرب من ذلك الاستقبال الثامه صباحاً ، وخاصة من شرارة عجوز غالية من الرحمة بدت له للرحلة الأولى وكأنها مجنونة مشردة من أمريكا الجنونية . ولهذا فإنه جلس على بعد خطوات من الباب دون أن يعلم ماذا يقول . فيما كانت « ماريا دوس برايرس » تزيج سنائر التواكل المجلجلة . كان اسرال الربيع الحفيف ينهر الأجواء الدقيقة للصالة التي كانت تبدو وكأنها معرض لبيع الأثاث القديم . وكلّ ما كان يوجد هناك لم يكن

سوى حاجات الاستعمال اليومي لا أكثر ولا أقل ، وكل حاجة منها كانت موضوعة في مكانها الطبيعي ويلق دفين يحمل من الصعب الحضور على دار أخرى أحسن تنظيماً في مدينة قديمة وسرمة مثل « برتلونة » .

- ملعرة ، قال ، يبدو أنني أسطأت في العنوان .

- حبلاً ، قالت هي ، ولكن الموت لا يخطئ .

فتح التاجر فوق حائدة الطعام ورقة كثيرة الطيات وكانها رسالة لغاز ، بها أجزاء ملونة بمختلف الألوان ، وفي كل لون صلبان وأرقام . فهبت « ماريا دوس برايرس » بأن تلك لم تكن سوى خريطة مقبرة « مونخويج » القاسية وتذكرت بفزع قديم حذاً مقبرة « سابوس » تحت وابل لمطار أكتوبر ، حيث كانت حيوانات النايير (٢) تتخبط في المياه بين قبور بلا أسماء وأضرحة لغافرين حفطة بزجاج فلورنسي . في صباح أحد الأيام حين كانت خضرة جداً ، استيقظ الناس على فيضان نهر الأمازون ، الذي تحول الى مايشه بحيرة كريمة ، وشاهدت انطلاق ثوابت محطمة وطائفة في فناء دارها وأجزاء من ملابس وقصر للموتى في الشقوق ، وكانت تلك الذكرى مبيهاً في استعمالها مقبرة « مونخويج » المرتفعة مكاناً لدخنها ، بدلاً من مقبرة « سان غريغاسيو » القريبة والمألوفة .

- أريد مكاناً فن يصله الماء مطلقاً ، قالت .

- هذا هو المكان اللاتقي ، قال التاجر ، مشيراً الى مكان محدد في الخريطة بمؤشر قابل للشد كان يحمل في حبه وكانه قلم من العواذ . -  
ليس هناك بحر يمكنه الارتفاع الى هذا المستوى .

تعرفت هي على انماهاات الخريطة الملوّنة لغاية عثورها على المدخل الرئيسي ، حيث كانت توجد القبور الثلاثة المتجاورة والمتشابهة التي لا تحمل أي اسم والتي دُفن فيها « بونايتورة دوروتي » ، واثان آختران من القواد الفوضويين الذين قُتلوا في « الحرب الأهلية » . وفي كل ليلة كان هناك من يكتب أسمائهم على اللوحات الحجرية البيضاء سواء بقلم الرصاص أو بالصباغة أو بالكربون أو بصمغ الخواضب أو الأظافر ، بجميع حروفها وجرب سليم . وفي كل صباح كان الحراس يحسون تلك الأسماء لكي لا يعرف أحد من هو المدفون الحقيقي في كل قبر منها ، تحت ذلك المرمر الأخضر . كانت « ماريا دوس برايريس » قد حضرت مراسم دفن « دوروتي » ، وكان أكثر المآثم حزناً وصعباً ، لم تشاهد « برشلونة » مثله من قبل ، وكانت ترغب في أن تُدفن الى جانب قبره ، ولكن لم يكن هناك أي قبر فارغ في ذلك الجزء النظيف من المقبرة والمليء بالقبور ، ولهذا فقد صبرت ورضيت بما هو ممكن . « ولكن بشرط أولاً تحشروني في واحد من تلك الجارورات لمدة خمسة أعوام » كما لو كان الواحد في صندوق بردي . وتذكرت بعدها القدر الأساسي فتمتعت بقولها :

- من الضروري أن أدفن وأنا منطرفة .

ولملاً ، فقد كان هناك ردة فعل صاعبة على بيع عدد من القبور بالبيع المنسقط ، وما صاحبة من اشاعات تقول بأنهم كانوا يهتدون قبوراً يدفن فيها الميت عمودياً ، أي واقفاً ، اقتصاداً في المساحة . فسر التاجر بدقة الخطيب الذي يطمح خطيته من المذاكرة وتكررها حتى الاعياء ، بأن تلك الأقوال ليست سوى اشاعات فاسدة تطلقها شركات الدفن التقليدية بهدف اعادة صحة الدفعة الجديدة من القبر التي تباع بالتقسيط . وبينما كان الرجل يفسر لها ، دق الباب ، إذ صممت ثلاث ضربات عميقة ، فوقف هو يمشي من القلق ، الأ أن « ماريا دوس برايريس » أشارت عليه بالاستمرار .

- لا تهتم ، قالت له ، إنه « نوي »

تناول التاجر غيط الكلام من جديد حتى اقتنعت « ماريا دوس برايريس » بكلامه ، ولكنها قبل أن تفتح الباب ، أرادت أن توجز له فكرة أخيرة كانت قد نضجت في قلبها على مدى أعوام كثيرة وفي تفاصيل حياتها الخاصة ، عند فيضان « ماناوس » للتقديم ، فذالت له :

- كل ما أريد قوله هو أنني أبحث عن مكان أدفن تحت أرضه ، دون أن يكون هناك خطر الفيضان ، ولذا كان بالإمكان أن يكون تحت ظلال الأشجار في الصيف ، وألا يخرجوني بعد فترة معلومة ويرموا في المولدة .

فتح باب البيت ودخل كلب جلول بماء المطر ، ذو مظهر فيح لا يتناسب مع ما يوجد في البيت . كان حائلاً من نوعه الصباحية في الحى ،

وحد دعوته أصعب بنوع من هياج النبوة ، تقفز على المائدة وأخذ يبيع بدون سبب معلوم وكان عليّ ولك تدمير خريطة المقرّة بقوائمه القلدة الموحلة ، وكفته نظرة واحدة من صاحبه لكبح اندفاعه .

- « نوي » قالت له دون أن تصرخ . انزل من هنا !

تقلّص الحيزان ونظر إليها خائفاً وانزلت من حينه دمعتان صالبتان على خطمه . حينئذ عادت « ماريا دوس برايرس » للتحدّث إلى الناجر فوجدته في حيرة من أمره ، وقال مستغرباً :

صعباً لقد بكى .

- لقد حاج لآله وجد فحسباً غريباً ما في هذه الساعة . اعتذرت « ماريا دوس برايرس » منه بصوت واطمئ . - أنه يدخل عادة إلى البيت بعناية تفوق حاية الرجال ، باستثائك على ما رأيت .

- ولكن ، يا للمحب ، لقد بكى ! كرّر الناجر قوله ذلك ولكنّه انتبه بسرعة الاصطرب المفضل الذي يوصله في كلامه فاعتذر عجباً :

- أرجو الملعونة ، ولكنّ هذا الأمر لا يمكن مشاهدته حتى في السجما .

- كلّ المكلاّب تستطيع أن تفعل ذلك إذا دريت ، قالت هي . - الأ أن الذي يحدث هو أنّ أصحابها يقضون حياتهم في تعليمها عادات تجعلها تعاني ، مثل الأكل في الصحون وقضاء حاجاتها في ساعات

محددة وفي مكان معيّن . ولكنهم لا يعلمونها الأسماء الطبيعية التي تعجبها مثل الضحك أو البكاء . أين وصلنا في حديثنا ؟

لم يبق إلا القليل ، بحيث أنّ « ماريا دوس برايرس » وجدت نفسها مضطرة على قبول تحمل حرارة الصيف بدون ظلال الأشجار ، لأنّ الأشجار الوحيدة التي كانت موجودة في المقرّة ، كانت ظلّاتها محجوزة لرجال النظام . في حين أنّ شروط العقد الأخرى غير ضرورية في نظرها ، لأنّ الذي كان يهمها هو الحصول على تنفيذ سبب الدّفع النقديّ المقدّم .

وعند الانتهاء فقط ، حيث كان الناجر يمدّ أذنيه إلى المخفضة ، حينئذ احتجّن الدّار بنظرة واعية فأدعته النفس السّحري لجمالها . عاد إلى النظر إلى « ماريا دوس برايرس » وكأنّه ينظر إليها لأول مرة . وقال :

- هل تسمحين لي أن أسألك سؤالاً خاصاً ؟ ، قادته هي نحو الباب .

- بالطبع ، قالت ، بشرط ألا يكون متعلقاً بالمصر .

- إني ولوع بالتكهّن بمهن الناس من خلال الأسماء الموجودة في بيوتهم ، والواقع أنني هنا لا أصيب مدني ، فما الذي تعلمه ؟

أجابته « ماريا دوس برايرس » وهي غارقة في الضحك :

- اتّني حاضرة ، يا بني . ألم يند هذا باقياً على ؟

احمر وجه التاجر وقال :

- اني اسف .

- كان ينبغي لي ان اكون أسفاً ، قالت له وتواركه من ذراعه تمنع اصطدامه بالباب ، وعلفت بعدها قائلة :

- حذار من أن يتحطم رأسك قبل أن لدغني جيداً .

وبعد اغلاقها الباب مباشرة حملت الكلب وأعلنت تدلله وبدأت تثنى بصوتها الأرملي المحمل مضخة الى غناء كورس الأطفال الذين شرعوا بالنساء في تلك اللحظة في روضة الأطفال القريبة . وقبل هذا الوقت بثلاثة أشهر كانت قد ولدت في عنائها بأنها متحوت قريباً ، ومنذ ذلك الحين وجدت نفسها أكثر التصاقاً بذلك الحيوان في وحدتها . واعتصمت بشكل فائق بروصيتها لتقسيم حاجاتها بعد موتها وكذا بمصير جسدها لكيلا تسب أي إزعاج لأي أحد لو أنها ماتت بعد ذلك . كانت قد تركت مهنتها بشكل إرادي بعد أن جمعت ثروة يوماً بعد آخر ولكن دون أن تنصّر على نفسها ، ثم اختارت لنفسها كملادة نهائي قرية اجريالما القديمة والنسلة والتي أبعد امتداد المدينة يتعلمها . وكانت قد انتشرت الدور الذي يفصل بين الطابق الأرضي والطابق الأول في حالة شبه خربة وتبعت منه بشكل دائم واحدة صلك مجتر ، وكانت جدرانها متآكلة بسبب رطوبة البحر وبها آثار طلاقات بعض المعارك التي لم تتوج بأي نصر . لم يكن في العمارة يومئذ وكانت صلاحها الرطبة الممخمة تنقصها بعض الدرجات ، على الرغم من أن جميع شققها كانت

مسكونة . قامت ماريا دوس برايرس ، بتجديد الحشام والمطبخ وغطت جدران المنزل بورق ملون بهيج ورتبت زجاجاً ذا رسومات وسائر من المحمل على النوافذ ، وأخيراً حملت اليه الأثاث المحمل والأدوات المنزلية الأخرى وقطع الديكور والمناديق المنقطة بالحجر والمطرزات التي كان القناستون صرقوها من الشارل للمهجورة للجمهوريين الذين هربوا منها بعد هزيمتهم ، والتي قامت هي بشرائها شيئاً فشيئاً خلال سنوات طويلة بأموال زوجة وباتفاقات سرية . وكانت حلنها الوحيدة التي تربطها بالماضي هي صداقتها مع تومس ، كرفدناه الذي استمر بزيارتها ، فكان يلعب اليها في يوم الجمعة الأخير من كل شهر لتناول المشاء معها وممارسة لعبة الحب الفاتر معها بعد المشاء . ولكن حتى تلك الصداقة التي تعود أصولها الى فترة الشباب قد بقيت سرية لأن تومس كان يترك سيارته التي تحمل الشعار العائلي على بُعد يزيد عما تقتضيه الحكمة ، وكان يلعب اليها منزلها مائهاً تحت الظلال حفاظاً على سمعتها وصحته هو . لم تكن ماريا دوس برايرس تعرف أحداً في العمارة ، باستثناء الدار المقابلة لدارها حيث كانت تعيش عائلة شابة منذ زمن ليس بالطويل وكانت لهم ابنة بسة أهولم . والحقيقة ، وإن كانت تبدو غريبة ، هي أنها لم تلتق بأحد غير هذه العائلة عد صعودها أو نزولها في السلم .

ومع ذلك فإن تقسيمها لمرآتها اظهر لها بأنها كانت متفائلة أكثر مما كانت هي نفسها تتصور ، في ذلك المجتمع القطلوني الجاف الذي تركز فيه الوطنية على مفهوم الشرف والمجمل . وحتى عهودات بيتها

الأحد نقاعة ، كانت قد أوصت بها إلى الناس الذين كانوا أقرب إلى قلبها وكانوا أيضاً أقرب إلى بيتها . وفي النهاية لم تكن مقتنعة تماماً بمقالة التوزيع ، ولكنها كانت متأكدة من عدم لسان أبي أحد يستحق شيئاً من ميراثها ، لأنها هيأت ذلك بصراحة ودقة بحيث أن موثق العقود للكانن في شارع « أربول » ، كان يعتقد بأنه يعرف كل شيء ، ولم يصدق حينه عندما شاهدنا نمطي من المذاكرة على كتيبه قائمة بممتلكاتها المفصلة والاسم الدقيق لكل حاجة باللغة المطلوبة لتصور الوسطى ، ثم القائمة الكاملة لأساء الورثة ومهتهم وعواصيهم والمكانة التي يشغلونها في قلبها . وبعد زيارة تاجر الدفن لها ، صارت تزور المقبرة كثيراً كل يوم أحد ، وررعت كما كان يفعل جيرانها في القبر زهوراً دائمة في أحواض الزرع ، وكانت تضيئ العشب الثابت حديثاً وتقطعه وتساويه بمقص خاص بالزراعة حتى يصبح شيئاً بسجاد البلدة . وألفت المكان إلى درجة استغرقت فيها من سبب رؤيتها المكان في البداية كشيء . في زيارتها الأولى للمقبرة ، ولتقبض قلبها عندما شاهدت القبور الثلاثة للفقيرة والحالية من الأساء ، ولكنها لم تتوقف للنمطين فيها ، لأن الحارس كان يراقب على بعد خطوات منها . غير أنها في يوم الأحد الثالث استغلّت انشغال الحارس لتحقيق واحداً من أكبر أحلامها ، إذ أخذت أحمر الشفاه وكتبت على النوحة الحجرية للقبر الأول المنسولة بماء المطر : « دوروني » . ومنذ تلك الساعة كانت تعود إلى فعل ذلك كلما استطاعت ، فتكتب على قبر واحد أحياناً أو على اثنين أو على الثلاثة جميعاً ، ولكن بخطوط ثابتة وقلب هائج لئلا تنسى .

وفي أحد أيام الأحد في شهر سبتمبر ( أيلول ) . حضرت أول مراسم دفن في ذلك التل ، وبعدها بثلاثة أسابيع وهي نسبة كانت نهبة لها وباح لمدينة البرودة ، دفنوا سبعة حبيبة الزواج في أحد القبور المجاورة لقبرها ، وفي نهاية العام كانت سبعة من القبور مشغولة ، غير أن إنشاء القصر قد مر دون أن يفسد نظام حياتها . لم تكن تشعر بأي تردد في حالتها الصحية . وكان ارتفاع الحرارة التدريجي وتزايد ضوضاء الحياة الذي يسبغ من النوازل المفتوحة ، يزيد من رغبتها في الحياة وتجاوز ألقاض أحلامها . وقد رأها « قوس كردونا » بعد عودته من الحبل حيث كان يقضي أشهر الصيف الحارة ، أكثر جاذبية حتى من فترة شبابها للثائرة والمدحشة عندما كانت في الحسمين .

وبعد محاولات فاشلة عديدة ، استطاعت « ماريا دوس برايرس » أن تجعل « نوي » يميز قبرها من بين تلك القبور المشابهة في ذلك التل الفسيح . وعلمت بعد ذلك الكباء على القبر الفارغ لكي يتعود على فعل ذلك بعد موتها ، وذهبت به مرثت كثيرة ملياً من الليث حتى المقبرة ، وكانت تثير انتباهه إلى نقاط محددة في الطريق لكي يحفظه من المذاكرة ، وهو نفس الطريق الذي تتخله الحافلة الناجية إلى هناك من « لاس رامبلاس » ، ولم تصف عنه قبل تأكيدها من قبرته على الذهاب وحده إلى هناك .

وفي يوم الأحد عندما قامت بتجربتها الأخيرة مع الكلب ، نزلت عنه دثار الربيع لأن الصيف كان على الأبواب من ناحية . ولعدم إثارة الانتباه من ناحية ثانية ، وتركته على هواه ، فاعده يتعد وهو يجري

على الرصيف للظل يخيب خفيف وموخرة مقبضة وحزينة تحت الذنب الهائج ، واستطاعت هي أن تمس نفسها بصعوبة من اليكاه عليها وعلى الكلب وعلى الأرواح الكثيرة المرة المليقة بالمعدي من الأحلام المشتركة ، لغاية انحرافه نحو البحر عند زاوية الشارع ، كاسي مالمور . وبعد ربع ساعة ركبت في حافلة ، لاسي رامبلاسي ، في الساحة القريبة ، بلنادي ليس ، بهدف رؤيته من نافذة الحافلة دون أن يراها هو ، فعلاً فقد رأته بين محابيع الأطفال الذين يهرجون في أيام الأحد ، وكان ينتظر حزناً وعلى الهدئ إشارة المرور لمرور لمرور شارع ، باسودي جراتيا .

يا إلهي ! قالت متحسرة . ما أئذ وحده !

اضطرت إلى انتظار ما يقارب الساعتين تحت الشمس «موتطويح» القاسية ، وحيث الكثيرين من الحزائي الذين التفت بهم في أيام الأحاد الماضية والأمل أمية من هذا الأحد ، مع أنها لم ترمهم إلا بصعوبة ، لأن وقتاً طويلاً كان قد مر على رؤيتها لهم ، ولم يعودو يلبسون الحداد على موتاهم ولا يكون لهم ، وكانوا يتكون الزهور فوق القبور دون التفكير بمن فيها . وبعد ما يقرب من ساعة غادر الجميع صمتاً حزيناً لفرح التولوس وركبت في البحر الوليع بأخرة من عابرات المحيطات ، يضاهي تحمل علم البرازيل ، ولحقت من كل قلبها أن تغلب لها تلك الباعرة رسالة من أحد مات لأجلها في صحن «برمالبركو» . وفي الخامسة والستين عشرة دقيقة ظهر «نوي» في التل وهو يلهث من التعب والحرارة ولكن بتعبه العقل المتعب ، وغلبت «ماريا» دوس براتيرس ،

في هذه اللحظة الفكرة المرعبة لمدم وجود أحد يركي على قبرها بعد موتها .

وفي الحريف التالي أخذت تلاحظ بعض العلامات المشؤومة التي لم تستطع فك أنغازها ، ولكنها أدت إلى تفرعها بورن رائد في قلبها . وعادت إلى تناول القهوة تحت أشجار الطلح اللذبة في ساحة «بلاتا ديلي ديبلوخ» وهي تركدي معطفاً ياقته المصنوعة من ذيول الثعالب ، وقبعتها للزينة بالزهور الاصطناعية التي لقدما عادت لتصبح من جديد «عودة» حديثة . أرهقت هريزتها محاولة فهم ضيق قلبها وكأيتها الحاسنة ، ولأخذت تفتش أحداث باتعات الطيور في «لاسي رامبلاسي» ومسمات باتي الكلب الذين تركوا التحدث عن كرة القدم لأول مرة بعد سنوات طويلة والعست الطويل لشوحي الحرب الذين كانوا يرمون بقطع الخبز إلى الحمام ، وشاهدت في كل مكان علامات للموت لا تقبل الخطأ . وفي أيام الميلاد أنبرت الأضواء المألونة بين أشجار الطلح وارتفعت من الشرفات الموسيقى وأصوات الفرغ وغرت مجموعة من السياح الغرباء من مصالنا ، للقاضي المقامة في الهواء الطلق ، ولكن مع ذلك فقد كان هناك حتى داخل الاحتفالات نفسها شعور بتوتر مقموع شبيه بالذي سبق الفترة التي تسقط فيها الفوضيون على الحياة العامة . ولم تكن «ماريا» دوس براتيرس ، التي عاشت تلك الأوقات المليقة بالمواقف الكبيرة ، لم تكن تستطيع كبح جماح قلبها ، واستنقظت لأول مرة وهي غارقة في نومها على صوت ضربات «مروعة» . ففي إحدى الليالي قام رجال أمن الدولة بقتل أحد الطلاب بالرصاصة أمام نافذة بينها ، لأنه كتب بفراسة



مرضته للصباغة على الجدران : « فعلت » فطلونا « سرّة » ١ .

- يا إلهي ! قالت لنفسها وهي في غابة الدخنة . - « كان كل شيء يموت معي ! لم تكن قد عرفت مثل ذلك الضيق الآن ! » كانت طفلة في « مائوس » . قبل طلوع الفجر بدقائق ، كانت أصوات الليل المهددة تنقطع فجأة وتحمس المياه وينبجج الغسق وتفرق عاهات الأمازون في صمت سمحي لا يشبه الأصوات الموت . وفي وسط ذلك التوتر الذي لا يطلق ، ذهب لومس « كرونا » إلى بيتها يوم الجمعة الأخير من شهر أبريل ( نيسان ) لتناول العشاء معها .

كانت زيارته لها قد تحولت إلى طقس ثابت وكان يحمل في مواجيد الحديقة بين الساعة والتاسعة مساء ، يحمل قبضة من النباتات المحلية ملفوفة بحريفة النساء لكي لا يلاحظها الناس ، وعنبية من السكولانية المشاة . وكانت « ماريا دوس برايرس » تهيه له معجنات محشوة في صلصة ودجاجة طازجة مطبوخة في مرقها . وكانت هذه الاكلات المفضلة للموائل التطولونية المروفة في أوقات عزها ، بالإضافة إلى طبق من الفواكه المشكلة الموحدة في ذلك الحين . وبينما كانت هي تهيه الطعام في المطبخ ، كان هو يستمع في الفونوغراف أجزاء من الأوبرا الإيطالية المسجلة في مناسبات تاريخية خاصة ، وكان يرتشف يطر من كأس بها ليلد برتغالي يكفيه حتى نهاية الاصطوانات .

وبعد العشاء الذي كان يدوم عادة وقتاً طويلاً تدور فيه الكثير من الأحاديث ، كانا يمارسان الحب بشكل رتيب وهما جالسان في

مكائنها وكان هذا يترك في نفسيهما فرصات مغرية . وقبل ذهابه عندما بدأ الغسق ينفذ إلى نفسه لتقرب منتصف الليل ، كان القومس يترك خمساً وعشرين بسطة تحت الممرمة الموجودة بغرفة النوم ، وكان هذا المبلغ هو لمن « ماريا دوس برايرس » عندما تعرف عليها في أحد الفنادق التي مر بها في « براليلو » ، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذي لم يطله صدا الزمان . لم يكن أي من الاثنين قد سأل صاحبه مطلقاً عن أصل هذه الصداقة . كانت « ماريا دوس برايرس » تدعى له ببعض الأفضال البسيطة ، إذ كان ينصحها لكي تحسن التصرف في مذكراتها ، وكان قد علمها على معرفة القيمة الحقيقية لممتلكاتها وطريقة حفظها بدلاً من تكديسها لكونها حاجات مسروقة ، لم أنه هو الذي دلها على الطريق الذي ينبغي لها أن تتخاره لشحوختها والسكن في « جرابا » ، بعد أن تم اعتبارها في الماشور الذي قضت فيه معظم حياتها على أنها لم تعد صالحة للاستعمال في ظل الذوق الحديث ، وأرادوا إرسالها إلى إحدى دور المتقاعدین السرية التي كانوا يملكون فيها الأطفال ممارسة الحب لقاء خمس بسينات . كانت قد روت للقومس بأن أمها قد باعها عندما كانت في الرابعة عشرة من العمر في ميناء « مائوس » ، وأن الضابط المسؤول في إحدى البلواخر التركية قد تمتع بها بلا رحمة خلال عبور المحيط الأطلسي لم تركها وحيدة وبلا نقود ومن غير لغة وبدون اسم في بحر أنزور « براليلو » . كانا يمانيان احدام الأنفاه المشتركة بينهما ، لأن شحورهما بالوحدة كان يتفاقم عندما يكونان سوياً ، ولكن لم يتجرأ أي منهما على الشكوى من مفتاح تلك العادة . واحتاجا إلى اضطراب وطني عام لكي ينته الاثنان في نفس الوقت إلى درجة الكره الذي كان يشعر به

أحفظهما تجاه الآخر وإلى مستوى الرأفة في تعاملهما خلال سنوات طويلة .  
كان بمثابة طريق ، إذ إن قورس « كروونا » كان يستمع إلى نغمة الحب  
« لا برعمس » بفناء « ليتا ألباسي » و « غيامبو خجلي » ، عندما وصله  
خبر بالصدقة من جهاز الراديو الذي كانت « ماريا دوس برايرس »  
تستمع إليه في المطبخ . اقترع هو على أن يراف أصابعه من المطبخ وأحد  
يستمع . كان الجنرال « فرانيسكو فرانكو » الذي كان دور الخالد لأشباهه قد  
تعمل مسؤوليته وقرر الصبر الهتمي لثلاثة من الأمصاليين الهاسكين إذ  
حكم عليهم بالهوت ، تلقى القومى الصعداء

- إذن سوف يرمونهم بالرصاص ولا تراجع . قال : لأن القائد  
« فرانكو » وحل عادل .

تعت « ماريا دوس برايرس » عليه عينيها المستعطين الشبهتين  
بجس أقمى الكوبرا الحقيقة وشاهدت حديقته الحزين من العاطفة وراء  
النقارة الذهبية وألصقه العيشة بأشنان القوارض وبدمه الهجينين  
وكانها حيوان تترد على الرطوبة والحرارة ، وهكذا كان .

- عليك أن ترجو الله ألا يقع ذلك ، قالت له : - لأنهم لو رموا  
واحداً منهم فقط ، فوضعت لك السم في الحساء .

عاف القومى .

- ماذا ؟

- لأننى أنا أيضاً بنى هادئة .

لم يعد قورس « كروونا » إلى زيارتها مطلقاً ، وتأكدت « ماريا  
دوس برايرس » من أن انفصل الآخر من حياتها قد ختم تنوءه ، وفعلت  
فاتها كانت حتى وقت قريب محضاي عندما كان الآخرون يتارلون لها  
من مقاعدهم في الحفلة أو كانوا يساعدونها على عبور الشارع أو  
يمسكون بيدها لصعود السلالم ، ولكنها لم تعد تسمح به فقط ، وإنما  
بمحناء كمحاجة كريمة . حينذاك طلبت أن يعملوا لها لوحة قمر على ضربة  
القوضويين ، بلا اسم ولا تأريخ وأحدثت تنام في منزلها دون انفعال الباب  
لكي يتمكن « نوي » من الخروج بخير وفاتها فيما إذا مات خلال  
يومها .

وإلى أحد أيام الأحاد وبعد رجوعها من المقبرة ، التقت في بسطة  
السلم بالطفلة التي كانت تسكن مع أبويها في الدار المواجهة لها ،  
وصاحبتها تقطعت معها عدة فوارع ، تحدثت لها بطيب قلب الجدات  
عن كل شيء ، فيما كانت ترقها وهي تنصب مع « نوي » وكانها  
صديقان قديمان وفي ساحة « بلاتديل ديلمانى » اشترت لها بوظة  
حسما كانت قد خفطت .

- حل تمحلك الكلاب : سألتها .

- إننى مفتونة جداً بالكلاب . قالت الطفلة .

آنذاك عرضت « ماريا دوس برايرس » عليها الاقتراح الذي كانت  
قد هيأته منذ زمن طويل .

- لو حدث لي أي شيء في يوم ما ، ثوري أنت مسؤولة ؟ توي ،  
قالت لها ، بشرط واحد ، وهو أن تركبه سراً ليام الأحد ، دون أن تتفنى  
عليه أبداً ، أنه يعرف ما ينبغي له أن يفعله .

فرحت الطفلة ، وعادت « ماريا دوس برايريس » إلى دارها  
سريرة لتعبرها بأنّها قد حاثت الحلم الذي نضج في قلبها خلال  
سنوات عديدة . غير أنّ ذلك الحلم لم يتحقق ليس بسبب تعب  
الشيوخوخة ولا لتأخر الموت ، ولا حتى نتيجة لقرار شخصي ، لقد  
أعادتها الحياة إلى نفسها في إحدى أصمات نوفمبر ( تشرين الثاني )  
القارسة ، عندما حثت عاصفة مبلغة عندما خرجت من اللبيرة . كانت قد  
كبت الأسماء في التوحات الثلاث ونزلت تمشي نحو محطة الحافلات  
عندما بنّيتها بالكامل رجات المطر الأولى وأسرعت إلى الاحتباء بمدخل  
عمارات أحد الأحياء الخازية الذي كان يبدو وكأنه ينتمي إلى مدينة  
أخرى والذي كان يشتمل على حانات خربة ومضائق مغلقة وفاحات  
حقل ضيقة . كانت تريد من وجع دوي العاصفة . وبينما كانت  
« ماريا دوس برايريس » تحاول للغة الكلب الملول بجسدها ، كانت  
تشاهد مرور الحافلات المليئة بالركاب وسيارات الأجرة ولقد لطفت  
النضوء للسمير الذي يدلّ على كونها فارغة ، ولم يتعب أحد الإشارات  
الاستفائة التي كانت تقوم بها . وفجأة ، وعندما بدأ لها مستحيلاً  
حصول أية معجزة ، مرت سيارة فضة بلون الفولاذ المشرق دون أن  
تحدث أي صوت تقريباً في الشارع المظلم بالماء وتوقفت دون أن تتوقع  
ورجعت إلى الخلف حتى المكان الذي كانت تقف فيه . نزل رجلا

الناقلة بفعل نفخة ساحر وهرض عليها السائق أن يأخذها إلى المكان الذي  
ينبغيه .

- انذهب إلى مكان بعيد جداً ، قالت له « ماريا دوس برايريس »  
بصرامة . - غير أنني سأكون شاكراً فضلك لو أنك قررتي قليلاً .

- قولي لي إلى أين تذهبين ؟ أليس هو .

- إلى « جراتيا » أختي .

فتح الباب دون أن تحس .

- أنه في طريقني ، قال لها . - اصبري .

كانت تنبعت في اللبيل رائحة أدوية مبردة ، وتحول المطر  
إلى حدث فبرحقيقي ، وتغير لون المدينة وتغيرت هي بوجودها  
في عالم غريب وسعيد ، حيث كان كل شيء ميسراً منذ البداية .  
كان السائق يفتح طريقه وسط غوضى المرور بمهارة فيها شيء من  
السحر . كانت « ماريا دوس برايريس » مرتبة ليس لظهورها المؤسسي  
فحسب ، بل أيضاً لحالة الكلب التي يرى لها والذي كان ينام في  
حضانها .

- هذه عابرة محيطات . قالت له لتعبرها بأن عليها أن تقول  
ليها ذا بال . لم تشاهد مثلها من قبل ولا حتى في الأحلام .

- في الواقع ، إنّ الشيء السيء الوحيد هو أنها ليست لي . قال

ذلك بلغة طفولية حبيبة ، وبعد عدة أضاف باللغة الاسانية : - ان  
روحي التي اسلمها طيلة حياتي لا تكفي لشراء هذه السيارة

- انصرف ذلك . قلت بنحس .

نظرت اليه شراراً وكذلت أصواه لوحة القيادة تنيره قليلاً ، ورأت  
بأنه شاب في عمر المرافقة ، ذو شعر سمند وقصير ومنظر جانبي لم ي  
يتمثال بروني روماني طنت ماله ليس حبيلاً ولكن له صرخاً صعلقاً ،  
بحيث ان صفته الملهية الرحيمة والمستهنكة ، كانت لا تفتق به ، وان لانه  
لا بد ان تكون سعيدة عندما تشعر بمودته الى البيت ولطيف يديه فقط ،  
والذين تتساهد يدي فلاح ، كان بالامكان تصديق ان السيارة لم تكن له .

لم يمض بعد ذلك الى التحدث فيما تبقى من الطريق ، غير ان  
ماريا دوس برايرس ، هي الأخرى لمحت بأنه كان ينظر اليها فزراً  
عدة مرات ، ولعنت من جديد بالمرارة لكونها مازالت حبة مهلنا العمر .  
ظنت نفسها قبيحة ولحمت على الشفقة ، وهي تغطي رأسها بمندبل المطبخ  
الذي وضعت على صدرها كقبضاً اشفق عندما بدأ المطر يساقط ، وكلما  
منعطف الجرف الذي برئى له والذي لم ترغب في تغييره لأنها كانت تتفكر  
بالموت . وعندما وصلا الى حي جراتيا ، بدأ المطر يتوقف عن النزول ،  
وكان الوقت ليلاً وكانت أنوار الشارع مضامة . انماوت « ماريا دوس  
برايرس » على السابق بأن يتركها عند منعطف قريب ، ولكنه أصر على  
إبصارها حتى باب بيتها ، ولم يفعل ذلك فحسب ، وأما توقف على  
الوصف حتى تمكن من النزول دون أن يبتل . أطلقت الكلب وحاولت

الخروج من السيارة بزة نفس في حدود ما يسمح لها به جسدياً ،  
وعندما عادت لتشكره ، اصطدمت ببطرة الرجل التي حملتها تحصر  
أناسها ، وأمسك بها لحظة دون أن ينهم من سبهما كان ينتظر شيئاً من  
الآخر ، وبعد ذلك سألها بصوت ثابت وحري

- هل أسعد ؟

لمحت « ماريا دوس برايرس » بالدل

- انني أشكر لك حسن صيحتك بحلي الى هنا قالت له

ولكن لن أسمح لك بالسخرية مني

- ليس هناك أي سبب لكي أسخر من الآخرين . قال هذا بلغة  
اسبانية وبجدة واضحة . - وبشكل خاص من امرأة مثل حضرتك .

كانت « ماريا دوس برايرس » قد تعرفت على الكثير من الرجال  
مثل هذا ، وأقنعت آخرين كثيرين من الاختيار كانوا اكثر حراً من هذا ،  
ولكنها لم تنجح في حياتها الطويلة كنّها يمثل هذا الحيف لانتفاضة القنول .  
صمته من جديد ينبع ، دون أن تبدو على صوته أية علامة للتغير :

- هل أسعد ؟

اجتمعت هي عن السيارة من غير أن تغلق الباب وأجابته باللغة  
الاسبانية لكي تؤكد من أنه سوف يقيمها :

- افضل ما يحلو لك .

الدفعت الى مدخل العمارة الذي لم تكن لتول الشارح المخرقة تصله  
 الا بالكاد ، وشرعت بصعود الجزء الأول من السلم وركبتها ترتجفان ،  
 ولمكن منها رعب ظنت أن الانسان يمكن أن يصر بمثل عند الموت فقط .  
 وعندما توقفت أمام باب بيتها تبحث عن المفاتيح في جيبتها وهي ترتجف  
 جزءاً ، سمعت صوت اغلال بابي السيارة على التوالي في الشارع ،  
 وحاول « نوي » الذي كان قد سبقها أن ينجح . « اسكت » ! قالت له  
 بهمس محتضر . وبعدما بلحظات صمرت بالخطوات الاولى على  
 درجات السلم وغابت على قلبها من الانزعاج . وخلال جزء من الثانية  
 عادت الى التفكير بالحلم التحذيري الذي غير حياتها خلال ثلاث سنوات  
 وفهمت بأنه لم يكن سوى خطأ في التفسير .

- بالهي ! قالت بدهشة - اذن ، لم يكن للموت !

عمرت لتعبراً على قلب القفل ، بينما كانت تسمع الخطوات  
 للممنوعة في الظلام وصوت النفس لأحد ما ، والذي كان يصاحبه وكان  
 يقترب وهو عاتف مثلها ، وعندما أدركت بأن انتقارها خلال سنوات  
 طويلة قد أتى أكله ، وكلما محتاتها الطويلة في الظلمات ، حتى ولو كان  
 في سبيل أن تعيش تلك اللحظات فقط .

مايو (أيار) ١٩٧٩

- ١ - ملاحظات المرحوم : « ماريا دوس برايس » اسم علم لأنثى ، ويعني  
 باللغة البرتغالية : ماريا ، أم للثلاث أو صاحبة للثلاث .
- ٢ - الثاير حيوان ليون يتواجد في آسيا وأمريكا الجنوبية ، وهو بحجم  
 الحيتان البري وله مخطوم طويل يشبه خرطوماً صغيراً . ولحمه يؤكل .

### تسمم سبعة عشر الجليلياً

إن النبي الأول لاحقة السيدة « رودنيا لينرو » عندما وصلت  
 الى ميناء « نابولي » ، هو أن هذا الميناء له نفس رائحة ميناء « يوهانسا »  
 في « كولومبيا » . لم تحك ذلك لأي أحد طمناً ، لأنها لو كانت قد فعلت  
 ذلك لما كان قد فهمها أحد من مسافري تلك الرحلة وجلهم من المستن ،  
 وكانت الباخرة مكتظة بالاطباء المتبحرين في « يونس آيرس » ، والذين  
 يعودون الى وطنهم لأول مرة بعد الحرب ، ولكنها شعرت مع ذلك بأنها  
 أقل وحدة وأقل خوفاً وبعاداً بسنواتها الاثنتين والسبعين وبعد رحلة بحرية  
 شاقة استغرقت ثمانية عشر يوماً ، وهي بعيدة عن أهلها وبيتها .

منذ ساعات الفجر الاولى ، كانت قد شاهدت بعض أنوار  
 الأرض ، استيقظ المسافرون سكرّاً أكثر من أي يوم آخر ، لا بسين ليلياً  
 جديدة وقلوبهم متفتحة بللهم القلق على ظروف الوصول ، مما جعل ذلك  
 اليوم يبدو وهو آخر يوم أحد خلال الرحلة ، وكأنه اليوم الحقيقي الوحيد  
 في الرحلة كلها . كانت السيدة « رودنيا لينرو » من بين الأشخاص  
 القلائل الذين حضروا الى القفاس . وخلافاً للأيام السابقة حيث كانت  
 تركزي ملائمة نصف حذاء للمحرك داخل الباخرة ، فأنها ليست في ذلك

اليوم للنزول وداه داهاً من الكنان الحسن وتلحزت بنطاق بني فيه بما يستعمله الآباء الفراتسكونيون من رهبانية « سان فراتيسكودي ليسى » .  
وليس في قديمها نعلماً معنوياً من جلد غير مدبوغ ، لم يد لحدته نعل  
لشخص غائب لزيارة الأماكن المقدسة . كان دفناً مقدماً : كانت قد  
تلوت لله أن تلبس ثوب الرهبانية الطويل ذاك حتى موتها إلا استعجاب  
لها واستباحت أن تسافر الى « روما » لرؤية « الحبر الأعظم » ، ولهذا  
فأنها اُخبرت طلبها قد استجيب . وبعد انتهاء القداس أنشأت شجرة لـ  
فروح القدس ، للشجاعة التي ألهمها إياها في تحمل مواصف « الكاريسى » ،  
وصلت صلاة واحدة لكل واحد من أجل أولادها التسعة وأحفادها الأربعة  
عشر ، والذين كانوا في تلك اللحظات يحملون بها في ليل « يوهاننا »  
العاصف .

وعندما ارتقت الى سطح الباعرة بعد الفطور ، كانت الحياة في  
الباعرة قد تغيرت . كان متاع السفر قد تراكم في صالة الرقص ، وكانت  
ضمن تلك الأمتعة كل أنواع الحانجات الساحبة التي اشترهاها الإيطاليون  
في الأسواق الساعرة في « لاس أنيلاس » ، وكان فرق عزفانة معرض الحانة  
فرد مكاك من « برينوزو » موضوع في قصص حديدي مرصع . كان  
صباحاً مشرقاً لأحد أوائل أيام شهر أغسطس ( آب ) . يوم أحد نموذجي  
لذلك الأصفاء لما بعد الحروب ، حيث الضوء يبدو وكأنه وحى يومي ،  
وكانت الباعرة الضحلة تتحرك ببطء شديد، تنهت لهاث المرض في  
بحيرة شائعة . وأبعد الحصن المحكم لدوق « أنغزو » يظهر في الأفق  
بالكاد، غير أن المسافرين الذين كانوا يطلون من جوانب السفينة نظروا

بأنهم بدأوا يحرقون على الأماكن المعروفة لديهم ، وكانوا يحسرون بها  
بدون التأكد من حقيقة ذلك ، صارخين من الفرح بلهجة جنوبية . وعلى  
الرغم من أن السيدة « بروذتيا لينرو » كانت قد أنقذت الكثير من علاقات  
الصداقة مع المسنين على ظهر الباعرة ، وودعت الأطفال بينما كان أبائهم  
يرقصون ، وحتى أنها تبنت زراً في السرة العسكرية لكبر الضباط ،  
رغم ذلك كله وجدتهم فجأة غريباء ومختلفين ، فالروح الاجتماعية  
والحرارة الانسانية التي ساعدتها على تحمل مشاعر الشوق الأولى في  
خمول المنطقة الاستوائية كانت قد اختفت ، وكان الحب الأزلي لأعالي  
البحار قد انتهى بمجرد رؤيتهم المياه . وظنت السيدة « بروذتيا لينرو »  
التي كانت تجهل للزواج المتقلب للباطليين ، بأن السموة لم يكن في قلوب  
الإيطاليين ، بل في قلوبها هي ، لكونها الوحيدة بين جموع المسافرين في  
رحلة ذهاب ، لأن الآخرين جميعاً كانوا في رحلة عودة . هكذا ينبغي أن  
تكون جميع السفرات ، فكرت وهي تعاني لأول مرة في حياتها من ألم  
الغربة ، بينما كانت تتأمل من طرف الباعرة آثار العديد من العوالم الغريبة  
في قعر المياه . وفجأة ذهرت بسبب صرخة وعب صدرت عن خاة في  
غاية الجمال كانت الى جانبها .

« يا وينتي ! قالت مشيرة الى لئاه . - انظروا هناك .

كان هناك فريق . وأنه السيدة « بروذتيا لينرو » يطوف ووجهه  
نحو الأعلى بين مرجحين ، وكان رجلاً ناضجاً وأصلح وعلى محبة علام  
وجاعة طيحة ونادرة ، وكانت حينها مفتوحة وفرحان ولهما نفس  
لون السماء صاعدة الشروق . كان يرتدي بدلة فاخرة وصلوا من القدياج

وحزمة من الجملد للشماع ، ويحمل زهرة غردتها حلقية في طية صدر سترته ، وفي يده اليمنى علبة مربعة ملفوفة بورق الهدايا ، وأصابعه الخديبية الضاربة إلى السواد ، كانت تحسكه بشريط العلبة ، وهو الشيء الوحيد الذي وجدته للاصمك به في لحظة الموت .

- لأبذ أنه قد سقط من حلفة حرس ، قال أحد ضباط الباغرة . -  
إن مثل هذا يحصل في الصيف بكثرة في هذه المياه .

لم تدم رؤية ذلك للشهد سوى لحظات ، لأنهم كانوا في ذلك الوقت يدخلون إلى الخليج ، كما أن أسبأبا أخرى أقل حزناً جلبت انتباه المسافرين ، غير أن السيدة « برودتيا لينرو » استمرت مفكرة بالفريق ، الفريق المسكين الذي كانت سترته العلوية تتسوح اثر الباغرة ، ولم تكن هذه تدخل إلى الخليج ، حتى خرج زورق قطر هرم لاستقبالها ، وصحبها برصن ما بين حطام الحديد من البواخر العسكرية المخطمة خلال الحرب . وكلما تقدمت الباغرة ، فإن الماء كان يتحول إلى زيت ، وكانت تفتح طريقها بين الحطام الصدي ، وارتفعت الحرارة فتجاوزت حرارة دريوهاثبا في الساعة الثانية مساء . وعلى الجانب الآخر من المضيق للفرق يمسح الحادية عشرة ، بدت فجأة ، المدينة بكاملها ، بقصورها الخيالية وأكوامها القديمة ذات الألوان اللبدة على التلال . وانبعثت من العنق الهائج واللحة شديدة لانتطاق ، ولم تكن غربة على السيدة « برودتيا لينرو » ، لأنها كانت نسبها نفس السرطان المنعفن لغناه دارها .

وأثناء ملوحة الاكراب من الرصيف والوقوف ، كان المارون جمرقون . على أنريالهم ويجرون عن ذلك بانفعالات سيارة ، وكانت المجموع مكتظة على الرصيف وغالبيتها من السيدات في حريف الحمر . قوات صدور ملقبة ومحصورات داخل بذلات الخلد ، مصحوبات بأطفال أخذ حمالاً وأكثر حدماً مما يوجد على الأرض ، وأرواح صغار ونشيطين من الصنف الخالد الذين يقرؤون الصحف بعد زواجاتهم ، والذين يلبسون لباس كاتبي المرائض الصارمين على الرغم من الحرارة .

وفي وسط تلك الضجة الاحتفالية ، كان هناك رجل عجوز جداً ذو مظهر حاد يرتدي معطفاً خفيفاً ، وكانه الشجاذ ، وكان يسحب يده من جيوبه بحففات وحففات من الكتاكيت الصغيرة ، ملأت الرصيف في لحظات وهي توضع بعنون في جميع الأرجاء . ولأنها كانت حيوانات صخرية ، فإن الكثير منها كان يستمر في الحري على الرغم من دوسات الجمهور اللامبالي بالمعجزة . وكان الساحر قد وضع قبعة على الأرض نحو الأعلى ، ولكن لم يرم له أحد من جانب الباغرة أية علة لمساعدته .

وكانت السيدة « برودتيا لينرو » التي أدهشتها تلك العجائب ، والتي بدت وكأنها أقامت على شرفها ، هي الوحيدة التي فكرت الساحر ، ولم تنبه في أية لحظة مدوا أسئلة السيدة ، فنزت موجه بشرة الباغرة بعونها وحجوما التدفع وكانه هجوم القراصنة . وقد دهشت للسيدة لتلك السعادة ولراحة البصل الكريهة والرنجة لهذا العدد من العوائل في الصيف ، وقبعت من قبل عصاها الحمالين الذين كانوا

يتأفون على الأمانة بالتعريب ، فصرحت بأنها مهتدة بالثوب ، نفس  
موت الكناكيت على الرصيف والذي ليس له أية رائحة للمجد . آنذاك  
جلست فوق صندوقها الخشبي ذي الروايا العذبة المثلثة ، ولبت في  
مكانها رابضة الحائش تعنى حلقة مفرقة من الصلوات ، دفناً للرباس  
واشاطر في أرض الكفار . وهناك وحدها كبير الضباط بعد انتهاء الزلزل  
الاستقبال ، ولم يكن هناك أحد غيرها في الصالة المهجورة .

- لا ينبغي أن يكون هذا أي أحد في هذه الساعة ، قال لها الضابط  
ذلك بلهجة لا تخلو من الطيبة . - هل أستطيع مساعدة حضرتك ؟  
- عليّ أن أنتظر التوصل . قالت له .

وهكذا كان ، قبل يومين من مغادرة الباخرة ، أرسل ابنها الكبير  
رقية إلى القنصل في نابولي ، والذي كان صديقاً له ، يرجوه فيها أن  
يقوم بالنظر أمة ومساعدتها في إجراءات السفر إلى روما . وكان قد  
بعث له اسم الباحرة وساعة الوصول ، وأضاف له أيضاً بأن بإمكانه  
التعرف عليها من ردها المطابق لأردية رهبانية ، شأن فرانسيسكو ، والذي  
متلبسه عند التزول ، وأهدت هي حزاماً قديماً في قوتبتها ، بحيث أن  
كبير الضباط سمح لها بالانتظار هناك وقتاً آخر ، على الرغم من قرب  
ساعة الغداء بالنسبة للصحاحين ، وكانوا قد وضعوا الكراسي فوق الموائد  
وبدؤوا يفسلون ظهر البحيرة بماء شديدة . واضطروا إلى تحريك الصندوق  
مرات عديدة لكي لا يبتل ، وكانت هي تغير مكانها دون تأثر ومن غير  
أن تقطع صلواتها ، حتى أعرجوا من صالات التترة ، وانتهت إلى

الجلوس في عز الشمس بين قوارب الاقنالا ، وعاد كبير الضباط إلى رؤيتها  
هناك قبل الثانية مساء بقليل ، تكاد تختفي بالمرق داخل رقاء القنوة ،  
وهي تعنى سلسلة صلوات وفي غاية القيس ، لفزعها وحزنها وصبرها  
القاسي على البكاء .

- إن اعادة الصلوات لا تنفع ، قال لها الضابط بلهجة تخلو من  
الطيبة الأولى حتى الرب يذهب في اجازة في شهر أغسطس (آب) .

شرح لها بأن نصف ايطاليا تكون على الشواطئ في ذلك الوقت ،  
وعاصمة في أيام الأحد . ومن المكر ألا يكون القنصل في اجازة لطروف  
عمله ، غير أنه الشيء الأكيد هو أنه لن يفتح مكتبه قبل يوم الاثنين  
والشيء المعلوم الوحيد هو أن تذهب إلى فندق للارياح بهدوء ،  
والانصال في اليوم التالي بالفصلية التي يمكن اعتنور على تقويمها من دليل  
الهاتف . وهكذا فقد وجدت السيدة بروفتيا لينيو ، نفسها مضطرة  
إلى قبول بهذا الرأي ، وساعدها الضابط في إجراءات الدخول والمطارك  
وتصريف المسلة ، ووضعها داخل سيارة أجرة مرفوقة بترصبة مشرومة  
بأن يحملها إلى فندق مناسب .

كانت سيارة الأجرة المحمور الشبيهة بحربة حنظرية ، تسير حثيرة  
في القوارح الخالية ، وفي إحدى اللحظات عطلت ببال السيدة بروفتيا  
لينيو فكرة أنها هي والسائق هما الكائن الحيان الوحيدان في مدينة  
تساح متفنة في أسلاك وسط الشوارع ، ولكنها فكرت أيضاً بأن نساء  
يحدثن تلك الكثرة وباندفاع كبير ، ليس لديه وقت للاحاق القنور  
بمرأة مسكينة وحيدة ، تحدثت مخاطر المحيط لرؤية البابا .



وفي نهاية متعة الشوارع لاج البحر من جديد ، وامضت ميلة  
الأجرة تنقّر على طول شاطئ صوب البحر ووحيد ، حيث كان  
يوجد العديد من الفنادق الصغيرة ذات الأتوان الصارخة ، ولكنه لم يتوقف  
عند أي منها ، بل ذهب مباشرة إلى أمتها بهاء ، وكان قريباً من إحدى  
المطابخ العامة التي تشغل على أمتجار نخل كبيرة ومقاعد خضراء .  
وضع السائق الصندوق على الرصيف المظلل ، وأكد للسيدة : « برودتيا  
لينرو » التي بدت عليها علامات الرية ، بأن ذلك الفندق هو من أكثر  
فنادق « نابولي » ملاحة .

تقدم حمال وسيم ولطيف ووضع الصندوق على ظهره وأخذ زمام  
المبادرة فقادها حتى مصعد مؤقت ومصنوع من تيكات معدنية وموضوع  
في قبة السلم ، وصرع بفناء مقطع من لوبروا « بوجيني » بأعلى صوته  
وتصيحهم بحث على القلق . كان بناء هيكلاً يتكون من خمسة طوابق  
مجددة ، وكان يوجد في كلّ طابق فندق مختلف . وفي لحظة معينة  
صرحت السيدة « برودتيا لينرو » فجأة بالانهار ، إذ وجدت نفسها  
دليل قنص وكأنه خاص بالدجاج ، وكان يرتفع يطق خلال مركز السلم  
المغطى بممر متألق ، ويقاضى الناس داخل البيوت يشكركهم الحسبية  
وملابسهم الداخلية المنزلة وجسائهم الحامض . توقفت المصعد في الطابق  
الثالث بنقطة وسكت الحمال عندما هن الضاء لم فتح الباب فا الطيات وبين  
السيدة « برودتيا لينرو » بإشارة احترام بأنها كانت في دارها .

شاهدت هي مراقباً ضعيفاً وراء الطاولة الخشبية للرصمة بالزجاج  
المثلون الموضوعة عند المدخل ، وكلها نباتات النضرة في أصص

لحاشية . أعجبها في الحال لأنه كان له نفس الخصلات الجميلة لحفيدا  
الصغير . وأعجبها أيضاً اسم الفندق بحروفه المظورة على لوحة برونزية ،  
وأعجبها رائحة الحامض الفيك والنباتات الطائفة والعنّت وزهور الزنبق  
الذخيرة المرسومة على ورق المديان . وبعداً تقدمت خطوات خارج  
المصعد وصرحت بانقباض في قلبها . وكانت هناك مجموعة من السياح  
الانجليز من لابس السراويل القصيرة وأحذية الشاطئ الخفيفة ، غافن على  
كراس منخفضة تستعمل في قاعات الانظار وموضوعة في طاوور طويل .  
كانوا صبعة عشر ، وكانوا يجلسون في نظام حديسي ، كما لو كانوا  
شخصاً واحداً ، ثم تكرر مرات كثيرة في رواق مليء بالاريا . وأنهم  
السيدة « برودتيا لينرو » دون أن تحمّهم بنظرة غاطمة ، وإن الشيء  
الوحيد الذي أثار انتباهها هو الصف الطويل من الركب الموردة التي بدت  
وكانها أجزاء من لحم الخنزير المطبق في كلا لب مجزرة . لم تجرؤ على  
التقدم خطوة أخرى من الطاولة بل تراجعت فرقة ودخلت إلى المصعد من  
جديد .

- لنذهب إلى طابق آخر ، قالت .

- إنه الفندق الوحيد الذي به مطعم ، بأنها السيدة . قال الحمال .

- لا يهم أضافت هي .

لم يحترض الحمال فسد باب المصعد وغنى الجزء المتبقى من الأغنية  
حتى الفندق الموجود بالطابق الخامس . وكان كل شيء هناك يبدو أنزل  
صرامة ودقة ، وكانت صاحبة الفندق سيّدة ربيحة تتحدث اللغة الاسبانية

بشكل جيد ، ولم يكن هناك من ينام القليلة على كراسي الانتظار بمدخل الفندق . لم يكن هناك مطعم ، طبعاً ، غير أن الفندق كان قد اتفق مع أحد المطاعم القريبة لتقديم الطعام لرائته بأسطر خاصة . وهكذا فقد قررت السيدة « برودتيا » ليلته ، البقاء ليلة واحدة ، مفتحة بنصاحة ولطف صاحبة الفندق ، وكذا لارتياحها لعدم وجود أي المجلزي ذي ركنين مودنتين ينام في المدخل .

كانت تسميات لوفلد غرفة النوم مغلقة على الساعة الثانية بعد الظهر ، وكان الظل يحافظ على البرودة المعتدلة للمكان ، أما الصمت الخيم فكانه صمت غابة منعزلة ، مما يجعلها ملائمة للبكاء . وما أن بقيت السيدة « برودتيا » ليلته ، وحيدة ، حتى أغلقت قفلي الباب ، وتوالت للمرة الأولى منذ الصباح بشكل متقطع وصعب ، مما سمح لها باستعادة هويتها المفقودة خلال الرحلة . وبمدها علمت غفيتها ونزعت حزام رداء الراحلة وتحدثت على حائنها الأيسر فوق السرير الواسع والوحيد لها وحدها ، وأرائت دموعها الباقية المخاضرة .

لم تكن المرة الأولى التي تخرج فيها من « ريو هاندا » لحسب ، بل كانت من المرات القليلة التي تخرج فيها من بيتها بعد زواج أبنائها ومغادرتهم المنزل وبقياتها وحيدة مع إثنين من الهنديات الخائفات لرعاية جسد زوجها الخالي من الروح . لقد أحرق نصف حياتها في غرفة النوم مقابل حطام الرجل الوحيد الذي أحبته ، والذي بقي في حالة سبات لما يقرب من ثلاثين عاماً متمسكاً على السرير ، صرير حب مرحلة الشباب ، فوق لفرة مصنوعة من جلد الجدي .

وفي شهر أكتوبر ( تشرين الأول ) الماضي ، فتح المريض عينيه في وضعية مفاجئة للصحو وعرف أمه ثم طلب منهم أن يحضروا مصوراً . أخذوا إليه مصوراً المنزلة العجوز مع جهازه الضخم بنظارة وكتمه الأسود ورواه للمنسيوم الكبر للصور المنزلية . نظم المريض نفسه الصور ، واحدة لـ « برودتيا » للحب والسعادة التي منحها لي في الحياة ، قال ذلك فعملوها مع الوجه الأول للمنسيوم . « والآن ، صورتين لابتني العزيزتين ، « برودتيا » و « تاليا » ، أضاف ذلك فعملوها أيضاً . « واثنين لولدي اللذين هما مثال للعائلة لودها وتقبلها » . وهكذا حتى انتهاه الورد ، حيث اضطر المصور بعدها إلى الذهاب إلى بيته لحلب ورق أكثر . وفي الساعة الرابعة مساءً ، حيث لم يعد بالإمكان التنفس في غرفة النوم بسبب دخان المنسيوم وجلبة الأكرباء والأصدقاء والمعارف الذين حضروا لاستلام نسيجهم من الصور ، أخذ المريض بضمحل في فراشه ، ولم يترك جوديع الجميع بحركة من يده وكأنه سيؤول من العالم من على حافة بانجرة .

لم يكن موته بالنسبة لأرملته مبعث لرتياخ كما كان يتوقع الجميع ، بل على العكس فقد ألم بها الحزن إلى حد كبير مما دفع أبنائها إلى الاجتماع والاستفسار عن الطريقة التي يمكنهم بها ادخال السرور إلى قلبها ، فردت هي عليهم بقولها إنها لم تكن ترغب في شيء آخر سوى الذهاب إلى روما للتصرف على « البابا » .

- سأذهب وحيدة ، لابساً رداء وهابنة « سان فرانيسكو » ، قالت لهم . - إن ذلك نادر في حقلي .

أنّ الشيء الجميل الوحيد الذي بقي لها من أعيام السهر تلك ، هو  
 منعة البكاء ، فلي الباهرة ، حيث كانت تنقسم غرفة النوم مع التفتين من  
 الرهايات ، التفتين نزلتا في « مرسيليا » ، فانها كانت تتأخر في الخروج من  
 الحسام للبكاء دون أن يراها أحد ولهذا فان غرفة الفندق كانت المكان  
 الوحيد المناسب للبكاء على راحتها منذ أن خرجت من « ريو هانسا » .  
 وكانت على استعداد للبكاء حتى اليوم التالي ، عندما صيغاد لطار  
 « روماه » ، لولا أنّ صاحبة الفندق دقت عليها الباب في الساعة مساء  
 لتبلغها بأن عليها الذهاب الى المطعم في الوقت المحدد والآن متبقى بدون  
 طعام . صاحبها عامل الفندق ، وأخذت تهبّ نعمة هواء باردة قادمة من  
 البحر ، وكان قد بقي على الشاطئ بعض محبي السباحة ، تحت لمسي  
 الساعة السباحة . تبعث السيدة « برودتيا ليهرو » عامل الفندق خلال  
 متجنّبات الشوارع المرتفعة والضيقة التي استفاقت لتوها من قيلولة الأحدها ،  
 ووجدت نفسها فجأة تحت تعريشة ظليلة حيث كانت بعض موائد الطعام  
 المغطاة بساتف بها رسومات مرتبة وحمرات وعليها حلب مخفل تم  
 استبدالها كزهرات وبها زهور ورقية ، والمراكلون الوحيدون في هذه  
 الساعة المبكرة كانوا عمال المطعم أنفسهم ، بالإضافة الى راهب شديد  
 الفقر كان يأكل الخبز والبصل في ركن منزوي . وعند دخولها ، صمرت بأن  
 الجميع ينظرون اليها بسبب رفاقتها البتي ، ولكنها لم تقلق لأنها كانت  
 تعلم أنّ السخيرة تشكل جزءاً من الثروة أو الكفاية . في حيث أنّ عاملة  
 المطعم أثارت استغبتها قليلاً ، لأنها كانت لبقراء وجميلة ، وكانت  
 تتحدث كما لو أنها تنتمي ، فظنّت هي بأنه لابد أن تكون الامور في  
 إيطاليا سهلة للغاية بعد فترة الحرب ، فبعد هذه العينة نفسها مضطرة الى

الخدمة في مطعم ، ولكنها صمرت بارتياح في ذلك الجو الزهري المعرض  
 للمغم برائحة أورال الغار المستخدمة في الطعام ، وتفتحت شهيتها المرحاة  
 بسبب قلق النهار ، ولأول مرة ومنذ زمن طويل ، لم تشعر برغبة في  
 البكاء .

ومع ذلك فأنها لم تستطع تناول طعامها براحة ، لأنها من ناحية  
 وجدت صعوبة في التفاهم مع عاملة المطعم الشفراء ، على الرغم من كونها  
 لطيفة وصبورة ، ومن ناحية ثانية لأنّ اللحم الوحيد الذي كان عندهم  
 كان لحم طائر مفرد احتافوا على تربته في أنفاس في « ريو هانسا » .  
 حاول الراهب الذي كان يأكل في إحدى الزوايا والذي تحول الى مترحم  
 بين الاثنين ، أن يفهمها بأن ظروف العوز والحاجة بسبب الحرب لم تنه  
 في أوروبا بعد ، وإن عليها أن تعمر توفّر عصالير جبيلة للأكل بمثابة  
 معجزة ، ولكنها مع ذلك رفضت أكلها ، وقالت :

- أن أكل هذه العصالير ، كائني أكل ابناً لي .

وعكنا فقد اتسعت بتناول شوية الحرية وصحناً من القمح المغلي  
 ولطفاً حستيلة من لحم الخنزير القديم ، وقطعة من الخبز التي بدت  
 وكأنها من مرمر . وبينما كانت تأكل ، اقرب منها الراهب ليطلب منها  
 صدقة بأن تدفع عنه ضحان كهوة ، ثم جلس معها . كان يوحسانياً ، الأ  
 أنه كان ضمن حملات التبشير في « بوليفيا » ، وكان يتحدث لغة اسبانية  
 ضعيفة ولكن معبرة . بدا للسيدة « برودتيا ليهرو » كرجل مبتل ليس به  
 أي أثر للحلم ، ولا حظت أيضاً بأن لديه يدين قلريين بأظفار محطمة

ووصفة . وكانت تهبث من نفسه رائحة البصل القوية والحادة التي بدت وكأنها صفة ملازمة له . ولكن رغم هذا كله ، فإنه كان في خدمة الخافي ، وكانت معة جديده بالنسبة لها أن عثرت على من يمكن التغايم معه بهيئاً حذاً من بيتها ، ثمادتاً على مهلهما ، غريبت عن الضجة الكثيفة التي هي أنه بصصف الزرابي والتي أحدثت محاصر المكان بصورة متزايدة حسب ازدياد الأكليين الذين أعلنوا يشغلون بقية الموائد . كانت قد تكلفت عند السيدة « برودنيا لينبرو » فكرة حاسمة من إيطاليا : أنها لا تمسحها . ولم يكن ذلك بسبب تمسك الرجال لوقتها ، وإن كان هذا ليس بالثليل ، ولا لأنهم كانوا يأكلون الصائفر ، وهو أمر فائق ويجاوز الحدود ، بل لسوء طمعهم فترك الفرقي يهوسون مع القبار .

حاول الراهب الذي تناول على حسابها بالأضافة الى القهوة كلاً من العرل أن يجعلها تبتن عفة عليه . ففي خلال الحرب كان قد أسس خدمة في غاية الفعالية تقوم بانسراح جنث الفرقي والكشف عن هويتها ودفعها في أرض مقدسة ، وكان الكثير منهم يصحبون عاملين في حليج « نابولي » .

- منذ قرون ، أنشأ الراهب ، والاطاليين قد أدركوا بأنه ليست هناك سوى حياة واحدة ، وهم يحاولون التمتع بها على أفضل وجه ممكن . وجعلهم هذا تقيين متقلين ، ولكنه فقاهم أيضاً من القسوة .

- حتى الباهرة لم يوقنوها ، قالت هي .

- إن الذي يفعلونه هو اعلام مسؤولي الميناء بالراهب ، قال الراهب - والآن لابد أنهم قد أعرجوه ودفعوه باسم الخافي .

غمرت الحادثة مزاج الاكلين ، وكانت قد انتهت من الطعام تنوفاً ، ولم تنبه إلا حينئذ بأن جميع الموائد كانت مشغولة . وكان تاعلو الموائد القريبة يأكلون بصمت ، وكان عليها صباح في عارين . بينهم أزواج من العاطفين الذين كانوا يتبادلون للقبيلات بدلاً من تناول الطعام . وعلى الموائد الموجودة في عمق المطعم تعلق سكان الحي الذين كانوا يلعبون الترد ويشربون ليلاً بلا لون . فكرت السيدة « برودنيا لينبرو » بأنه ليس هناك سوى صبي واحد لو حودما في ذلك البلد النحس .

- هل تظن حضرتك بأن من الصعب الالتقاء به « البابا » ؟ سألت الراهب فأجابها الراهب بأنه ليس هناك أسهل من هذا في فصل الصيف كان « البابا » يحضي إجازته في « كاستيلغا ليلو » ، وفي أماسي الأرماء كان يلتقي في مقابلة عامة مع الزوار القادمين من جميع أرجاء العالم . وكانت بطاقة الدخول رخيصة جداً : عشرون ليرة . لمأكله هي :

- وكم ليرة يتقاضى عندما يعترف أحد أمامه .

- لا يعترف أمام « الأب المتقدي » أي أحد ، قال الراهب بشيء من الاستكثار ، هذا الملوك طبعاً ، وقت عليه قاتلة :

- لا أرى سبباً في أن يرفض خدمة كهذه لامرأة مسكينة جاءت من مكان بعيد جداً .

- حتى بعض الملوك ، مع كونهم ملوكاً ، ماتوا ينتظرون ، قال لها الزاهد . ولكن ، قولي لي : لاهدأن يكون ذنب حضرتك عائلاً ، بحيث عملت هذه السفرة الشاقة لمجرد الاعتراف أمام « الأب المقدس » .

فكرت السيدة « برودتيا لينرو » في فلك لوحة ، ومهادها الزاهد تبسم لأول مرة وتقول :

- سلام على السيدة مريم الطاهرة . تكفيني رؤيته . ثم أضافت متحصرة وكأنه حسرتها قد خرجت من عمق روحها : إنه جلم حياتي .

والواقع أنها كانت ماتزال عاتلة وحزينة ، وإن النسيء الوحيد الذي كانت تريده هو اللعاب في الحال ، ليس من هذا المكان لحسب ، بل من إيطاليا . ففكر الزاهد بأن تلك المخلوعة لم يكن عليها بعد ما تمنحه ، وهكذا فقد نئى لها حظاً سعيها وذهب إلى مائدة أخرى يرجو الصدقة بأن يدفعوا عنه فجان قهوة .

وعندما خرجت السيدة « برودتيا لينرو » من المطعم ، وجدت المدينة قد تغيرت . دفعت لغزو الشمس في النافذة ليلاً ، وأضاعتها الجموع العاجلة التي فزت الشوارع لنفس السهم الجديد . ولم تكن الحياة ممكنة مع فرقعات هذا العدد الهائل من الدراجات البرية المجنونة . التي يقودها رجال لا يلبسون القمصان ، ويخلطهم نساء جميلات يمكن بهم من عصورهم ، وكانوا يفتحون طرقهم قاذرين كالاداعي المتبرجة ، بين الحناظر الملقة وموائد البطيخ .

كان الجو المهمم جواً احتفالياً ، ولكنه هذا للسيدة « برودتيا لينرو » مأساوياً . لقد أضاعت طريقها فوجدت نفسها فجأة في شارع غير لائق ، به نساء مكشهورات جالسات على أبواب دورهن المشابهة ، وقد سبت لها أنوار تلك الدور الحمراء والتي تستعمل بشكل متقطع فرعاً عائلاً ، تبعها وجلى حسن الهندام وفي أصبعه خاتم ذهبي كبير وفي يده ماسة ، على مر شوارع عديدة يقول لها بعض الصارات بالانجليزية أولاً ثم بالانجليزية والفارسية . وبما أنه لم يخلق منها أي جواب ، أرلها بطاقة بريدية كانت في حلة بيضاء ، ولم تخرج هي إلا إلى نظرة حافظة لتدرك بأنها كانت وكأنها تعبر المحرم .

فرت فرعة ، وفي آخر الشوارع عادت إلى رؤية البحر القسبي الذي له نفس الرائحة الكريمة للسبك المتعفن لجاء « ريوهاشا » ، وعاد قلبها إلى مكانه . تعرفت على العنادق ذات الألوان الصارعة للواجهة للشاطئ الحاوي ، وسيارات الأجرة المازجة وماسة النجمة الاولى في السماء الفضية . وفي عمق الخليج ، كانت البهجرة التي جاءت بها وحيدة إلى جانب الرصيف . كانت ضيقة وكان سطحها مضاماً وانتهت إلى أنها لم تعد لها أية صلة به . هناك طرقت إلى اليسار ولكنها لم تستطع الاستمرار ، لأنه كانت هناك مجموعة من الفضوليين الذين تقوم فترات التدرك بمنعهم من التقدم ، وصف من سيارات الاسعاف المفتوحة الأبواب أمام بناء فندقها .

مدت عنقها فوق أكتاف الفضوليين فباعت السيدة « برودتيا لينرو » إلى رؤية السباح الانجليز . كانوا يخرجونهم على الحملات واحداً

بعد الآخر بولم يكن أي منهم جرحاً ، وكان يملو عليهم الوفاق ،  
ومازلوا يملون ، وكانهم تكرر نفس التلصص ، وهم يلبسون اللباس  
الموحد للمساء : سروال قطني ورباط مصطط بخطوط مائلة وصرة غامقة  
عليها شعار « ترينتي كوليج » ، مطرزاً على حجب الصدر . كان المجران  
يطلقون من صرقات دورهم والمضويون يملأون الشارع وكانوا يملأون  
السباح بصوت مرتفع كورالي كما لو كانوا في ملعب رياضي ، كلما  
أخرجوا واحداً جليداً كانوا صبعة عشر . أدخلوهم في سيارات الاسفالت  
الثمن اثنين وظهروا بهم على موي متبة سيارات الاسفالت الهائل .

صعدت السيدة « بروونيا لينرو » وهي في غاية الضعف للعصا  
للزوجه بالربانين القميص في الفنادق الأخرى والذين كانوا يتحدثون  
بلغات غامضة . أدخلوا ينزلون في جميع الطوابق عدا الثالث الذي كان  
مفتوحاً وصاراً . هير أنه لم يكن هناك أحد عند المصعد ولا على كراسي  
اللدخل ، حيث شاهدت التركيب المورقة للانجليز السبعة عشر الناعمين .  
كانت صاحبة الطابق الخامس تعلق على الكارثة بانفعال يصعب التحكم  
فيه .

- مثموا جميعاً ، قالت للسيدة « بروونيا لينرو » باللغة الاسبانية .

- لقد تسمموا بحساء الحار في المساء . - صدار في شهر المسطس  
نصوري ؟ سلمتها مفتاح الغرفة دون أن تمرها اعتسماً زائراً ، في حين  
أنها كانت تقول بلهجتها للربانين الآخرين : لعمري وجود مطعم هنا ، ما  
كل من ينام فإنه سوف يستيقظ حياً في الصباح التالي ! - ومن جديد  
صرخت السيدة « بروونيا لينرو » وكان الدموع على وشك أن تنسفها ،

ماغنتت الباب ، وبهذا دفعت منضلة الكتابة والكراسي ذا المسند وراء  
الباب ، ووضعت لغيراً الصندوق وكأنه مفراس ليس من السهل تجاوزه ،  
لتحتفي به من مظاعة هذا البلد الذي تحدث فيه كل تلك الأنبياء في نفس  
الثوب ، وبهذا ارتدت ثوب الأرملة وتجلدت على ظهرها في السرير  
وصلت صبح عشرة مرة للاستقرار الأبدية لأرواح الانجليز السبعة عشر  
المتسممين .

أبريل ( نيسان ) ١٩٨٠

## ريح الشمال

رأيت مرة واحدة فقط في « بوكاسيو » ، الكابرية الحديثة في  
« برتلونا » قبل ساعات قليلة من موت للشووم . كان محاصراً من طرف  
زمرة من الشباب السويديين الذين كانوا يحاولون الدخول به في الثانية  
بعد منتصف الليل لانتهاء الحفلة في « كاناكيس » . كانوا أحد عشر ،  
وكان من الصعب السجل بينهم لأنّ ذكرهم وانتمهم كانوا يشابهون :  
جميلون ، ذوو حضور جميلة وشم ذهبي طويل . أما هو فإنّ حمرة لم  
يكن على الأكثر تجلوز العشرين عاماً ، وكان رأسه مقطعي بشعر ذهبي  
محقد وبشرته منعمة وصغيرة لأهالي الكابريي الذين مردنهم أمهاتهم على  
السّر في الظل ، ونظرتهم حريّة كما لو كان يريد إثارة الفل في نفوس  
السويديّات وربما في نفوس بعض السويديّين . كانوا قد أجلسوه على  
الطاولة وكأنّه دمية تحدثت من بطنها ، وكانوا يفتنون له بعض الأغاني  
الحديثة المصحوبة بالشرب على الأكفّ لاقصاعه باللحجاب معهم ، بينما  
كان هو يشرح لهم فرعاً أسباب رفضه ، تدخل أحد ما صارخاً يطلب  
منهم أن يتركوه بسلام ، غير أنّ أحد السويديّين تعرّض له وهو يكاد يموت  
ضحكاً .

- أنه لنا ، صرخ . لم نثر عليه في صندوق القمامة .

كنت قد دخلت قبل ذلك بقليل مع مجموعة من الاصداقاء بعد الحفلة الموسيقية الأخيرة التي أقامها « دافيد أومسترك » في قصر الموسيقى ، والشرع بدلي لقصة وحمود السويدين ، إذ إن أسباب الشاب كانت مقدسة . كان يعيش في « كاداكيس » حتى الصيف الماضي ، حيث تعاقبوا معه لتقديم أغان من جزر الأنيل في حانة من بحر طراز ، حتى هزمت رياح الشمال . استطاع الفرار في اليوم التالي وقرر عدم العودة إلى هناك بأي شكل كان سواء مع رياح الشمال أو بدونه . متيقناً من أن الموت سيكون في انتظاره فيما لو عاد مرة إلى هناك . كانت تلك قصة كارمية لا يمكن أن تفهمها زمرة من الاسكندانيين الذين لا يرضون بغير الغفل حكماً ، المهيجين بعمل الصيف واليد التطلوني القوي لذلك الوقت ، من الذين كانوا يزعمون آراء مخالفة للأعراف في قلوب الآخرين .

لم يكن هناك من يفهم هذا الشاب مثلي . كانت « كاداكيس » واحدة من المدن الأكثر جمالاً في ساحل « كوستابارا » ، وتم الحفاظ على مظهرها جيداً . وكان هذا يعود من ناحية إلى أن الطريق المؤدي إليها عبارة عن تلة شديدة ومنحرفة على حافة واد عميق بلا قاع ، حيث كان من اللازم أن تكون روح السائق ثابتة جيداً في مكانها لكي يستطيع القيادة بسرعة خمسين كيلومتراً في الساعة . كانت بيوتها منذ زمان بيضاء ومنطقية ، مبنية على الطريق التقليدية التي يرى صباهي حوض البحر المتوسط . أما القصور الجديدة فقد صممتها معماريون معروفون ، احترموا

فيها التماسق مع المنظر الأصلي العام . وفي فصل الصيف ، عندما كانت الحرارة تهدو وكأنها قادمة من صحاري أفريقيا للرابضة ، كانت « كاداكيس » تتحول إلى « بابل » جهنمية ، مليئة بالسياح القادمين من جميع « لوروبا » والذين كانوا يتراحمون خلال ثلاثة أشهر على حافة أهالي المنطقة وكذا الأجانب الذين حالفهم الحظ في شراء دار بمر جيد عندما كان هذا ممكناً ومع كون ربيع « كاداكيس » مرغوبين ، فإنه لم يكن هناك من يستطيع أن ينسى الحوف من رياح الشمال ، وهي رياح أرضية قاسية وعنيفة والتي تشمل معها ، حسب طقس سكان المنطقة وبعض الكتاب ذوي الخبرة ، بذور الجنون

كنت أنا منذ حوالي خمسة عشر عاماً واحداً من زائري تلك المدينة للواطين ، حتى التحمت رياح الشمال علينا حيناً هناك . فحرت بها قبل وصولها في أحد أيام الأحد في ساعة القيلولة حيث تبتأت بشكل يصعب على التفسير بأن أمراً سوف يحدث . حطت بمنزلاتي وشعرت بالجنون من غير سبب ، وتولدت لدي انطباع أوحى لي بأن تولادي الذين كانوا آنذاك دون العاشرة ، كانوا يتعجبون بنظراتهم العدوانية في كل أرجاء البيت . دخل البواب بعد قليل وهو يحمل صندوق أدوات وجبالاً بحرية لأحكام سد الأبواب والتوافد ولم يستعرب من حالة الحوف التي كنت أعاني منها .

- أنها رياح الشمال ، قال لي ، ستكون هنا في أقل من ساعة .

كان بحاراً قديماً ، وكان مسناً جداً ، ومن بين الأسماء التي ورنها من مهته معطفه المطري وعبته وعلبونه وجلبده المكتوي بأملح بحار



العالم . وفي ساعات فراغه ، كان يمارس لعبة الكرات الخشبية في الساحة العمومية مع العديد من الجنود القدامى في حروب غاسرة ، وكان يتناول المقبلات مع السباح في حمامات الشاطئ ، إذ كان يتمتع بحصة القدرة على التفاهم بأية لغة من خلال لغته التطورية اللطيفة . وكان يتفاخر بمعرفة جميع موائل الكون ، دون أن يعرف أية مدينة من العاقل . ولا حتى يمارس على الرغم من أهميتها ، كان يقول : ولم يكن يؤمن بأية واسطة نقل عالم تكن من وسائل النقل البحري .

وفي السنوات الأخيرة بان عليه الشيب المفاجئ لم يعد يخرج الى الشارع ، وكان يمضي الجزء الأكبر من وقته في الحجرة المخصصة للبواب ، ولم يكن حاضراً سوى بروحه فقط كما ألف الحياة . كان يطبخ طعام نفسه في قدر وعلى موقد كحولي ، وكان هذا يكفي لاهلجها جميعاً ليلأثقه بالطعام الغوطي . ومنذ الصباح الباكر كان يشغل بالمستأجرين ثقة بعد أغبري ، ولم أر في حياتي رجلاً غليوفاً مثله ، بكرمه اللائق ودي وحناته القلقلوني الحشن . كان قليل الكلام ، غير أن أسلوبه كان مباشرأ وسديداً وعندما لم يكن يجد ما يقوله كان يقضي الساعات الطويلة ملاماً لجها يا نصيب كرة القدم التي لم يكن يقبلها الى مكتب التسهيل الأ نادراً . وفي ذلك اليوم ، حيث كان يحكم سد الأبواب والوافد حذراً من الكارثة ، تحدث لـ من ربح الشمال وكانت امرأة مقبنة غير أن حياته لم تكن تمني شيئاً يملونها . وذهبت من أن رجلاً من رجال البحر ينعث بذلك الصفة ربحاً أرضية .

- إن هذا السد قدماً ، قال .

ولم تكن السنة لديه ، على مايلو ، مقسمة الى أيام وشهور ، بل الى عدد مرات قدوم ربح الشمال . وقال لي مرة : في العالم الماضي وبعد ثلاثة أيام من ربح الشمال الثانية ، هانئت من أزمة منحن . وكان هذا ربما يفسر اعتقاده بأن الواحد ما يكون قد ازداد عمره عدة أعوام بعد كل عاصفة من ربح الشمال . وكانت هواجسه حادة الى درجة أنه يموت في نومنا قلقاً ورغبة في التعرف عليها كما لو أنها كانت زائرة قاتلة ومرغوب فيها .

لم تنتظر كثيراً ، إذ لم يكد البواب يخرج حتى سمع صوت صغير أعلى يزداد حدة وكثافة بالندرج وتحول الى دوي عارم وكأنه مرّة أرضية حينذاك بدأت العاصفة ، وكانت في البداية متقطعة تفصلها فترات حلوه حتى صارت متواصلة وثابتة دون أي انقطاع أو راحة ، بكثافة وقسوة حارقتين للطبيعة ، كانت شقفاً على المكس عما هو مألوف في الكارهي . تواجه الجبال ، وكان هذا يقود ربما الى اللوق القلقلوني القدم والغريب في حب البحر ولكن دون رؤيته . وهكذا فإن الريح كانت تقدم البنا من الأيام وتهددنا بحطيم أمراض التواقد .

الآن الشيء الذي أثار انتباهي هو أن الطقس استمر بجماله الذي لا يكرّر ، بشمس الذهبية وسمائه الثابتة بحيث أنني قررت الخروج الى الشارع مع الأطفال لمشاهدة حالة البحر . والأطفال ، على كل حال ، كانوا قد نشؤوا بين زلازل المكسك ومراكين الكارهي ، إضافة الى أن الريح لم تهد لنا كسبب يموت على القلق . مروراً على حافة أنداما من أمام حجرة البواب ورأيتاه جامداً أمام صحن من الفاصوليا مع

السحب، يتأمل الريح من النافذة، ولم يشاهدنا عند خروجنا، تمكنا من السير ما دما محميين بالصوت من الريح، ولكننا عند الخروج إلى الزاوية المنعوجة، وجدنا أنفسنا مضطرين إلى صياقة أحد الأعمدة كيلا يجرنا التيار القوي للريح. بقينا هكذا ننأمل البحر الثابت والشفاف في وسط الكارثة، لغاية وصول البواب مع بعض المبران لانقاذنا. حينذاك فقط افترعنا بأن الشئ المقول الوحيد هو البقاء محبوسين في البيت حتى يشاء الله. ولم يكن أي أحد يعلم إلى متى سيستمر.

وبعد مرور يومين تولد لدينا انطباع بأن تلك الريح المزعجة لم تكن ظاهرة أرضية بل انتقام شخصي يقوم به أحد ضد شخص معين. كان البواب يزورنا عدة مرات في اليوم، نلتفت على حالتنا المعنوية، وكان يحمل لنا فاكهة الموسم والفاصوليا للأطفال. وفي وقت الغداء يوم الثلاثاء أهدى لنا رائحة الحفل القطلوني، المعلقة في قدر طبخة، أربب بالقواقع، وكانت حفلة في وسط الرعب. وكان يوم الأربعاء الذي لم يحدث فيه شيء آخر غير الريح، أطول يوم في حياتي، لأند أن كان فيها شيئاً يبعث الفجر، لأننا استيقنا جميعاً بعد منتصف الليل وفي نفس الوقت، متضيقين من الصمت المطبق الذي لا يمكن أن يكون سوى صمت الموت. لم تكن لوراك الانسجار المواجهة للجيل محرك، وهكذا فقد خرجنا إلى الشارع ولم تكن غرفة البواب قد أثرت بعد، ونحننا ننظر صماء الفجر بنجومها المشتعلة جميعها والبحر الفسفوري، وعلى الرغم من أن الساعة لم تكن قد وصلت الخامسة، فإن الكثير من السباح كانوا يستمتعون بالتنفس على أحجار الشاطئ، واعتدلوا بعدون القوارب الشراعية بعد ثلاثة أيام من العقاب.

لم نعبه عند الخروج إلى عدم اشتعال النور في غرفة البواب، ولكننا عند العودة إلى الدار، كانت الريح تمأز بنفس فسفورية البحر، وكانت غرفته مازالت مظلمة. دقت عليه مستغرباً مرتين، ولما لم ألق آية اجابة، دفعت الباب. وأمن أن الاولاد هم الذين رأوه أولاً فاستطقت منهم صرخة رعب. كان البواب المجهز الذي يرتدي صدره البحرية وعلى صدرها الأوصلة التي منحت له لكونه بحاراً ممتازاً، كان معلقاً من رقبته في حبل إلى ولادة السقف الوسطى، وما زال يهتز بفعل النفخة الأخيرة لريح الشمال.

وفي وسط النقاعة مصحوبين بشعور الحزن السابق لأوانه، غادرنا تلك البلدة قبل الوقت المقرر، عازمين بشكل أكيد على عدم العودة مطلقاً. كان السباح مرة أخرى في الشوارع، وكانت الموسيقى تعزف في ساحة الجنود التقدماء الذين كان حماسهم بالكاد يبع لهم ضرب كرات الخشب. ومن خلال الزجاج المفرقعه، ملهم، استطعنا مشاهدة بعض الأصدقاء الذين صلحوا من الكارثة والذين استأنفوا حياتهم من جديد في الربيع المشرق لريح الشمال، ولكن ذلك كله صار ينتمي إلى الماضي.

ولهذا، ففي الفجر الحزين لـ بوكاسيو، لم يكن هناك أحد على يستطيع أن يفهم شخصاً يرفض العودة إلى كاداكس، لأنه كان متيقناً من موته. ومع هذا فإنه لم يكن هناك أي سبيل لانتحار السويديين الذين أغلوا الشباب أعبراً بالقوة متعللين بالدعوة الأوروبية ادخلوه وهو يرفض بوجهه في ساحة صغيرة مليئة بالسكاري وسط تصفيق واستهزاء

الزبائن لتسعين ، وبدؤوا في تلك الساعة وحلهم الطويلة الى « كادا كيس » .

في صباح اليوم التالي أيقظني صوت التلفون . كنت قد لبست الغلاف الستائر عند العودة من الحفلة ، ولم أكن أعرف أي شيء عن الوقت ، غير أن الغرفة كانت غارقة في بهاء الصيف . أيقظني ثرثرة الصوت المتهالك القادم من التلفون ، والذي لم أميزه للوهلة الأولى :

- هل تذكر الشاب الذي أدخلوه في الليل الى « كادا كيس » ؟ .

لن أكن في حاجة الى سماع أكثر من هذا لأنه لم يكن كما تخيلته ، بل أشدّ حاضريّة . أمام فرع العودة الأكيدة ، استغرق الشاب اتصالات السويديين المتعوهين ورمى نفسه بحارج الشاحنة التي كانت تسير على عجل ، محاولاً الهرب من موت محقق .

يناير ( كانون الثاني ) ١٩٨٢

### صيف السبلة « فورييس » المتعب

في المساء ، عند العودة الى النار ، وجدنا أمي بحريّة هائلة قد سحرت من حقها في إطار الباب ، وكانت موداه فسمريّة ، تبدو وكأنها رقيقة فخرية ، بعينين مائلتين نبضان بالحياة وأصدانها المشرقة في فكيفها للمتابعين . كنت في حدود التاسعة من عمري وفتحت بفرح فتديد أمام ظهور ذلك العمل الجولي فانصهر صوتي . أما أمي الذي كان يصغري بهامين ، فاته رمي بحيلة الأوكسجين والأقنعة وأجنحة السباحة وفرّ هارباً وهو يصرخ بلزع . سمعت السبلة « فورييس » التي كانت على السلم المنحرج المني من الحجر الذي يتساق الشعب من أرفأ حتى النار ، فجاءتنا لاهة وقد تغير لونها ، غير أن نظرة واحدة منها تعمو المجران المصطوب على الباب كانت كافية لجعلها تفهم سبب فرعنا . كانت هي قد تعودت على تكرار قولها بأن اثنين من الأطفال عندما يكونان صوة ، فإن كليهما مذنب وسرول عما يفعله كل واحد منها لوحدة . لذا فأنها وبختنا نحن الاثنين على صراخ أمي واستعرت في معانيتها لعدم السيطرة على أنفسنا . تكلمت باللغة الألمانية لا بالإنجليزية حسبما كانت تحبّه بنود العقد معها كسلسلة أطفال ، وذلك ربما يعود

لأنها كانت هي الأخرى حائلة ولا تعرف بذلك . ولم تكن مختلفة ،  
أنفاسها حتى جاءت إلى أنجليزها المعتبرة وإلى هاجسها الثموري

- أنها مريضة هليلية ، قالت لها - هكذا تسمى لأنها كانت حيواناً  
مقدساً لدى الآخرين القدماء

ظهر « أورستي » أخصي ابن البلد الذي كان يملأنا على السباحة في  
المياه العذبة ، ظهر فجأة وراء مسحات الكبار ، كان يحمل قناع  
الغوص على وجهه ، وكان يولدي سرور السباحة الصغير وفي وسطه  
حزام حدي به ست سكاكين مائتكال وأحجام مختلفة ، لأنه لم يكن  
يذهب أو يهرب طويلاً أسرى للصيد تحت الماء ، غير التي يتولج بها مع  
الحيوانات بهذا هد . كان همه في حدود العشرين وكان يقضي ساعات  
طويلاً في أعماق البحر تنويف ساعات تراجده على الأرض الثانية ، وكان  
هو نفسه يلدو وكأنه حيوان بحري يحسده للطنخ دائماً يزيت للكانين ،  
وعند ما رأت السيدة « فورييس » للمرة الأولى ، كانت قد ظلت لأبوي إنه  
ليس بالامكان الطور على كانين أشد جمالاً منه . ومع ذلك كان حسابه لم  
يكن يفتح له أو يفتله من الصراحة : كان عليه هو أيضاً أن يحصل  
توصيماً باللغة الإيطالية لأنه علق للمريضا على الباب دون أن يكون هناك  
تفسير معقول لعمله فذاك سوى تخويف الأطفال وبمعدا أمرت السيدة  
« فورييس » بأن يتزلها مراراً الاحترام اللازم للكانين اسطوري ، ثم طلبت  
من أن تلبس ثياباً استعدداً للعشاء .

فلسنا نملك في الحال ، محاولين عدم تعترف أي خطأ ، لأننا بعد

سنة اسبوعين كنا قد تعلمنا في ظل النظام الصارم للسيدة « فورييس » ،  
بأنه لم يكن هناك شيء أصعب من المشي . وهذا كنا نفضل في الحمام  
الحجم . انتهت إلى أن لمي كان ما يزال يفكر بالمريضا . كانت لها  
عينان كعيون الباس ، قال لي - وكنت متفقاً معه ، غير أنني أعتقد  
بما هو مخالف لذلك ، واستطلعت تعبير الموضوع حتى انتهت من  
الاستمعام . ولكنني عندما خرجت من حوض الضيل ، طلب مني أن  
أبقى هناك لمراقبته .

- ما زال الوقت نهائياً ، فنت له .

ضحت السائر ، وكان في عز شهر أغسطس ( آب ) ، ومن خلال  
البافلة كانت ترى السهول القمرية المشتعلة حتى الطرف الآخر من الجزيرة ،  
والشمس ثابتة في وسط السماء .

- ليس هذا هو السبب ، قال أنسي . - أغشى أن تولد لدي الحول .  
ومع ذلك قاله بدا هادئاً عندما وصلا إلى المائدة ، وكان قد نفذ واجباته  
بكل دقة واعتناء فاستحق عليها تهنئة خاصة من السيدة « فورييس » ،  
وحال على نقضتين إضافيتين في حساب حسن السيرة للاسبوع . وعلى  
العكس من ذلك لقد عصمت من نقطتين من الفاظ المحسن التي كنت قد  
كسبتها ، لأنني تركت الحبل على الغارب في اللحظة الأخيرة وأسلمت  
لحسي للاستعجال فوصلت إلى المائدة لاحقاً . كانت عصمون نقطة  
مراكمه تمنحنا الحق في نصيب مضاعف من الحلوى ، ولكن آتيا من  
الالين لم يكن قد تجاوز الخمس عشرة نقطة . وكان ذلك مؤسفاً حقاً ،

لأننا لم نعرف في حياتنا على حلويات بليلة الحلوى التي كانت السيدة  
فوريس تفضلها .

وقبل البدء بالعشاء ، كنا نصلي واقفين أمام الصحن الفارغة . لم  
تكن السيدة فوريس كاثوليكية ، غير أن القصد معها كان يصر على  
أن نجعلنا نصلي ست مرات في اليوم ، وكانت قد تعلمت صلاتنا لتقبل  
لمروط القصد . وبعدما كنا نجلس نحن الثلاثة ، كاثوليك أنجاسا ، في حين  
أنها كانت تتحقق من التفاصيل الأكثر دقة في شركنا ، ولم نكن نترك  
الجرس الذي في يدهما إلا بعد أن نتأكد من أن كل شيء في غاية النعامة  
والكمال . حينئذ لتدخل فلانيا فلامبيا ، الطاعة ، تحمل الشورى  
الأولية للملك الصيف البهيم . في البداية ، عندما كنا وحيدين مع أبونا ،  
كانت ساعة الطعام بمثابة احتفال كانت فلانيا فلامبيا تقوم على  
حلمتنا وهي تطوف حول المائدة مسرورة وبعينها حب شديد إلى  
عملها مع شيء من الفوضى التي كانت تدخل البهجة على الفوضى ، وفي  
النهاية كانت تجلس معنا لم تشرع بالأكل قليلاً من صحن الجميع . غير  
أننا وبعد أن أصبحت السيدة فوريس مسؤولة عن مصائرنا ، أخذت  
الطاعة تقدمنا بصمت مظلم إلى الحدة الذي كنا فيه نسمع لحيان  
الشورى في القدر . كنا نعيش وعمودنا اعترى مستند إلى ظهر الكرسي ،  
وكنا نضع الطعام عشر مرات في كل طرف من طرفي القم ، دون أن نزيح  
أبصارنا عن المرأة الحديدية الواحة والحربية ، والتي كانت تنقش عليها من  
الذاكرة معاصرة في الأخلاق . وكانت شبهة بقداس يوم الأحد ، ولكن  
من دون سلوى غناه الناس . وفي اليوم الذي عثرنا فيه على المرينا مسقطة

على الباب ، تحدث لنا السيدة فوريس ، من الواجبات تجاه الوطن  
وفي جو غريب يذبل صوتها ، قلعت لنا فلانيا فلامبيا على حاح  
السرعة وبعد صحن الشورى ، مريحة مشوية على الفحم من لحم أبيس  
ذي رائحة لليلة . روح ذلك من نفسي لأنه أيقظ في نفسي ذكرى دلتنا  
في « هواكنا بال » حيث لم أكن أتعلم على السك أي شيء آخر من  
تتاج الأرض أو السماء ، غير أن أحي رفض النص من غير أن يدونه ،  
وقال :

- لا يصحني .

فلطعت السيدة فوريس معاضتها ، ولدت له :

- أنت لا تعرف إن كان يميلك أم لا لأنك لم تجربه .

وجئت نحو الطاعة نظرة تخلوية ، ولكنها جاءت متأخرة جداً .

- المرينا من أجود أنواع السك في العالم ، يا بني ، قالت له فلانيا  
فلامبيا ، - حرته وسترى .

لم تغضب السيدة فوريس ، ولطعت علينا بأسلوبها الذي لا  
يرحم بأن المرينا كانت من لذلك طعام الملوك في القديم وبأن المحاربين  
كانوا يتنافسون على مرارتها لأنها كانت تنفخ فيهم لعلقة حارقة  
للصادة ، ثم أعادت علينا قولها الذي أعتت تكراره مرات عديدة في وقت  
قصير والذي يهد بأن اللوق الحيد ليس ملكة لطرية . كما أنه لا يمكن  
تعلبه في أي عمر ، وإنما لابد من فربه منذ الطفولة . وهكذا لا يوجد

أني سب مغلول لعدم تناول الطعام . وأنا الذي كنت قد جرّبت للرّبا  
قل أن أحرف ماذا تكون ، انتابني حتى النهاية شعور بالتأقّص : كان لها  
مذاق ملس وإن كان مزوجاً بشيء من الكآبة ، غير أنّ صورة الأُنس هي  
سفرة على الباب ، كانت أكثر تحكّماً من شهتي ، بذل أني جهِناً  
جباراً مع النّعمة الأولى ، ولكنّه لم يحسّن من أن يطيقه : قلّياً .

- اذهب إلى الحمام ، قالت له السيّدة « فريسي » دون أن تنهّج ،  
اغسل جيداً وعد لتناول الطعام .

شعرت بلق كير عليه ، لأنّي كنت أعلم مقدار معاناته وهو يقطع  
الدفتر كاملة بعد أن حُيِّت حيوط الغلام الأولى والبقاء وحيداً في الحمام  
خلال الوقت اللازم للفصل . ألاّ أنه عاد بسرعة وهو يرتدي قميصاً أسمر  
نظيفاً ، كان صاحبه اللون ، ولم تكن تبدو عليه إلا بالكاد أمارات  
اضطرابه مخفي ، واستطاع أن يواجه جيداً امتحان النظام القاسي .  
حينئذ قطع السيّدة « فريسي » جزءاً من الرّبا وأعطت أمرها  
بالشاي ، فاستطعت أنا أن أطلع بصحبة كسرة لقمة ثانية ، في حين أنّ  
أنسي لم يحسك حتى بالشوكّة وقال :

- لن أكل .

كان قراره حاسماً إلى الحدّ الذي جعل السيّدة « فريسي » تنفّذي  
للمواجهة معه .

- حسناً ، قالت ، ولكلك لن تأكل الحلوى .

أهنتني حسن عاقبة أنسي فجاءة فوضعت الشوكّة والسكّ  
متقاطعتين في الصّحن على الطريقة التي علمتها بها السيّدة « فريسي »  
بعد الانتهاء من الطعام ، وقلت :

- لما أبهى أن أكل الحلوى .

- ولن نرى التّفريون ، أضافت هي .

- ولن نرى التّفريون ، قلت أنا .

وضعت السيّدة « فريسي » الفوطيّة فوق المائدة ونهضنا نحن  
الثلاثة للصلاة ، ثم أرسلتنا إلى غرفة النوم ، محطّرة إيانا بأن علينا أن ننام  
خلال الوقت الذي تحتاجه هي للاتهاء من الطعام . كُنّيت جميع نقاطنا  
الأهيجانية ، ولم تسمح لنا بتناول حلوياتها اللذيذة إلا بعد أن تراكمت  
لديها عشرون نقطة ، من حلوى القشطة والفانلا والبسكويت للصنوع مع  
البرقوق ، والتي لم نعد إلى تناول حلوى تشبهها فيما تبقى لنا من حياة .

كنّا منصل إلى حالة اللّلال هذه عاجلاً لم أجلاً . كما نتظر بشوق  
عادم وخلال مدة كاملة ، فلك الصيف الحرّ في جزيرة « بانتيلاريا » ،  
في الطرف الجنوبي لـ « صقلية » ، وهكذا كان في الواقع في الشهر الأوّل ،  
حيث كان أربابنا معنا خلال . ومازلت أتذكّر وكأنّه حلم ، ذلك السهل  
الشمس المنيء بالصخور البركانيّة ، البحر الأزلي والدار المطيّة بالخبر  
الحمي حتى الحجارة المنصوفة التي كنّا نرى من خلال نوافذها وفي الليالي  
السّاكنة ، كنّا نرى أنوار أفزعة فنارات « لمرقيا » . وبينما كنّا ننمّص

مع أبي الأعصاب الهاجمة حول الجزيرة ، اكتشفنا سلسلة من الطوربيدات الصفراء التي كانت قد ارتطمت بالشاطئ منذ الحرب الأخيرة ، وأقبلنا دوقاً يونانياً يبلغ ارتفاع حوالي المتر وبه نباتات حقلية متجبرة ، وكانت ترقد في قعره لساعات نهد متق وصام ، وصحبنا في منخفض عالي يهت من الأعنان ، كانت مياهه كثيفة إلى حد أنه كان بالإمكان السير فوقها تقريباً . غير أن الاكتشاف الألف إبهاراً بالنسبة لنا كان التعرف على « فلنيا فلامينا » . كانت تشبه أسفناً صعيداً ، كانت تمضي دائماً مع قطع من القلطة الكسلى التي تبق ميرها . وتقول بأنها لم تكن تحملها حباً فيها ، بل لكيلا تأكل الفئران . وفي الليل ، وينس كان أرواي يشاهدان برامج الشفزيون المخصصة للكباز ، كانت « فلنيا فلامينا » تأخذنا معها إلى بيتها الذي لم يكن يعد سوى في حدود المائة متر من بيتنا ، وكانت تعلمنا على التمييز بين الأصوات البعيدة المشوشة والأهاني والشيخ المقطع للرياح القادمة من تونس . كان زوجها يصغرهما كثيراً ، وكان يعمل في الصيف في الفنادق السياحية في الطرف الآخر للجزيرة . ولم يكن يعود إلى البيت إلا للولم . وكان « أورستي » يسكن مع أبوه في مكان أبعد ، ويظهر في الليل دائماً وهو يحمل كميات من السمك المربوط في خيوط وصلالاً من جراد البحر الذي تم اصطاده للتو ، وكان يعقها في المطبخ لكي يقوم زوج « فلنيا فلامينا » ببيعها في الفنادق في اليوم التالي ، وبعدما كان يطلق مصباح الفوس على جبهته ويأخذنا لاصطياد خزان الجبل الكبيرة وكأنها أرانب ، والتي كانت ترقب بقايا طعام المطابخ . وكنا أحياناً نعود إلى الدار بعد أن يكون والداي قد ناما ، ولا نستطيع النوم إلا بصحبة سبب ضجة الثران التي كانت تصارع

على بقايا الطعام في المنام . ولكن حتى هذا العائق أصبح عنصراً ساحراً في صيفنا السعيد .

إن قرار التعاد مع معلمة أطفال الماتية لم يكن بالإمكان أن يطرأ على بال أحد آخر غير أبي ، وهو الكاتب الكنزي الذي فيه من الحيلة أكثر من الموهبة . كان أبي للمعجب برماد المجد الأوروبي يبدو لهدد الحرص على جعل الآخرين ينسون أصله ، سواء في كتبه أو في حياته الواقعية ، محاولاً فرض خيال صاحب التحفيق وهو إبعاد كل أثر لحياته وماضيه الخاص من ألبانه . أنا والذتي قد استعرت على تواضعها كما اعتادت عليه أثناء عملها كمعلمة مشردة في أعالي « غواخيرا » ، ولم تصور مطلقاً بأن زوجها يمكن له أن يعتقد بمكرة لا تكون الإرادة الربانية مصدراً لها . لذا يد أن أياً من الاثنين لم يتساءل بصدق عما ستكون عليه حياتنا مع ساووش من « هوو فند » ، نصبر على تلقينا بالقوة عادت المجتمع الأوروبي التي أكل الدهر عليها وشرب ، في حين أنهما كانتا يشاركان أربعين من كتاب « المواد » في رحلة بحرية تدوم خمسة أسابيع في جزر بحر « ابعة » .

وصلت السيدة « فورييس » في يوم السبت الأخير من شهر يوليو (تموز) في البصرة العادية من « باليرمو » ، وأدركنا عند رؤيتنا الأولى لها بأن الخفلة قد انتهت . حانت بحلباتها العسكري ولستانها ذي الطيات المتقاطعة في ذلك الطقس الجوي الساخن ، وبشرها التقصير كما لو كان قصر رجل تحت قبة من اللبد ، وكانت تنهت منها والحة كأنها رائحة القروء . « هكلها هي رائحة الأوروبيين جميعاً » قال لنا أبي ، « أنها رائحة

الحضارة . ولكن على الرغم من مظهرها العسكري ، فإن السيدة  
 فورييس لم تكن سوى كائن هزيل ، وربما كانت مشير عطفا لو كنا  
 أكبر منا لو لو كان فيه أثر للحنان ، فمير العالم في نظرها ، وتحوّلت  
 ساعات السباحة التي كانت لنا من البداية بمثابة حلم مستمر ، الى  
 ساعة واحدة في اليوم ومتشابهة وكانت ساعة مكررة وعندما كنا مع  
 أوبرينا ، كان الوقت كله لنا للسباحة ، فورييس ، الذي كان يدهشنا بما  
 لديه من فن وشجاعة لمواجهة الاخطبوط في بيته الطيقية المكثرة بساتنه  
 المحاص وبالدّم ، من غير سلاح هذا سكاكينه التي يهاصم بها . وعندما  
 أخذ يصل الساعة الحادية عشرة في قاربه ذي المحرك كالمادة ، غير أن  
 السيدة ، فورييس ، لم تكن تسمح له البقاء معنا دقيقة أكثر من الضروري  
 لغرض السباحة والغوص ، ومنعنا من العودة الى دار ، فلينا فلامينيا ، لأن  
 في ذلك رفعا لمكنة رائدا عن الحد في علاقتنا مع الحدم ، وكان علينا أن  
 نخضع الوقت الذي كنا نقضيه في صيد الفئران لقراءة ، فكسر ،  
 التحليلية . ونظراً لعودتنا على سرقة ثمار الشجر من فئات الدور ومحل  
 الكلاب يضرها بالحجارة في شوارع ، فراكامابال ، المشتعلة بالحرارة ،  
 لم يكن مقدورنا فهم ذلك الطلاب القاسي لحياة الأمراء تلك .

ولكنّا انتهينا بسرعة الى ان السيدة ، فورييس ، لم تكن صارمة  
 مع نفسها كما كانت تفعله معنا ، وكان هذا الحلال الأول الذي لاحظناه  
 في فصليتها . كانت في البداية تبقى على الشاطئ تحت المظلة الملونة ،  
 لاسية قبحها وتقرأ التصانيد القصصية الخالية لـ ، فيلر ، ، في الوقت  
 الذي كان ، فورييس ، يملأنا الغوص ، وعندما كانت تملأنا دروساً

نظرية في حسن السلوك في المجتمع لمدة ساعات وساعات حتى استراحة  
 الغداء .

وفي أحد الأيام طلبت من ، فورييس ، أن يأخذها في قاربه ذي  
 المحرك الى الدكاكين للسباحة في الفنادق ، وعادت بلباس سباحة من قطعة  
 واحدة بلون أسود لامع متوجع مثل حلد الفقعة ، وكنتها لم تدخل الى الماء  
 مطلقاً كانت تعرض الى الشمس بينما كنا نسبح ، وكانت تجفف حرقها  
 بالمشقة من غير أن تنسل تحت المرقعة بعد ذلك ، وهكذا فإنها كانت  
 تلبو بعد ثلاثة أيام وكألتها جردة بحر مملوغة وصارت واحدة  
 حضارنها لشديدة الى درجة لم يكن التفسر معها ممكناً .

كانت تستمل لياليها للترويح عن نفسها ، وعند استلامها  
 للمسؤولية فحرنا بأن أحداً ما كان يسير في ظلام البيت ، ومحركاً ذراعيه  
 في العنة ، مما سبب لأخي قلقاً لتخيله بأن ما كان يولد لم يكن سوى  
 اصباح الغرقى الضامعين الذين تحدثت لنا عنهم كثيراً ، فلينا فلامينيا ، .  
 ولم تأخر كثيراً في اكتشاف ان السيدة ، فورييس ، هي التي كانت  
 تحضي لياليها وتعيش حياتها واقعية لامرأة وحيدة ، كانت هي نفسها  
 ترفض بالتأكيد مثل تلك الحياة خلال النهار . وفي فجر أحد الأيام  
 فاجأناها في المطبخ وهي في ثوب شوم القدي تلبسه عادة طالبات المدارس  
 الثانوية ، وهي تهيم حلوياتها اللذيذة ، وكان جسدها كله مغطى  
 بالطحين حتى الوجه ، وكانت تتناول كأساً من النبيذ البرتغالي وهي في  
 حالة من التشوش الطفلي الذي كان بالامكان أن يكون فضيحة حقيقية  
 للسيدة ، فورييس ، الأخرى التي عرفناها من قبل . وكنا نعلم حينذاك



بأنها لم تكن تذهب إلى غرفة نومها بعد نومنا نحن ، وإنما كانت تزلج تسبح سراً ، أو أنها كانت تبقى في الصالة حتى ساعة متأخرة ، لتشاهد بدون صوت أفلام التلفزيون المنوعة على غير البالغين ، وتأكل كميات هائلة من الحلوى وتغرب قنينة كاملة من النبيذ الخاص الذي كان أبي قد احتفظ به بحرص شديد للمناسبات الاحتفالية . وعلاقاً لدورها بضرورة التفتيش على عكس القيم التي كانت تدعو إليها ، كانت تفضّل بالطعام دون مهلونة ، مدفوعة برغبة لأحد لها . وبعدما كنا نسمعها وهي تتكلم مع نفسها وحيدة في غرفتها ، كنا نسمعها وهي تقرأ من المذاكرة وتلتحق الأمانة الرخيصة مقاطع كاملة من « وصفة لورليانس » ، أو تغني أو تضح في السرير حتى الصباح ، وبعدما كانت تظهر في ساعة الإفطار وهما متفخخان من البكاء ، وهي أشد كآبة وتسلطاً . لم نعد لا أنا ولا أخي إلى الشعور بمثل تلك النعاسة ، غير أنني كنت مستعداً لتحملها حتى النهاية ، لأنني كنت أعلم بأن رايها وقرارها لا بد غالب على رأينا في كل الأحوال . في حين أن أخي تواجهه معها بكل شدة مزاجه وتحول صلبنا السعيد إلى جحيم . وكان فصل الربيع الحد الأخير . وفي نفس تلك الليلة ، وبينما كنا نستمع إلى تحركاتها التي لا تقطع في البيت البائس ، أطلق أخي دفعة واحدة كل لحظة الحقد التي كانت تتخفى في نفسه .

— سوف أقتلها ، قال .

أصابني الدغشة ، ليس بسبب قراره ، وإنما لتصادف هذا القرار مع ما كنت أنا أفكر به منذ ساعة العشاء ، ومع ذلك فقد حاولت فيه من عزيمه .

— سيقطعون رأسك ، قلت له . فأجابني :

— في « صقلية » لا توجد مقصلة . ثم أنه لن يعلم أحد من الفاعل .

كان يفكر بالدورق الذي أنقذه من المياه ، حيث مارالت تردد رولاب النبيذ القاتل . كان أبي قد احتفظ به لأنه كان يرغب في اختطاعه إلى تحليل أكثر دقة للتحقق من طبيعة سمومه ، لا أنه ليس من المعقول أن يكون نتيجة لمجرد مرور الزمن . واستعماله ضد السيدة « فوريوس » كان أمراً في غاية السهولة ، ولم يكن هناك أي احتمال في أن يفكر أحد بأن موتها لم يكن حادثاً أو انتحاراً . وهكذا فأننا عندما وجدناها في الصباح وهي على وشك السقوط بسبب انهك السهر العصائب ، صببنا نبيذ الدورق في قنينة الحمر الخاص التي كانت لأبي . وحسبما كنا صمنا بأن تلك الجرعة كافية لقتل حصان .

كنا نتناول وجبة الإفطار في المطبخ على الساعة التاسعة بالضبط ، وكانت تقدمه لنا السيدة « فوريوس » بنفسها من الحيز الخفي الذي كانت تتركه « فلانيا فلانينا » في ساعة مبكرة جداً فوق الفرن ، وبعد يومين من تبديل النبيذ ، نهضت أخي في ساعة الاضطراب إلى أن القنينة لم تمس في الحزامة . كان ذلك في يوم جمعة ، واستمرت القنينة على حالها في نهاية الأصبوح ، غير أن السيدة « فوريوس » لم تترك نصف الكمية ليل الثلاثاء ، بينما كانت تشاهد أفلام التلفزيون الالهية .

ومع ذلك فأننا حضرت إلى وجبة الإفطار كالعادة في الوقت المحدد المضبوط صباح الأربعاء . كان وجهها كالعادة يوحى بأنها قضت ليلة

مينة ، وكانت حينها تعبران عن التلق الذي لفتاه بهما وراء زحاجتي  
 النظارة السميكتين ، ولإفاد فلتها حين رأت في سلة الخبز رسالة من  
 «المانيا» إلى جانب الخبز . لرأيتها وهي تتناول القهوة على عكس ما كانت  
 تقول لنا من موه هذه العادة ، وأثناء القراءة كانت تمر على ملامح وجهها  
 ومضات من نور تلعب الكلمات المكتوبة وبهدا لزعت الطوابيع من على  
 الظرف ووضعتها في السلة مع باقي الخبز لتسبها إلى مجموعة زوج وفلها  
 فلاميتها . وعلى الرغم من موه تخرجها اليانية للملك اليوم ، فإنها راقنا  
 لاكتشاف أعماق البحر ، وبقينا نهيم في بحر من المياه المتحلة حتى أحل  
 أوكسين القلب بندق فطنا إلى الدار دون أن نعطيا درس حسن السلوك  
 لم تكن معنوية السيدة «فورييس» خلال ذلك النهار عالية فحسب ،  
 وإنما بدت لي ماعة العشاء أكثر حيرة من أي وقت مضى . ولم يكن  
 أخي يتجمل من جانبنا حالة القوط تلك ، ولم نكد نستلم أمر البدء ،  
 حتى أبعد صحن شوربة الشربة بحركة استغرابة قائلا :

- لم أعد أطيق هذا السائل الذي هو أنه بماء مليء بدود الأرض .

كان وقع كلماتهما كما لو أنه رمى بقبلة يدوية للحرب فوق المائدة.  
 تغير لو السيدة «فورييس» وصار فاجأ وتصلبت لفنتها حتى بدأ  
 دحان الانفجار يتبدد ويثقل زحاج نظارتها بالدموع . نزعها بعد ذلك  
 وحفظتها بالقوطة ، وقبل أن تنهض وضحتها فوق المائدة وهي تتصر بحرلة  
 الانسلام الخالي من أي نصر .

- انفلا ما يحلو لكما ، قالت ، أنا خير موجودة .

حبست نفسها في غرقها منذ الساعة السابعة ، غير أننا فاعداها  
 تمر بلباس النوم الخاص بطالبات الثانوية قبل منتصف الليل عندما شئت  
 بأنها كننا نأكلين ، وقد حملت إلى غرفة النوم قطعة حلوى كسرة مصنوعة  
 من الشكولاتة وقنية النيل التي كان فيها ما يزيد على أربعة أصابع من  
 الحمر المسوم ، نمرت برجة الأسي وقلت :

- مسكينة هي السيدة «فورييس» .

لم يكن أخي صاحبها مسالماً وقال :

- نحن للمساكين إن لم تمت هذه الليلة .

وفي فجر ذلك اليوم عادت إلى التحدث مع نفسها لوقت طويل  
 وأنشدت قصائد «فيلر» بصوت عالٍ مستلزمة جنوناً مسعوراً وغمت  
 بصرخة أخيرة ملأت كل أرجاء البيت . وبهدا تنهدت من أعماق  
 روحها مرات كثيرة ، ثم استسلمت مصفرة صليراً حزناً ومتواصلاً مثل  
 قارب يسير على غير هدى ، وعندما استيقظنا ونحن في غاية الانهك  
 بسبب لوتر السهر ، كانت أخمصة الشمس تدخل كالكساكين من خلال  
 نسيئة النافذة ، غير أن الدار كانت تبدو وكأنها غارقة في بحيرة  
 حينذاك انتهنا إلى أن الساعة قد قاربت العاشرة دون أن نوقظنا السيدة  
 «فورييس» جرمأ على عاداتها الصباحية الزميمة . لم نسمع صوت صرف  
 ماء المرحاض في الساعة الثامنة ولا صوت حنية للمسلة أو أصوات رفع  
 نسيئة النافذة ولا صخب حذوات حلالها أو الضربات الثلاثة للقائلة  
 على الباب يوسط كفتها القوية بكفة نحاس ، فكصل أخي أذنه على الجدار

وحسب أنفاسه على أمل استقبال أدنى علامات الحياة في الفترة المجاورة ،  
وأخيراً تنهد بارتياح وقال :

- انتهى الأمر ! إن الشيء الوحيد الذي يسمع هو صوت البحر .  
أعددتنا وجبة الإفطار قبل الحادية عشرة بقليل ثم نزلنا إلى الشاطئ وحملنا  
معنا إسطواناتي أوكسجين لكل واحد منا ، واثنين للاحتياط وذلك قبل  
سبعي . فلنبدأ فلامينيا ، مع قطع القطع لتنظيف الدَّار . كان أورسي  
جيتد عند رصيف الشاطئ يترج أحشاء صمكة سيوربة تزن ستة أرطال ،  
كان قد اصطادها لنومه . قلنا له بأننا قد انتظرنا السيَّدة « فوريس » حتى  
الحادية عشرة ، وبما أنها كانت مستمرة في نومها ، قرَّرنَا النزول وحدنا  
إلى البحر . وفحصنا عليه أيضاً بأننا في الليلة الماضية تعرَّضت إلى حادثة  
من الكتابة على الثالثة ، وربما لم نتم جيداً ففضلت البقاء في السرير . لم  
يهتم « أورسي » كثيراً بهذه التفاصيل كما كنا نتوقع وراقبنا انطوف في  
أصاقي البحر خلال وقت يزيد على الساعة بقليل . وبعدما أثار علينا  
بالدهاب الأ للدر لتناول طعام الغداء وذهب هو في قاربه ذي المحرك لبيع  
الصمكة في الفنادق السياحية . ومن السلام المحرمة أنسنا إليه بالشار  
الزجاج لحمله على الاعتقاد بأننا كنَّا ذاهبين إلى الدَّار ، حتى اختفى وراء  
الجروف الصخرية . حينئذ ركبنا إسطوانات الأوكسجين وبدأنا نسبح  
بدون رخصة من أحد .

كان يوماً غائماً يسمع فيه صخب وعد مظلم في الأفق ، غير أنَّ  
البحر كان مستوياً وفضافاً ، وكان يسبح بنوره الخاص . صبحنا فوق  
سطح الماء حتى غطَّ فار ، بالتيلاريا ، ودونا بعدها نحو اليمين لمسافة

تقارب المائة متر ثم غطسنا في المكان الذي قدَّرنَا بأننا عثرنا فيه على  
طوريديات الحرب في بداية الصيف .

كانت هناك : أنها حقة مطوية باللون الأصفر الشبسي وعليها  
لواقمها للمسلسلة كاملة ، راقدة في القصر البركاني في نظام ثام ليس من  
بنات الصدف ، وبعدها بقينا تنور حول الفئار ، باحثين عن المدينة  
الناطقة التي تحدث لنا عنها بكثرة وباعجاب شديد . فلنبدأ فلامينيا ،  
غير أننا لم نمثر لها على أي أثر . وبعد ساعتين حين اقتنمنا بأنه لم يكن  
هناك أي سرَّ جديد لنكتشفه ، خرجنا إلى سطح الماء مع آخر جرعة من  
الأوكسجين .

كانت قد نزلت عاصفة مطرية صهلية أثناء غوصنا ، وكان البحر  
هائجاً ، وكانت أسراب من الطيور آكلة اللحوم تحوم ناعقة بشراسة فوق  
صنوف الأسماك المضطربة عند الشاطئ . غير أنَّ نور المساء بدا وكأنه قد  
استوى لنومه وبهدت الحياة طيبة بدون السيَّدة « فوريس » . ولكننا عندما  
صعدنا سلام الجرف بصحبة بالغة ، شاعداً أناساً كثيرين في الدار  
وصيارتين للشرطة أمام الباب ، وحينئذ أدركنا للمرة الأولى ما كنَّا قد  
تعلمناه . بدأ أنسي يرتعش وأراد الرجوع .

- أنا لن أدخل ، قال .

لما أنا قد جاعني الهام غامض لوعي إلى بأننا سنكون بعيدين عن  
كل شك بمجرة رؤية الحق .

- اهدأ ، قلت له ، وثقّس بمقّم فكر بشي . واحد فقط : أنا لا نعرف قساً . لم يتبه اليّا أحد . تركنا الأسطوانات والأكتمة والأحثة في المدخل ومرقا من خلال النمر الجاهلي ، حيث كان يوجد رجلان يدخان ، جالسين على الأرض الى جانب مقالة جرحى . اتفهما حينذاك الى وجود سيارة اصحاب حد الباب الخلفي والعديد من العسكريين المسلّحين بالبنادق . وفي الصّالة كانت السماء من ميوت الجيران يصلون بالدراجة ومن جالسات على كراسي موضوعة الى جانب الجدول ، بينما كان أزواجهن متجمهرين في الفناء يتكلمون عن أشياء عديدة لأصالة لها بالموت . ضغطت بقوة أكبر على يد أغني التي كانت صلبة وباردة ودخلنا الى البيت من خلال الباب الخلفي . كانت غرفة نومنا مفتوحة وعلى نفس حالها التي تركناها في الصباح ، وفي غرفة السيّدة «فورييس» المجاورة ، كان يوجد حوكي مسلّح يراقب الدخول والخروج ، وكان الباب مفتوحاً . مددنا حقينا نحو الدخول فثبّ منفض ولكن الوقت لم يسمحاً لاتمام ذلك ، لأنّ «لقيا فلامينا» خرجت من المطبخ كالبرق وأغلقت الباب وهي تطلق صرخة فرح :

- اكراماً للخائف ، يا أبنائي ، لا تنظروا اليها !

جاء ذلك متأخراً ، ولن نستطيع أن ننسى مطلقاً فيما بقي لنا من حياة ما شهدناه في تلك اللحظة السرمية . كان هناك رجلان بالملابس المدنيّة يتحسان للشافة التي تفصل ما بين السرير والجدلان بشرطه قماش متري ، بينما كان رجل ثلث يأخذ الصور في آلة عليها خطاه أسود ، فيه بالتي يستعملونها في المتزهات . لم تكن السيّدة «فورييس» فوق

السرير الذي تعلوه اللوحى ، بل كانت مطروحة على جنبها على الأرض عريّة وفي وسط بركة من الندم الشائش الذي صبح أرضية الغرفة بكاملها . وكان جسدنا مغربلاً من كثرة الطعنات بسبعة وعشرين جرحاً قاتلاً . وكان يلاحظ من خلال عدد الضربات ونسبتها بأنّها قد صوّت في ضّ هياج حبّ لا يعرف السكون ، وهأن السيّدة «فورييس» كانت قد تلتفتها بنفس الحساس ، حتى دون أن تصرخ أو تكي ، قارئة من الذاكرة قصائد «مبلر» بصوتها للمسكري الرائع ، مدركة بأنّ ذلك هو الفن الخنسي لصيفها السعيد .

## التور كالماء

في أعياد الميلاد، عاد الطفلان إلى طلب زورق مجاذيف .

- حسناً ، لال الأب ، مشترته عند عودتنا إلى « كار فنيا » .

كان « تور » ذو الأعوام التسعة و « خوليل » بأعوامه السبعة ، أكثر تفضيلاً مما كان الوالدان يظنان .

- لا ، قالا بصوت واحد ، نحتاجه الآن وهنا .

- بلهناً ، قالت الأم ، لا توجد هنا مياه صالحة للعلاحة غير التي نخرج من النوش .

كانت هي وزوجها على حق ، ففي بينهم لم « كرتينادي اندياس » - « كولوسيا » كان يوجد قناه ذو رصيف يطل على الحلبة وملجأ ليختون كبيرين . أما هنا في مدريد ، قالهم كانوا يعيشون متراحمين في ثقة بالطابق الخامس في الرقم ٤٧ من شارع « لا كاستيلا » . غير أن أيا من الاثنين لم يستطع في النهاية رفض الفكرة ، لأنهما كانا قد وعداهما بالزورق ذي المجاذيف مع آلة السدس لقياس ارتفاع الكواكب بالإضافة إلى البوصلة ، فيما إذا حصلوا على جائزة المستوى الثالث من

الدراسة الابتدائية ، وقد حصلنا عليها بالفعل . وهكذا فقد انقضى الأب كل ذلك دور أن يقول شيئاً لروحة التي كانت ترفض دفع نفقة للألعاب كان زوراً والمأ من الأثوم يوم . به عيط مطعّب عند الحد الذي يفصل الجزء الغاطس في الماء .

- الزورق في الكراج . كلف الأب ذلك ساعة للقداء . - المشككة هي أنه لا توجد طريقة لتصوم به ، لا في المصعد ولا من طريق السلم ، وفي الكراج لا يوجد مكان فارح .

ومع ذلك ، فإن الطفلين دعيا صاه السبب التالي زملاءهما للحمود بالزورق من طريق السلم واستطاعوا حمله إلى غرفة الخدم .

هنيئاً ، قال لهما الأب ، والان ماذا ستفعلان ؟

- لا شيء الآن ، قال الطفلان . - إن نفسي الوحيد الذي كنا نريده هو أن يكون الزورق في الغرفة وكفى .

وفي ليلة الأربعاء ككل يوم أرباء ذهب الوالدان إلى السينما ، وصار الطفلان صاحين وصيدين في المنزل ، فأغلقا الأبواب والنوافذ وكسر المصباح المشتعل في إحدى ثريات الصالة ، فبدأ يخرج من المصباح المكسور شعاع ضخم كأنه فركوه بسيل حتى ارتفع أربعة أقدام من الأرض . بعد ذلك قطعوا التيار الكهربائي وأحرقا الزورق وحرما بالملاحة في ليلة من جوار المنزل .

كانت هذه الخسارة الحزينة نتيجة لتهوري عندما شاركت في

الحلقة الدراسية الخاصة بالشعر الذي يتناول اللوالم البيتية . سألني « فونو » عن الكيفية التي كان الصّور يشتمل فيها بمجرة المخطط على الرر ، ولم أتهرجأأأ على التفكير بذلك مرتين فأجبت :

- الدور كأنه : فتحت الحفّة ليخرج .

وهكذا فأنهما استنرا بالملحة لي ليالي الأربعاء ، يتعلمان أحصمال آلة السدس والبرصلة لغاية عودة الأبوين من السينما حيث يحداهما ناعمون مثل ملكين على أرض لينة . وبعد شهر ه مدفوعين برقة ملحة للذهاب أبعد من ذلك ، طلعا عدة الصّد تحت الماء كأنه : الأتمة والأجنحة واسطوانات الأوكسجين وينادق الهواء المضغوط .

- انه أمر سيء أن يكون عندكما زورق ذو مجاذيف في غرفة الخدم والذي لا يصلح لأي شيء ، قال الأب . - ولكن الأسوأ من ذلك هو أن تطلبها بالاضافة إلى ذلك عدة الفوضى .

- وأنا حصلنا على المجاذيف اللينة للنصف الأول من العام الدراسي ؟ قال غرويل .

- لا ، أجابه الأم فرحة . - ليس هناك شيء آخر .

عجبها الوالد على عنادها .

- إن هذين الطفلين لن يحورا حتى على مسابر لأداء واجباتهما ، قالت هي ، ولكنهما فاحترنا على كسب كرمي الامتاة بملفح الثروة .

لم يحب الأيون في النهاية لا بالسلب ولا بالإيجاب ، غير أن  
 توتو و « غوبيل » اللذين كانا في السنين الأربعين في آخر  
 قائمة الناجين ، حازا في يوليو ( تموز ) على جائزتين ذهبيتين  
 والشكر العلني للمدير . وفي مساء ذلك اليوم ، ومن غير أن يعود إلى  
 طلب المجد ، وحسنا في غرفة نومهما لوازم الغوص في صناديقها الأصلية .  
 وهكذا فانهما لما يوم الأربعاء التالي ، عندما كان الأيون يشاهدان فلم  
 « آخر تاتو في باريس » ، يلحن الشقة إلى ارتفاع ذراعين وخاصة  
 مثل مسكني قرش ودهجن تحت قطع الأثاث والأسرة وأنفلا من  
 الأحمال ، أمثال النور الأتنياء التي كانت قد ضاعت في الظلمات خلال  
 سنوات .

وفي الظلمة الأخير ، تم اعتبار الأربعين مفالاً نموذجياً للمدرسة  
 ومنحاً شهادة امتياز . وفي هذه المرة لم يحتاجا إلى طلب أي شيء ، لأن  
 الأيون سألهما عما يريدانه . كانا منطقتين إلى الحد الذي لم يطلبنا فيه  
 سوى القيام بحفلة في البيت لأكريم زملاء الدراسة .

كان الأب مع زوجته وحيدين وكان مشرك الوجه . وقال :

— أنها علامة للتزوج .

— ليسمك الرب ، قلت الأم .

وفي يوم الأربعاء التالي ، وبينما كان الأيون يشاهدان « معركة  
 الجزائر » ، رأى الناس المارون بشارع « لوكسيتانا » فجلاً من نور يسقط  
 من بناء قديم مختلف بين الأشجار . كان يخرج من بين الشرفات ومصب

وقبلاً على الراحة ثم ينصرف في الشارع الكبير مشكلاً نهاراً ذهباً أنار  
 للمدينة حتى « غودارما » (١) .

استدعي رجال الاطفائية على عجل فحطموا باب شقة الطابق  
 الخامس ووجدوا بأن النار تنبع بالنور حتى السقف . كانت الأريكة  
 وللقاعد المعلقة بجملد القمير الأرقط تطوف في الصالة على مستويات  
 مختلفة بين قاني الليل واليانور بخضائه المستورد من « مانيل » والذي كان  
 يتنوع مثل فئتين ذهبي . كانت لوازم البيت في غمة تحمّلها الضمري  
 نظير بأجنحتها الخاصة في سماء المطبخ . وكانت آلات موسيقى الحرب  
 التي كان الأطفال يستعملونها للرقص تنوم مع النيار بين الأسماك الملونة  
 الطليقة التي تحررت من حوض الأسماك للأتم ، الأسماك وحدها كانت  
 تسبح حية وسعيدة في ذلك المستنقع الواسع المنير . وفي الحمام كانت  
 تطفو على سطح الماء فراشي أسنان المسيح وكبائيت الأب وأوعية  
 الدعوات والأسنان الاصطناعية للأتم ، وكذا تنفزيون الغرفة الرئيسة الذي  
 كان يطفو على جنبه والذي كان ما يزال مشتعلاً يحرق الجزء الأخير من  
 فلم منتصف الليل المتنوع على الأطفال .

وفي نهاية المساء ، عائداً بين موجتين ، كان « توتو » جالساً في  
 موحرة الزورق ، ماسكاً بالمجدلين ولايساً القناع ، يبحث عن فار الميناء  
 إلى الحد الذي أسفه فيه لوكسجين الأسطوانات ، وكان « غوبيل » طائفاً  
 في مقدمة السفينة ، مازال يتحقق في ارتفاع الجسم الفضي بأية الشمس ،  
 وكان زملاء الدراسة السبعة والثلاثون يعمدون في كلى أرجاء البيت ،  
 مخدلين في اللحظة التي بالوا فيها في أصص رهور الغرنوق وغاء لشهد

المدرسة بعد تغير كنفات أبنائه بكلسات تسخر من المذبح ، وبعد أن  
شربوا صراً كأساً من البراندي من قنينة الأب . لقد كانوا يفعلوا الكثير من  
الأشياء في نفس الوقت حتى قاضت الدار ومعها جميع المستوى الرابع  
الابتدائي لمدرسة : صان عوليان إل هوسيلاريو ، حيث اختلج طلابه  
في الطابق الخامس من الرقم ٤٧ بشارع : لا كاستيلا ، في : مدريد  
باسبانيا وهي مدينة بعيدة ذات صيف مشتمل ولقاء جليد ، من غير بحر  
أو نهر ، ولم يكن سكانها الأصليون الذين ألفوا الأرض الثانية ، لم يكونوا  
يوماً سائقة في علم الملاحة في فنور .

#### ديسمبر ( كانون أول ) ١٩٧٨

١ - ملاحظة المترجم : لقد رأينا : سلسلة جليدية لفصل لفيلم : صيفونا : عن

مدريد

#### أثار ذلك على الثلج

عند الوصول إلى الحدود . كانت حوش الطلام قد زحفت على  
الأرض حينذاك أصبحت : نينا دياكوني . إلى أن اسمها الذي فيه عالج  
الرواح كان ما يزال ينزف . تفحص الحرم المدني الذي كان يصح بطانية  
من الصوف الحشن على قبعته الجلدية دنت الرواها الثلاث ، تفحص  
حواري السفر على ضوء مصباح الكر يد اليدوي ، بأذناً جهداً كبيراً فلا  
تسقطه الريح العاصفة التي كانت تهب من جبال : لوس بيرنيوس .  
ومع أن حواري السفر كانا دبلوماسيين وصالحين ، فإن الحرم المدني رفع  
المصباح اليدوي ليتأكد من أن صورتي الحواريين شبيهتان بوجهيهما .  
كانت : نينا دياكوني ، مثل طفلة بحس طائر حميد وبشرة حسنة ما زالت  
تسبح برق : الكاوي ، في ذلك المساء الكيب لشهر يناير ( كانون  
الثاني ) ، وكانت متفردة بمطعمها حتى العتق ، ذلك المصطف للصنوع من  
جلد رقاب السور والذي لم يكن من السهل شراؤه برواتب جميع طاقم  
الحامية اليهودية لسنة كاملة . : بيلي سانجيت دي أبلا ، زوجها الذي  
كان يقود سيارة ، كان أصغر منها بسنة واحدة وكان يمثل وسامتها  
تقريباً . كان يلبي شتره بمرمات اسكتلندية وقبعة لاعب كرة . وعلى  
العكس من زوجته ، كان طويلاً بحس رياضي وفكين حديدتين لتأكل



عجول . غير أن الشيء الذي كان يدق بشكل أفضل على حائلها هي السيارة ذات اللون البلاكيني والتي كانت تصدر من داخلها راحة تنفس بهيمة حية ، ولم يكونوا قد رأوا من قبل سيارة مثله في تلك الحدود الفقيرة . كانت المقاعد الخلفية مكسفة بمخالب جديدة للغاية والكثير من علب الهدايا التي لم تفتح بعد . وكان هناك بالإضافة إلى ذلك المسكفون الصادح الذي كان خلال زمن العاطفة للتحكّمة بحياة « نينا داكوتني » قبل أن تصلهم للحب المتناقض لرفيق نادي السباحة اللطيف .

وعندما أعاد الحراس المدني جولاي السر مخومين ، صاكه « يكي سانجت » أين يمكنها العثور على صيدلية لمعالجة إصبع زوجته ، نصرخ الحراس المدني ضد اتجاه الريح قائلاً بأن عليهما أن يسألا في « هدايا » ، في الجبال الفرسى ، غير أن حرص « هدايا » كانوا جالسين إلى منضدة ولا تكسوا لبدانهم غير القمصان وهم يلعبون بوري الشدة ، وبأكلون في نفس الوقت الحبز الملقوح في طاسات النيلة ، داخل غرفة زجاجية داخلة وحارة بشكل جيد ، وقد كنتهم رؤية حجم السيارة ولونها لكي يتوا لهم بالانشارة بأن يدخلوا في فرنسا زمر لهم « يكي سانجت » عدة مرات بوق السيارة ، غير أن الحراس لم يفهموا بأنه كان يناديهم ، لذا فإن واحداً منهم فتح زجاج النائدة وصرح بهم بغضب يفوق غضب الريح :

- لنذهب إلى المحرم !

جنتلك مخرجت « لينا داكوتني » من السيارة متدفرة بالمعطف حتى أذنيها وسألت أحد الحراس بلغة فرنسية سليمة عن صيدلية . فرد الحراس

كمعادته ونمته مليء بالحبز بأن ذلك ليس من شأنه ، وخاصة في مثل تلك العاصفة ، ثم أخلق الساقلة . غير أنه ركز فيما بعد انتباهه على الفتاة التي كانت تمس أصبعها المريح الملفوف بريق جلد السمور الطمعي ، ولا بد أنه توهم بها لظنها كائنات ساحراً في تلك الليلة المفرقة ، إذ تغير مزاجه في الحال . شرح لهما بأن أقرب مدينة من ذلك المكان هي « ياريفت » ، غير أنه في عز الشتاء وفي مثل تلك الرياح الثلجية ، ربما لم يكن من السهل العثور على صيدلية مفتوحة حتى مدينة « بايونا » ، بعد المدينة السابقة بقليل .

- هل هو في خطر ؟ صاهاها .

- لا ، ابتسمت « لينا داكوتني » وأرته أصبعها الذي فيه الحاتم المرصع بالمالس والذي لم يكن المرح الذي صبه أنموك الوردية في أتمكته يرى الأبالكاد .

- إنه مجرد وعرة

وقبل الوصول إلى « بايونا » تهاطلت الثلوج من جديد ، ولم تكن الساعة قد تجاوزت الساعة ، غير أنهما وجدا الشوارع مغطاة وأبواب المنازل مغلقة حذراً من غضب العاصفة ، وبعد أن دارا عدة دورات دون العثور على صيدلية ، قررا الاستمرار في سفرهما . سر « يكي سانجت » بهذا القرار إذ كان عنده نصف لا يرتوي بالسيارات الغريبة ووالد شديد التحور بالذنب تجاه الأبناء وأموال عاتقة لامتباع رغبات ابنه ، ولم يكن من قبل له لاد سيارة شبيهة بتلك ، « بتلي » ذات غطاء قابل للطي ،

قدّمت له كهذه الزواج . كانت تشوّه في التحكّم بمقود السيارة كبيرة إلى الحدّ الذي كان يصوره بالتعب يتناقص كلّما استمرّ بالقيادة . كان على استعداده للوصول في هذه الليلة حتى « بورودو » التي كانوا قد حجروا لهم فيها جناحاً في فندق « مبلند » ، ولم تكن هناك حواصيف مضادة ولا تلوج كافية في السماء لتسمنه من ذلك . بينما كانت « لينا داكوتني » منهكة وعلى الخصوص من الجزء الأخير من الطريق الذي بدأ في « ميريدي » والذي هو عبارة عن مخدّات وقمم تقطنها الماهر والتي كانت تهطل عليها الطلوج . وهكذا قاتنها لفتت متديلاً على بنصرها وضغطته جيداً لوقف الدم الذي كان مارال يترّف ، لم تأت بهنق . ولم ينجبها « ياني سانجت » إلا في حدود منتصف الليل ، بعد أن توقّف سقوط الثلج وسكن الهواء فجأة بين أشجار الصنوبر وصارت سماء تلك السهول البريّة القاحلة ملبّنة بالبحوم الحامدة . كان قد مرّ من أمام الأنوار النائمة لمدينة « بورودو » ، ولكنّه لم يتوقّف إلا في محطة للمن غزان سيارته بالترتين ، إذ أنّه كان ما يزال يجد في نفسه حماساً للاستمرار حتى « باريس » من غير استراحة . كان ههذه السعادة بلمحة الكبيرة التي كلّفت خمسة وعشرين ألف جنيه استرليني ، ولكنّه لم يكلّف نفسه عاه التساؤل إن كانت تلك الفئحة الفائقة التي تدام إلى جانبه صعيدة مثله بمنصرها المربوط والمغمور بالدم والتي كانت أحلام المرافقة لديها تمرّ لأول مرة من خلال صحبه من الشك . كانوا قد تزوّجا قبل ثلاثة أيام على بعد عشرة آلاف كيلو متر من ذلك المكان ، في « كرتغندي » هههههه في ظلّ دفعة أبوية وخفية لمل أبويها وثيريكات الشخصية لرئيس الاساقفة . لم يكن هناك أحد غير المتوقّعة . كان قد بدأ قبل العرس بثلاثة أشهر ، في يوم أحد

مناسب للسباحة ، عندما دخلت زمره « ياني سانجت » إلى غرف تديل الملابس للنساء في أحد متاح مدينة « ميريدي » . كانت « لينا داكوتني » قد آمنت لئوها الثامنة عشرة وكانت عائدة من القسم الداخلي « ثاتيليني » في « سانته بلايس » « سويسرا » ، وكانت تتكلّم أربع لغات بشكل مضبوط وتعرف بأساذة على آلة السكسفون الكبير ، وكان ذلك اليوم هو أول يوم أحد تذهب فيه للسباحة بعد عودتها . كانت قد تعرّت بالكامل لكي ترتدي لباس السباحة عندما بدأت ضحّة الفرج والصراخ لهجوم الغرف المجاورة ، ولم تفهم ما كان يجري إلى أن سقط مزلاج باب غرفها على شكل طفايا فوجدت وأتقاً أمامها الصمّوك الأكثر وصامة والذي لم تكن تتخيّل مثله . لم يكن بلبس غير سروال نحني مخطّط من جلد الثور الاصطناعي ، وكان ذا جسم ودبع محدل ومرد وبشرة مذهبة لأناس البحر . كان يحمل في معصمه البحر سواراً معدنياً لمصارو روماني وكانت يده سلسلة حديدية كانت بمثابة سلاح قاتل ، وفي عنقه ميداليا ليس بها صورة لفتيس كانت تخفق في صحت مع عققان القلب الحامد كانا زميلي دراسة في المدرسة الابتدائية ، وقد حطّما آنذاك الكثير من ثواب الملوى التي كانت تلحق في فخلات أعباد الميلاد ، وكانا يتيمان إلى السلاطة القروية التي كانت تتحكم حسب ارادتها في مصائر المدينة منذ العهد الاستعماري ، ولكنهما لم يلتقا منذ سنوات طويلة ممّا أدّى إلى عدم تعرف أحدهما على الآخر في النظرة الأولى ، بقيت « لينا داكوتني » واقفة دون حركة ومن غير أن تفعل أي شيء لاختفاء عريها ، حينذاك أكمل « ياني سانجت » طقمه الصباني : أنزل سرواله التحتي المصنوع من جلد الثور وكرها حيوانه المنتصب المحترم . نظرت هي إليه

مراجعة دون أن تصاب بالدخلة وقتلت وقد أخذ الفرع يتسرب الى نفسها :

— سأحدث ما أكبر وأشدّ ثباتاً ، لذا عليك أن تفكر جيداً بما سوف تفعله وأن تصرف معي أفضل من تصرف السيد .

وفي الواقع ، لم تكن « لينا داكوتشي » عذراء فحسب ، بل إنها لم تكن قد رأت حتى تلك اللحظة رجلاً حارياً ، إلا أنها تحدت وكانت النتيجة قاتلة ، وإن النسء الوحيد الذي فعله « ييلي مانجت » هو ترحبه لكلمة غضب الى الجدلر يده التي كان قد لفأ عليها السلسلة الحديدية مما أدى الى تشطي عظام يده . أخذته هي بسيارتها الى المستشفى وساعدته لتحمل فرة النفاة ، وأخيراً تعلما على ممارسة الحب بأفضل طريقة .

فضا الامسيات الصعبة لشهر يوليو ( حزيران ) في الشرفة الداخلية للبيت الذي كانت قد ماتت فيه ستة أجيال من أعيان عائلة « لينا داكوتشي » ، بينما كانت هي تعرف أغاني «الموضة» على السكسون ، وهو يده الهجرة ينأملها من أرجوحة اليوم بلهول متواصل . كانت في البيت لوفلد عديدة بحجم الجمران ، تطل على البحيرة المتصلة للخليج ، وكان واحداً من أكبر البيوت وأقدمها في حي « لاماتا » وأندما لمحا بدون شك . غير أن الشرفة ذات اللاحطات الشطرلجنة حيث كانت « لينا داكوتشي » تعرف على السكسون ، كانت تمثال بالاعتدال وسط حرارة الساعة الرابعة ، وكانت تطل على فناء مظلل به أشجار المانجو والموز والتي كان تحتها قبر عليه لوحة من دون اسم « كان أقدم من البيت ومن ذكرى العائلة . وحتى الذين لم يكونوا يفهمون الا قليلاً في الموسيقى ، كانوا يظنون بأن صوت

السكسون لا يناسب متزلاً على هذا القدر من أصالة المحدث . له صوت باخرة ، هذا ما قالته جنة « لينا داكوتشي » عندما سمحت لأول مرة ، وكانت أمها قد حاولت معها لتعزف بطريقة أخرى مختلفة عما اعتادت عليه لتعزفها براحة أكبر ، حيث كانت ترفع تنورتها حتى عضلي الساقين وتبعد ما بين ركبتيها وبنوع من الشهوانية التي لم تكن تراها الأم ضرورية للموسيقى . « لا تهضي الآلة الموسيقية التي تعزفون » كانت تقول لها أمها ، المهم أن تطفي صائلك عند العرف . « غير أن أجواء الوداع في البواجر وعمد الحب هما اللذان سمحا لـ « لينا داكوتشي » في تحطم قسرة « ييلي مانجت » لذرة . وعنت ذلك الحب الحزين بكونه حلساً والذي بدا وكأنه أمر ثابت لديه بسبب تأثير القويين العائليين ، فأنها اكتشفت نبياً غائفاً وحزناً ، ترقا على بعضها بمسق بينما كانت عظام يده تتحمم بحيث دهش هو نفسه لذلك بسبب سلامة وطبيعة هذا الحب ، وخاصة عندما قادته هي الى سريرها الفتي في إحدى الامسيات المطيرة عندما كانا وحيدين في البيت . وفي كل الأهم وفي نفس الساعة خلال ما يقرب من اسبوعين ، فماتتا عاريين تحت النظرات الحائرة لصور محاريب ملهين وجدات فمرهات من الذين سبقوهم في جنة ذلك السرير التاريخي . وحتى في فترات الاسفراحة التي كانت تمتثل أوقات ممارسة الحب ، كانا يقمان عاريين والتوالف مفتوحة ، يتقاسان تسالم حطام بواجر الخليج ورائحة التي هي ألح برائحة الفائط ، يستحمان في صمت السكسون الى الضجة اليومية للغاء والفضة الوحيدة لضدع الأعشاب تحت أشجار اللوز وقطرة الماء في القبر المجهول والمحفوات الطبيعية للنفاة التي لم يجلوا لها من قبل وفقاً لتصرف عليها .

وعندما عاد والدا « نينا داكوتشي » إلى البيت ، كئلاً قد طرأ على  
 الضالين تقدم كبير في الحب بحيث ملأ عليهما كل حياتهما ، وكانا  
 بمارساته في كل وقت وفي أي مكان ، محاولين لتجديده من جديد في  
 كل مرة كانوا يفعلونه . فعلا في البداية على أحسن ما استطاعا في  
 العزبات الرياضية التي كان والد « يني » ساجت ، يحاول التكفير بها عن  
 عقد ذنبه الخاصة ، وبعدما حينما شعر بأن ممارسته في العزبات هي في  
 غاية السهولة ، أعلا بدخلان إلى الغرف للفارقة في « مرياً » حيث  
 جمعها القدر لأول مرة . كما أنهما دخلتا متكررين خلال حفلات  
 التكرار في شهر يوسف ( تشرين الثاني ) في تعرف المسيرة في حي  
 العهد القديم « محسالي » بصحبة الامهات - القديسات اللائي كن  
 قبل ذلك بشهور لليلة يمانين من زمرة « يني ساجت » المسلحة  
 بالصلال

اصطلحت « نينا داكوتشي » إلى ذلك الحب الطارئ بنفس الاندفاع  
 الجنون الذي كانت قد صرفته من قبل نحو السكسون إلى الخلد الذي  
 جعلت صملوكها الألف بينهم ما كانت تريد أن تقول له بأن عليه أن  
 يتصرف معها كعبد . استجاب « يني ساجت » لها دائماً وبشكل جيد  
 بنفس النخبة . وبعد زواجهما أدبا واحبهما نحو الحب ، يسا كانت  
 المضيقات نالمت في منتصف الطريق فوق المحيط الأطلسي عندما أغلقتا  
 على نفسيهما باب دورة مياه الطائرة بصحبة كبيرة وماتا من الضحك  
 وليس من اللذة . وكانا هما الزوجين اللذين عرفا بعد حفلة الزواج يوم  
 واحد ، بأن « نينا داكوتشي » كانت حبلت منذ شهرين .

وهكذا فأتتهما علماً وصلاً إلى مدريد ، كانا يشهران بأنهما أحد  
 ما يكونان من أن يكونا عاشقين مرتويين ، وكان عددهما احتياطي كبير  
 ليجعلهما يسلكان وكأنهما حديثا الزواج تماماً . كان والدا الاكبين قد  
 ترقوا كل ذلك . وقبل النزول من الطائرة ، صعد أحد موظفي التشريلات  
 إلى مقصورة الدرجة الأولى ليلم « نينا داكوتشي » معطف السور  
 الأبيض ذا الخواشي السوداء اللامعة والذي كان عديداً والديها للحرص .  
 وسلموا « يني ساجت » مرة من جلد الخروف ، وكانت آنذاك من  
 مسجديات ذلك الشتاء ، ومفاتيح لا تصح عن نوع السيارة المتأجرة التي  
 كانت تنظره في المطار .

استقبلته البعثة الدبلوماسية لبلده في القاعة الرسمية . ولم يكن  
 السفير وزوجته صديقين دائمين لثلاثة الاكبين فحسب ، بل كان هو  
 الطبيب الذي حضر ولادة « نينا داكوتشي » ، ولما غابته انتظرها وهو يحمل  
 لها ياقة من الورود البضرة والطازجة ، وحتى لطرات الذي العالقة بها  
 كانت ليلو اصطفاية . حبت الاكبين بقبولات ساخرة لعدم ارتياحها من  
 ظرفها ذلك لزواجها المبكر ، ثم استلعت الورود ، عند الامساك بها وخرتها  
 شوكة كانت في غصن إحدى الأوراد ، غير انها تفادت الحادث بأسلوب  
 لبق فائقة :

- فعلت ذلك عن قصد لكي تشبهوا إلي - « يني »

وفعلاً فقد أعجبت البعثة الدبلوماسية كلها بالتحفم الذي قد يبادل  
 منه لزوجة ، ليس نوعية الماسات ، بل لقدمها وحسن صيانتها . ولكن

أحداً لم ينهاها إلى أن أصبحت بدأ ينزف وتوجه اتبعه الجميع نحو السيارة الجديدة . ولطيف مزاج السفير فأنه كان قد أخذ السيارة إلى المطار وخلفها بروق السيلوفان ووضع فوقها شريط ملصق كبير . لم يلقَ « يتي » صانحت « لليت » وكان في غاية الشوق لمعرفة نوع السيارة مما دفعه إلى تخفيق الورق في جرة واحدة وعندما اتبعت أنفاسه . كانت « يتلي » ذات غطاء منطو لنفس العام ، وكانت مفروقة من الداخل بهجلد أحيل . كانت السماء تبدو وكأنها غطاء رمادي ، وكانت سلسلة جبال ، خردلولية ، تحت ريحاً قاطعة وجائعة ، ولم يكن البقاء في العراء مريحاً ، ولكن « يتي » صانحت « لم يكن يشعر بعد بالبرد واضطرَّ البعثة الدبلوماسية على البقاء في ذلك المكان المكتشف دون أن يمي بأنهم كانوا يتجسدون من البرد بسبب الجمالة ، حتى تعرف على أكثر تفاصيل السيارة غفاه . وعندما جلس السفير إلى جانبه لكي يذله على الأقامة الرسمية التي كان من المقرر تناول طعام الغداء فيها ، وفي الطريق أخذ يشير إلى معالم المدينة البارزة ، غير أن « يتي » كان يبدو مشغولاً بسحر السيارة .

كانت تلك هي المرة الأولى التي خرج فيها من بلاده ، وكان قد مرَّ بجميع المدارس الأهلية والرسمة ، مكرراً بشكل دائم المستوى نفسه حتى أصابه مثل كبير وصغير بالاضباع . أن النظرة الأولى إلى مدينة مختلفة عن مدينته والحصارات ذات البيوت الرمادية للشتتلة الأنوار في عز النهار والاضمار الطرية بعداً عن البحر . كل ذلك زاد من شعوره بالانقطاع والوحدة غير أنه كان يجهد نفسه ليرى ذلك الثمر على هامس قلبه ، غير أنه سقط بعد ذلك بقليل في الفخ الأول للنسيان ، إذ

حبّت عاصفة مفاجئة وصاعقة ، وكانت الأولى في ذلك الفصل . وعندما خرجوا بعد الغداء من بيت السفير ليدخلوها نحو فرنسا ، وجدت المدينة منطاة بطق من القلوج المثاقفة ، غسي « يتي » صانحت ، في تلك اللحظة صياره ، وفي حضور الجميع ، أخذ يطلق صرخات فرح ويرمي حبات من الثلج على رأسه وتمرغ في وسط الطريق ، مردداً كامل لباسه بما في ذلك حطفه .

انتهت « نينا » داكوتشي ، لأول مرة بأن أصبحت كان ينزف عندما خرجا من « مدريد » في ذلك المساء الذي عاد لهما وصانياً بعد العاصفة . وقد استغربت ذلك لأنها كانت قد عرفت آلة السكسون لمصاحبة زوجة السفير التي كانت تهوى الأغاني الأوبرالية بالأيطالية والتي غنت بعد الغداء الرسمي ، ولم تشعر « نينا » حينها بأي إزعاج في بنصرها ، بعدها وبينما كانت تدل زوجها على أقصر الطرق نحو الحفوة ، كانت تمسح أصبحت بطريقة لاصحورية كلما كان ينزف ، ولم تذكر أمر البحث عن صيدلة الأبعد وصولها إلى جبال « لوس بيرنوس » . وبمدها استسلمت لنعاسها المتراكم من الأيام الأخيرة ، وعندما صحت من نومها على حجر كابوس تصورت له بأن السيارة كانت تقسي وسط المياه ، لم تذكر لوقت طويل التبدل المرتبط في أصبحت . رأت في الساعة المشعة للوحة القيادة بأن الوقت قد تجاوز الثالثة فصلت حساباتها الذهنية وأركت بأنهما قد تركا « بوردو » خلفها وكذا « أنغولما » و « بونيترس » ، وانهما كانا يجران إلى جانب صد « لوبر » العارقة بسبب السيول . كان نور القمر ينقل من خلال الضباب ، وكانت أشباح القصور بين أشجار الصنوبر

نمو وكأنها من صنع الخيال . حيث : نينا داكوتني : التي كانت تعرف تلك المنطقة من الذاكرة : بأنهما كانا على بعد ثلاث ساعات من باريس تقريباً ، وكان : نيني ساجت : ما يزال رابط الحاشئ أمام مقود السيارة .

- آنك وحش ، قالت له . - مازلت تسوق منذ إحدى عشرة ساعة دون أن تأكل شيئاً .

وكان هو ما يزال يحتنق ثعلباً لمعل السيارة الجديدة ، وعلى الرغم من أنه نام في الطائرة قليلاً وبشكل غير مريح ، فإنه كان يشعر بالصحو وبامتلاك طاقات للوصول إلى : باريس : عند الفجر .

- مازلت مكثفاً بفناء السفارة ، قال لها ثم أضاف كلماته الحانية من المنطق : على كل حال ، ان الناس في : كارتاجينا : يخرجون الآن من السجناء ، ولا بد أن تكون الساعة هناك في حدود العاشرة .

ومع ذلك ، فإنه : نينا داكوتني : كانت تخاف من أن ينام وهو يقود السيارة . ضحت واحدة من حطب الهندايا الكثيرة التي قلعت لهما في : مدرية ، وحاولت أن تطعمه قطعة من البرتقال المعطي بالسكر ، غير أنه امتنع عن تناولها وقال :

- إن الفحول لا يأكلون الحلويات .

وقبل الوصول إلى : لورليانس : بقليل ، اغشى الضباب وأثار قعر كبير المزروعات المغطاة بالثلوج ، غير أن المروء صار أفسد صعوبة لكثرة

الشاحات الضخمة التي كانت تنقل البقول والخضار وكلها حاويات النبيذ التي كانت متجهة إلى : باريس . وكانت : نينا داكوتني : ترهب في مساعدة زوجها في السبات ، لأنهما لم نوح إليه بذلك لأنه كان قد حفرها منذ المرة الأولى لمروجهما معاً إلى أنه ليس هناك ذل أكبر للمرحل من أن يترك امرأة تقوده . وكانت هي تشر بالصحو بعد ما يقارب خمس ساعات من النوم الهنيء وبالسرور لعدم يوتبتها في أحد فنادق الأقاليم الفرنسية التي كانت تعرفها جيداً منذ صر ما في السفرات الكثيرة التي قامت بها مع أبويها . : ليست هناك صاعرة في الحام أحمل منها : فلت ، ولكن الإنسان يمكن أن يموت من العطش دون المتور على أحد يعطيه كأس ماء بآجران . : وكانت متأكدة تماماً من أنها قد وضعت في اللحظة الأخيرة في حنية بلدا قطعة من الصابون ولقمة من ورق التواليت ، لأنها كانت تعرف بأن الفنادق الفرنسية لم تكن توفر الصابون في حماماتها ، وإن الورق الموجود في مرآحيتها هو عادة ورق الصحف للاسبوع السابق ، مقطعة على شكل مربعات ومعلنة في كلاب ، وإن الشيء الوحيد الذي كانت تأسف له في تلك اللحظة ، هو حياح تلك الليلة كاملة دون ممارسة الحب . كان حواب زوجها صائراً :

- كنت أذكر الآن بأن للضاحمة على الثلج لابد أن تكون في غابة الشمة ، قال لها ثم أضاف : في هذا المكان لو أردت .

فكرت : نينا داكوتني : في ذلك بمدينة . كانت الثلج يبدو إلى جانب الطريق وتحت ضوء القمر منقوشاً وديماً ، وكانت حركة السير زوداً ازدهاراً كلما ازداداً اقتراباً من ضواحي : باريس . : وكانا يتشاهدان

مراكز شركات ومعامل منيرة والعديد من العمال على الدراجات الهوائية .  
ولو لم يكن الفصل قصاه ، لكأنوا في عز النهار .

- من الأفضل أن ننظر حتى « باريس » قالت لنا داكوتني « .  
- متفقين وفي سرير بشرائط نظيفة مثل الناس المتزوجين .

- أنها المرة الأولى التي لا تسجين فيها الي . قال لها .

- طبعاً ، قالت هي ، أنها المرة الأولى ونحن متزوجان .

وقبل أن يبين محيط الصباح الأولى بقليل ، غسلا وجوهيهما وتبوللا  
في مقهى على الطريق ، وشربا القهوة مع فطيرة سائنة على طاولة انتهى  
حيث كان سائقوا الشاحنات يتناولون فطورهم مع النبيذ الأحمر .  
انتهت « لنا داكوتني » في الحمام الى بقع الدم التي كانت تنطبع بلوزها  
وتورثها ولكنها لم تحاول غسلها . رمت في القمامة للديل انشرب بالدم  
وحولت خاتم الزواج الى اليد اليسرى وغسلت اصبعها المريح جيداً بالماء  
والصابون . كانت الوعزة لا تكاد ترى ، غير أنه بمجرد عودتهما الى  
السيرة عاد ينزف من جديد ، فأحرحت « لنا داكوتني » ذراعها من نافذة  
السيرة لاقتناهما بأن الرّيح الجارحة التي تهب من المحقول فيها فضائل  
علاجية ، غير أنها كانت وسيلة فاشلة أخرى ، ومع ذلك فإنها لم تعب  
بالقلق ، « إذا أراد أحد أن يضر علينا ، فسيكون ذلك سهلاً عليه » ، قالت  
ذلك بفتنتها الطيعة . « ليس عليه سوى أن يبع آثار دمي على الثلج » .  
وبعدما فكّرت جيداً فيما قالته وأثرت صحتها مع الانفراقة الأولى للنهار  
وقلت :

- تصور ، آثار دم على الثلج من « مدريد » حتى « باريس » ، ألا  
يدرك ذلك جميلًا لأغنية ؟

لم يحفظها الوقت للعودة الى التفكير ، ففي ضواحي « باريس »  
كان اصبعها مثل نافورة لا تكبح ولمحرت هي حقاً بأن روحها تكاد  
تخرج من ذلك الجرح . لقد حاولت وقف النزف بواسطة لفّة ورق  
التواليت التي كانت تحملها في حقيبتها ، غير أنها كانت تتأخر في لفّ  
اصبعها بقطع الورق اكثر مما كانت تصرفه من وقت لرمي بقايا الورق  
للمطبخ بالدم من نافذة السيرة . وأخذت ملابسها تلتصق بالدم شيئاً فشيئاً:  
المعطف وكلا مقاعد السيارة وبشكل يصعب نظفته . غلب « ياني  
ساجت » جهد وألح على ضرورة البحث عن صيدلية ، غير أنها كانت  
تعلم بأن الأمر لم يكن بالاسكان سهل في صيدلية .

- نحن على أبواب « اورليانس » تقريباً ، قالت له . - استمرّ نحو  
الأمام من خلال شارع « الجنرال لكثيرك » ، وهو من أوسع الشوارع وبه  
الكثير من الأكشاج ، وبعدما سألوا لك ما ينبغي أن تفعله .

كان ذلك الجزء من أشدّ أجزاء الطريق صعوبة لأن شارع « الجنرال  
لكثيرك » كان قد تحول الى عقدة جهنمية إذ تراكمت فيه السيارات  
الصغيرة والدراجات النارية ولزدهمت في كلا الاتجاهين ، وكلا  
الفاحات الضخمة التي كانت تحاول الوصول الى الأسواق المركزية .  
لصحب « ياني ساجت » بترز شديد بسبب أنوار السيارات القديمة  
الجدوى مما دفعه الى أن يتبادل الشتائم صرخاً بلغة الشوارع مع العديد من

الساكنين الى درجة انه حاول الزول من السيارة لتسافر مع أحدهم ، غير أن نينا فاكوتسكي استطاعت أن تعلمه بأن القريتين هم من أكثر الناس سلامة وجلباً في العالم ، ولكنهم لا يتساجرون بالأيدي حطفاً ، وكان هذا دليلاً على نفعها ، لأنها كانت في تلك اللحظات تحاول جامدة عملاً تنفيذ وصيها

ولأجل الخروج من ساحة ليون دي بلووت ، إحتاجا أكثر من ساعة. كانت المفاتيح والدكاكين مضاعفة ، كما لو كانوا في منتصف الليل وكان ذلك اليوم يوم ثلاثاء تقليدي من شهر يار ( كانون الثاني ) في باريس ، وكانت تلك المجلات مغطاة ووصفة وكان الرقاد عتيداً ومتواصلاً ، غير أنه لم يكن يبلغ درجة الانجماد . كان الفرح ، دلتيرت - روسبير أقل ازدحاماً ، وبعد تجاوز بعض الشوارع الفرعية ، أفلتت نينا فاكوتسكي ، على زوجها بأن عليه أن ينحرف نحو الجين ثم توقف أمام مدخل مستشفى للطوارئ ضخم ومكدهر .

احتاحت نينا ، الى مساعدة للخروج من السيارة ، غير أنها لم تنفذ أمراتها وصحروها .

ولبل وصول الطبيب المناوب ، وبينما كانت منطرفة على القاعة ذات المجلات ، أجابت على الأسئلة الروتينية للممرضة حول هويتها وسوابقها الصحية . حمل لها ، ييلي صالجت ، حقيبتها اليدوية وأمسك يديها اليسرى حيث كان حاتم الزواج وهمر بأن يدها كانت حاملة وباردة وبأن شفتيها قد قللتا لوليها . بقي الى جانبها ويده في يدها

حتى وصل الطبيب المناوب الذي فحص أصبعها على حبل . كان شامها وكانت بشرته بلون النحاس القديم ورأسه حليفاً . لم يثر الطيب انتباه نينا فاكوتسكي ، وتوجهت نحو زوجها بانفسامة حزينة .

- لا تخف ، قالت له بمزاحها الطبيحي الذي لا يتغير . - إن نفسي ، الوحيد للسكن حذوته هو أن يقطع أكل اللحوم البشرية هذا يدي ليأكلها .

أنهى الطيب فحصه وحيفك فاجأهما بلعنه الامباتية السليقة وإن كان ببرة آسيوية غريبة فائلاً :

- لا أتيا الشاب . إن أكل اللحوم البشرية هذا يفضل الموت جوعاً على قطع يد بهذا الجمال .

أصابها الالتهار غير أن الطبيب حكمها بالثارة منه لطيفة . وبعدما أمر بأن توجهت القاعة وأراد ، يعني صالجت ، أن يجها مسكاً بيد زوجته ، إلا أن الطبيب أمسك بلعنه وقال له :

- حضرك لا ، سيأخذونها الى قسم الاعتناء المركز .

انتمت نينا فاكوتسكي ، لزوجها من حليده واستمرت تودعه يديها حتى عابت القاعة في نهاية المسر . نأخر الطبيب للاطلاع على المعلومات التي سجلتها الممرضة في إحدى اللوحات ، فناداه ، يعني صالجت ، فائلاً :

- دكتور ، إن زوجتي حامل .



— منذ متى ؟

— منذ شهرين .

لم يمنح الطبيب الأمر الاحتكام الذي كان ينتظره ، بلني سانجث .  
« حسناً فعلت لا بلاغي بذلك » ، قال له ثم ذهب وراء النقالة ، بقي ،  
بلني سانجث . واقفاً على الصالة الخريبة التي تبعت منها رائحة عرق  
المرضى ، دون أن يعرف ما الذي عليه إن يفعله ، تأنراً إلى الممر الحائوي  
الذي أدخلوا « لنا داكوتني » منه ، وبعدما جلس على المقعد الخشبي  
حيث كان ينتظر آخرون . لم يعرف كم من الوقت قضى هناك ، غير أنه  
عندما قرأ الحروح من المستشفى ، كان الليل قد حل من جديد وكان المطر  
مستمراً ولم يكن يدري كيف عليه أن ينصرف ، مهموماً بنقل العالم .

دخلت « لنا داكوتني » إلى المستشفى يوم الثلاثاء على الساعة  
الثامنة والنصف صباحاً والموافق لليوم السابع من يناير ( كانون الثاني ) ،  
هذا ما تحقق منه بعد سنوات من ذلك في أروصف المستشفى . وفي تلك  
الليلة نام « بلني سانجث » في السيارة الواقعة أمام مستشفى الطوارئ ،  
وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي تناول ست بيضات مسلوقة  
وخضاتين من القهوة مع الحليب في أقرب مقهى عثر عليه ، لأنه لم يكن قد  
أكمل وجبة كاملة منذ « مدريد » . وبعدما عاد إلى قاعة الطوارئ لرؤية  
« لنا داكوتني » ، ألا أنهم أنهضوه بأن عليه أن يتجه إلى الباب الرئيسي .  
وهناك جثروا أخيراً على رجل من « أسفرياس » الإسبانية من الذين يعملون  
في عيادات المستشفى والذي ساعده على التفاهم مع البواب الذي

لستطاع أن يتأكد بالفعل من أن اسم « لنا داكوتني » كان مسجلاً ضمن  
لائحة نزلاء المستشفى ، ألا أنه أبلغه بأن الزيارات مسجوعة أيام الثلاثاء  
تقط ، من التاسعة وحتى الرابعة ، أي بعد ستة أيام من ذلك . حاول أن  
يرى الطبيب الذي يتكلم الإسبانية ، والذي وصله للآخرين بقوله : إنه  
أسود حليق الرأس . غير أنه لم يحصل على أي جواب صاف من خلال  
هاتين الميزتين البسيطتين .

وبعد أن هدأه غير وجود اسم « لنا داكوتني » في لائحة النزلاء ،  
عاد إلى المكان الذي ترك فيه السيارة فأجره أحد مراقبي المرور على  
التوقف على بعد شارعين نحو الأمام ، في زقاق شديد الضيق وعند  
الرصيف الهاذي للأرقام الفردية ، وفي الجهة المقابلة كان هناك بناء قد تم  
اصلاحه وعليه لوحة « فندق ليكولي » . كان ذا نجمة واحدة وبه صالة  
لستقبال صغيرة جداً لم يكن فيها سوى كنبه واحدة ويانور عمودي قديم .  
غير أن صاحبه ذا الصوت الندي ، كان يستطيع التفاهم مع الزبائن بأية لغة  
كانت بشرط أن يكونوا قانحين على الدفع ، نزل « بلني سانجث » مع  
حقائبه الأحدى عشرة وطلب الهدايا التسع في الرفقة الفارغة الوحيدة التي  
كانت عليه متنة في الطابق التاسع ، وكان الصعود إليها من سلم حلزولي  
ضائق والذي كانت تبعت منه رائحة رطوبة قريبط مغلقة . وكانت  
جدرانها مغطاة بورق كتيب ، ولم تكن تدخل من نافذتها الوحيدة سوى  
الضوء المكر للنفاه الداخلي . كان بها سرير لشخصين ودولاب كبير  
وكرسی بسيط وحوض للاستحمام متقل وإبريق لغسل الأيدي مع وعاء .  
وإن الحالة الوحيدة الممكنة للبقاء في الرفقة هو أن يكون الشخص مسطحاً

في الفراش . وكل ما كان هنالك كان قديماً وتعباً ، غير أنه كان نظيفاً  
جداً وقد أظهر صحتي معتم حديثاً .

لم تضطر الحياة ، بيلى سانجت ، على فكّ الفأر هذا العالم المتني  
على موهبة التفكير ، ولم يفهم مطلقاً سرّ ضوء السّم الذي كان ينظر قبل  
وصوله إلى طابقه ، ولم يكتشف طريقة اتصاله من جديد . واحتاج إلى  
فضاء نصف ساعات الصباح ليستعمل المراحيض الموجودة في  
لمسحة السّم بكلّ طابق والتي كانت مزودة بخزان ماء وسلسلة . وقد قرّر  
استعمالها في العمة حتى اكتشف باصدقة بأنّ ضررها يتصل عد اخلاق  
قنفها من الدّاخل لئلاّ ينسى أحد أطفالها بعد الخروج منها . أمّا الحمام  
الذي كان في آخر الممر والذي كان يصّر على استعماله مرتين في اليوم  
كما اعتاد في بيته ، فإنّه كان يدفع على حدة ومقدماً ، وإن الماء الساخن  
كانوا يتحكمون به من الادارة وكان ينتهي بعد ثلاث دقائق من بلده  
الفصل . ومع ذلك فإنّه « بيلى سانجت » كان يتمتع بما يكتفي من رصانة  
العقل ليرك بأنّ ذلك النظام المختلف عن نظامه هو على كلّ حال أفضل  
من البقاء في الفراش في شهر يناير ( كانون الثاني ) ، ثم أنه كان يشعر  
بالرهابة ووحشة شديدين بحيث لم يفهم كيف أنه استطاع في بعض  
الأيام أن يعيش بدون حماية « ليا داكوتني » .

وبعد صعوده إلى الغرفة صباح يوم الأربعاء ، انطرح في الفراش  
على وجهه دون أن يخلع معطفه ، مفكراً في ذلك الكائن العجيب الذي  
ما زال ينزف في الطرق الآخر للشارع لم استسلم بسرعة لنوم وبشكل  
طبيعي ، بحيث أنه عندما استيقظ كانت الساعة تشير إلى الخامسة ، ألاّ

أه لم يستطع التحقق مما إذا كانت الخامسة مساءً لم فجراً ، ولم يعرف في  
أي يوم من أيام الأسبوع كان ولا في أية مدينة رجالية معالجة بالرباح  
والمطر . تنتظر في الفراش وهو يفكر دائماً « ليا داكوتني » ، حتى تأكد  
من أنّ الوقت كان صباحاً . وحسبها خرج لتناول فطوره في نفس مقهى  
اليوم السابق وهناك عرف بأنّ ذلك اليوم كان يوم خميس . كانت أنوار  
المستشفى مشتعلة وكان المطر قد توقّف ، وهكذا فإنه بقي مستنداً على  
جذع شجرة كستناء في مواجهة المدخل الرئيسي من حيث كان يدخل  
الأطباء والممرضات ذوو الصدريات البيضاء ، على أمل الخروج على  
العطب الأسوي الذي استقبل « ليا داكوتني » . لم يثر له على آثر ولا في  
المساء بعد تناول العشاء لذا فإنه تمخّل عن الانتظار لأتفه صرخة يبره شديد .  
تناول فحجان لهوة مع الحليب آخر على الساعة السابعة وأكل مضمّنين  
مسلوقتين أعدتهما بنفسه من خزانة المطبخ ، وهكذا فإنه بقي يأكل نفس  
الأنبياء لمدة ثمان وأربعين ساعة وفي نفس المكان ، وعند عودته إلى  
الفندق اللوم ، وجد بأنّ سيارته كانت وحيدة عند ذلك الرصيف حيث  
تركها وأنّ جميع السيارات الأخرى كانت عند الرصيف المقابل ، ووجد  
تحت ماسحة الزجاج إعلاناً بالترمة . فروح له بواب الفندق « نيكولي »  
بصوتها بالغة أنّ بإمكانه أن يضع سيارته في الأيام الفردية من الشهر عند  
الرصيف الهادي للأرقام الفردية ، وفي الأيام الزوجية عند الأرقام الزوجية  
وكان هذا الكمّ من المأورات المفضولة بالنسبة إلى « سانجت دي أيل »  
الحائس ، شيئاً غير مفهوم ، هذا الذي دخل قبل ذلك بستين فقط إلى  
صينما الهواء الطلق بأحد الأحياء بسيارة حكومية للععدة مسيّراً موت  
بعض الأشخاص أمام الشرطة الهادئة . وتوسّش عقله أكثر عندما نصحه

بواب الفندق بأن يدفع الثرامة دون أن يتفر مكان السيارة في تلك الساعة، لأنه سيكون عليه نضرها من جديد على الساعة الثانية عشرة . وفي فجر ذلك اليوم ، وللمرة الأولى ، لم يفكر به « نينا داكوتشي » فحسب ، بل فكر في ليلته هو تلك الليلة الكلية في حانات الشاذين جنسياً في السوق العمومي به « كرتفينا » به « الكاراسي » . كان يتذكر طعام السحك المنقلي ورز جوز الهند في مطاعم البناء حيث كانت ترسو سفن جزيرة « أوروبا » الكارمية . تذكر به بجدراته المنطاة يورق وورود البنفسج ، حيث تدير الساعة هناك إلى الساعة من مساء اليوم السابق ، ورأى أباه بجماعته الحربية وهو يقرأ الصحيفة في هواء الشرفة الليل .

تذكر أنه التي لم يكن يعلم أين تكون في أية ساعة من ساعات اليوم ، تلك الأيام المشهية طويلة اللسان ، بستان يوم الأحد والوردة في ألفتها منذ أول المساء وهي تكاد تفتق من الحرارة للاكتار من ليس الأتواب المتنازة . وفي إحدى الأماسي عندما كان عمره سبع سنوات ، دخل لجهه إلى غرفها فوجدتها عارية في السرير مع أحد متفقي الطارئين . تلك الحادثة التي لم يتكلم عنها أبداً خلقت بينهما علاقة مشاركة في الجريمة وكانت أفضل من علاقة الحب والحان . ومع ذلك فإنه لم يكن واحداً فلم الوعي بكل ذلك ، ولا بأشياء كثيرة أخرى وحية بسبب وحدته كاهن وحيد ، حتى تلك الليلة التي وجد نفسه فيها يتقلب في السرير في عليه كلمة « باريس » ، من غير أن يشعر على أحد ليت شكواه ، يشعر بغضب مرس ضد نفسه لأنه لم يكن يستطيع مقاومة الرغبة في البكاء .

كان صهراً مفيداً ، وقد لهنس يوم الجمعة متزعجاً بسبب الليلة السيئة التي أمضاها ، ولكنه كان عازماً على تغيير واقع تلك الليلة . قرر كسر قفل إحدى الخفاف ليغير ملبسه ، وذلك لأنه لأن مفاتيحها جميعاً كانت في الحقبة البدوية له « نينا داكوتشي » مع الجزء الأكبر من القود وكلها دفن التلفون الذي كان بإمكانه ربما العثور على رقم تلفون أحد المعارف في « باريس » . وأتبعه في المقهى الذي اعتاد على الذهاب إليه إلى أنه تعلم أن يحيى باللغة الفرنسية وأن يطلب شطائر مع لحم الخنزير والقهوة مع الحليب ، وكان يعلم أيضاً بأنه لن يستطيع طلب الزبدة لو البس بأي حال من الأحوال ، لأنه لن يتعلم اسميهما ، غير أنه الزبدة كانت تقدم مع الحيز ، وأن البيض المسلوق كان يوجد في مخزنة بالمقهى وكان يلأخذ من مكانه ولا يطلب . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن عمال المقهى بعد ثلاثة أيام ، كانوا قد ألفوه وكانوا يساعدونه للتعبير عما يريد . وهكذا فإنه يوم الجمعة في ساعة الغذاء ، وبينما كان يحاول تنظيم أفكاره ، طلب فريحة من لحم البقر مع البطاطس الثقيلة وقبنة من البيض . عند ذلك فصر بارتجاج كبير وطلب فينة أخرى فرب منها حتى التصفد وقطع الشارع وهو عازم على الدخول إلى المستشفى عنة . لم يكن يعرف أين يمكنه العثور على نينا داكوتشي ، غير أن صورة الطبيب الآسيوي الذي ظهر لليوم الأول بديهي إلهي ، كانت ثابتة في ذهنه وكان متأكداً من أنه سيبحث عليه . لم يدخل من الباب الرئيسي ، بل من باب الطوارئ الذي بدا له مرافقاً أفضل من الآخر ، غير أنه لم يستطيع التوجه إلى مسافة أكثر من المكان الذي ودعته فيه « نينا داكوتشي » بعدها . توجه له حارس بلس صدرية ملطخة بالدم بعض الكلمات عند مروره ، إلا أنه لم يهتم به .

تبعه الحارس وهو يتكرر نفس السؤال باللغة الفرنسية ، وأخيراً لمسك به من ذراعه بقوة هائلة جعلته يتوقف في مكانه . حاول « يولي ساجت » أن يسحب ذراعه على طريقة المستهزين فصب عليه الحارس أنقى اللعنات ولوى ذراعه إلى ظهره بحركة مصارع تشيط ، دون أن ينقطع عن السب وسخه وهو معلق تقريباً إلى الباب وهو يصرخ من شدة الألم ويرمى به مثل كيس بطاطس في وسط الطريق .

وفي ذلك المساء ، بدأ « يولي ساجت » التألم من تلك العبرة ، بصير أكثر بلوغاً ونضجاً . قرر اللجوء إلى سفير بلده ، ولو كانت « نينا داكوتني » بدلاً من لفطت نفس هذا الشيء . كان براب الفندق على الرغم من مظهره الفظ عذوفاً جداً وشده الصبر مع اللغات ، وعثر على رقم الهاتف وعنوان السفارة في دليل التلغونات وكتبهما له في ورقة . ردت عليه امرأة لطيفة عرف « يولي ساجت » من غلال صوتها المتقطع والهادي لبرتها الخاصة بأعالي «لوس أنديس» . بدأ كلامها معها متلفظاً اسمه الكامل ، متأكداً من أنه سوف يجعلها تهتم عند سماعها لقيه العالمين ، إلا أن صوتها لم يتغير من غلال الهاتف . وسمعها تقول من الذاكرة المحاضرة التي تملن فيها عن عدم وجود السفير في تلك الساعة في مكتبه وأنه لن يحضر حتى اليوم التالي ، وأنه على كل حال لن يستقبل أحداً إلا بموعده سابق ولحالات الضرورة . فهم « يولي ساجت » حينذاك بأن ذلك الطريق لن يوصله هو الآخر إلى « نينا داكوتني » فسكرها على المعلومات بنس اللطافة التي عاشته بها ، وأخذ يعدها سيارة أجرة ودفعه إلى السفارة .

كانت في الرقم ٢٢ شارع « إلسو » في أحد أكثر أحياء باريس هدوءاً ، غير أن الشيء الوحيد الذي أثار مشاعر « يولي ساجت » حسباً رواه هو لي بعد سنوات من ذلك في « كارتخينادي اندياس » ، هو أن لمس ذلك اليوم كانت في غاية الانشراح مثل « الكاريس » لأول مرة منذ وصوله ، وإن « برج ابلل » كان يرتفع فوق المدينة تحت فمس برقة . كان الموظف الذي استقبله بدلاً من السفير يبدو وكأنه قد نما من مرض عمت ، ليس لبسته المصنوعة من الكتان الأسود ولرقته المضروطة وربطة الخداه فحسب ، بل لهدوء عبارته ولرقته صوته . فهم أسباب جرح « يولي ساجت » ولكنه ذكره ، دون أن يفقد حلاوة حديثه ، بأنهما موجودان في بلد متحضر وإن أصول هذا البلد الصارمة تقوم على مفاهيم قديمة وحكيمة على العكس من « أمريكا اللاتينية » المتوحشة ، حيث يمكن تقديم رشوة إلى البواب لدخول للمستشفيات ، « لا ، يا عزيزي الشاب » ، قال له . ليس هناك أي حل سوى الخضوع إلى امبراطورية العقل والانتظار حتى يوم الثلاثاء . وأضاف قائلاً :

- على كل حال لم يبق سوى أربعة أيام ، وفي انتظار ذلك يمكنك أن تزور « اللوفر » ، أنه جدير بالزيارة .

وعند الخروج وجد « يولي ساجت » نفسه تائهاً لا يدري ماذا يفعل في ساحة « كونيكوربا » . شاهد « برج ابلل » من فوق سطوح العمارات وبدا له قريباً جداً فحاول الوصول إليه ماشياً بمحاذاة شاطئ النهر . ولكنه اتبه بسرعة إلى أنه كان أبعد مما توقع ، ثم أنه كان يتغير من موقع إلى آخر كلما ازداد يحسه عنه . وهكذا فأنه أخذ يفكر في « نينا داكوتني » وهو

يجلس على مقعد على شاطئ نهر « سينا » . شهد مرور سفن القطر من تحت الجسور ، ولم تد له مثل سفن ، بل بدت وكأنها بيوت شريدة ذات سقف ملبنة ونوافذ بها أمص زهور في حافاتهما وحبال علقت عليها ملابس لتجفف في اللوحات الخالية . تأمل خلال وقت طويل صياداً لا يتحرك وصنارته الثابتة بخيوطها الثابت وسط التيار ، ولعب من انتظار تحرك شيء ما حتى بدأ يحل الظلام فقرر أخذ سيارة أجرة للعودة إلى الفندق . حينذاك فقط انتبه إلى أنه كان يجهل اسم الفندق وعنوانه وأنه لم يكن يعرف في أي جزء من « باريس » يقع المستشفى . ومرتبكاً من قسمة الفرع دخل إلى أول مقهى عثر عليه وطلب كأساً من « الكورتياك » وحاول تنظيم أفكاره . وبينما كان يفكر ، رأى نفسه مكرراً كثيراً ومن زوايا مختلفة في المرايا الكثيرة المعلقة على الجدران وشعر بالخوف والوحدة وفكر لأول مرة منذ ولادته بواقع الموت . غير أنه شعر مع الكأس الثانية بتحسّن وجأحه بتدبير رباني فكرة العودة إلى السفارة . بحث عن الورقة في جيبه لتذكر اسم الشارع واكتشف بأن اسم الفندق وعنوانه كانا مطبوعين على الوجه الآخر للبطاقة . هذه التجربة المرة تركت في نفسه أثراً شديداً بحيث قرر عدم الخروج خلال آخر الأسبوع من غرفته إلا للأكل أو لتبديل مكان السيارة من رصيف إلى آخر حسب الأوامر . سقطت خلال ثلاثة أيام بلا توقف نفس الأقطار الوسخة التي استقبلتهم صباح يوم وصولها . تفتى « يني صانجت » الذي لم يقرأ في حياته كتاباً كاملاً ، أن يكون لديه واحد لئلا يمل وهو منطرح في السرير ، غير أن الكتب الوحيدة التي وجدها في حكايب زوجته كانت بلغات أخرى غير الاسبانية . وهكذا فإنه استمر ينتظر يوم الثلاثاء متأملًا الطواويس المكررة في ورق

الجدران دون أن يتخلّى عن التفكير ولو للحظة واحدة في « نينا داكوتسي » وفي يوم الاثنين نظم الغرفة قليلاً لأنه تخيل ما يمكن أن تقوله هي فيما إذا رأتها على تلك الحالة ، واكتشف حينذاك بأن معطنها المصنوع من جلد السور كان ملطخاً بدم جاف ، فأمضى النساء في غسله بالصابون المعطر الذي وجدته في حقيبة يدوية ، حتى استطاع أن يعيده من جديد إلى حالته الأولى عندما صعدوا به إلى الطائرة في « مدريد » . كان الطقس يوم الثلاثاء عكراً وبارداً جداً ولكن بدون رذاذ ونهض « يني صانجت » منذ السادسة وانتظر عند باب المستشفى مع جموع من أقارب المرضى الذين يحملون علب الهدايا وباقات الزهور . دخل مع الأفواج وهو يحمل المعطر الجلدي دون أن يسأل شيئاً ومن غير أن يعلم أين يمكن أن تكون نينا داكوتسي ، بحفوة أمل الشرور على الطبيب الأسباني . مر من خلال فناء داخلي كبير جداً فيه زهور وعصافير برية وكانت توجد على جانبيه ردعات المرضى : النساء على اليمين والرجال على اليسار . تبع الزائرين ودخل إلى ردة النساء فوجد صفّاً طويلاً من المريضات الجالسات على الأسرة ، لايسات ثوب المستشفى الرديء ، مضاعفات بأنوار النوافذ الكبيرة . مما حدا به إلى التفكير بأن كل ذلك هو أكثر ضرراً مما يمكن للإنسان أن يفكر فيه من الخارج . وصل حتى طرف الممر ثم عاد في الاتجاه المعاكس إلى أن اقتنع بأن « نينا داكوتسي » لم تكن بين هؤلاء المريضات . وبعد ما مر من خلال الزوايا الخارجية وهو ينظر من خلال النوافذ إلى ردعات الرجال إلى أن ظن بأنه عثر على الطبيب الذي كان يبحث عنه .

أن هو فعلاً . كان مع أطباء آخرين ومع العديد من الممرضات  
يخص أحد المرضى دغمل ، يئلي ساجت ، الرعدة وأبعد إحدى الممرضات  
من المجموعة ووقف وجهاً لوجه إلى الطبيب الآسيوي الذي كان متجنباً  
على المريض . ناداه قرقع الطبيب عنده الخزيين وفكر للحظة وتذكره :

- ولكن في أي متاحة كنت ؟ قال له .

- في الفندق ، أجا به ، هنا عند المنطف .

علم حينذاك بأنّ ، نينا داكوتني ، كانت قد ماتت على الساعة  
السابعة وعشر دقائق من مساء يوم الخميس الموافق للتاسع من يناير  
(كانون الثاني) بعد سبعين ساعة من المعاناة غير المجدية لأفضل الأطباء  
الاختصاصيين في فرنسا ، وكانت صاحبة حتى اللحظة الأخيرة  
وهادئة وأعطت بعض المعلومات للبحث عن زوجها في فندق ، بلثا  
أثياء حيث كانت عندها غرفة محجورة وأعطتهم بعض التفاصيل لكي  
يتصلوا بأبويها . وكانت السفارة قد تمّ إعلامها يوم الجمعة بريقة عاجلة  
أرسلها مكتب السياسة الخارجية بخر فيها بأنّ والدي ، نينا داكوتني ،  
في طريقهما إلى باريس . تكثّل السفير شخصياً باجتماعات تحيط  
الحقّة والتشجيع وبقي على اتصال مع مديرية الشرطة للبحث عن ، يئلي  
ساجت . ولذبح نداء مستعجل منذ ليلة الجمعة وحتى مساء يوم الأحد  
في الراديو والتلفزيون ، وردت فيه معلومات مختصة تتعلق بـ ، يئلي ،  
وصار خلال الأربعين ساعة تلك أكثر أسنان مبحوث عنه في كل  
فرنسا . وصارت صورته التي طروا عليها في حقبة ، نينا داكوتني ،

معروضة في كل مكان ، وعثروا على ثلاث سيارات من نوع ، بيتلي ،  
ذات الغطاء المنطوي ، ألا أنه أتى منها لم تكن المقصودة . كان أبوا ، نينا  
داكوتني ، قد وصلا يوم السبت في وسط النهار وسهروا مع الحقّة في  
كعبة المستشفى منتظرين حتى آخر لحظة على أمل العثور على ، يئلي  
ساجت . وتمّ البلاغ أبويه هو أيضاً وكانا جاهزين للسفر إلى باريس ،  
غير أنهما تخليا عن ذلك بسبب فوضى البرقيات . تمّ تسليح الجنازة يوم  
الأحد على الساعة الثانية بعد الظهر على بعد مائتي متر من الغرفة القدرة  
لفندق الذي كان ، يئلي ساجت ، يحضر فيه من الوحدة وبسبب حبّ  
، نينا داكوتني . وقال في موظف السفارة الذي كان قد استقبله ، قال  
لي ذلك بعد سنوات طويلة . بأنّه استلم البرقية من مكتب السبامة  
الخارجية بعد ساعة من خروج ، يئلي ساجت ، من دائرة السفارة ، وأنه  
قد بحث عنه في حالات ، فابورغ سان موندوي ، الصلابة ، واعترف لي  
بأنّه لم يمرّه أية أعمية عندما استقبله لأنّه لم يتصور بأنّ ذلك الشاب  
الساحلي المرتعب من جديد ، باريس ، واللباس مغطاً من جلد الخروف  
ومظهر بابس ، هو من أصل سام إلى هذا الحدّ وفي يوم الأحد ليلة ،  
وبينما كان هو يصارع رغبته في البكاء من الغضب ، تخلى أبوا ، نينا  
داكوتني ، عن البحث عنه وأحلا الحقّة في قايوت معدني واستمرّ  
الذين شاهدوا ذلك يكررون ولسنوات طويلة بأنهم لم يروا امرأة أحبل  
منها لا في حياتها ولا في موتها . وهكذا فإن ، يئلي ساجت ، عندما  
دخل أخيراً إلى المستشفى صباح يوم الثلاثاء ، كان الحشمان قد تمّ دمه في  
مقبرة ، بامانفا ، الكعبة على بعد أمتار قليلة من البيت الذي اكتشفوا فيه  
الأفكار الأولى للسعادة . أراد الطبيب الآسيوي الذي عرف ، يئلي ساجت ،

بتفاصيل المأساة أن يعطيه في ردهة المستشفى بعض الحيات المهدئة ،  
ولكنه رفضها . غادر دون أن يودع أو يشكر ، مفكراً بأن الشيء الوحيد  
الذي يحتاج اليه بشكل عاجل هو العثور على أحد ما ليحطم أنفه ضرباً  
ولينسى مصيبته الخاصة . وعندما خرج من المستشفى لم ينتبه الى الثلوج  
المتساقطة من السماء ولكن دون أثر للدم . كانت حبيباته ناعمة ونقية  
تشبه ريش الحمام ، وكانت شوارع باريس تعلوها أجواء احتفالية لأنها  
كانت اكبر عاصفة للجنة خلال العشر سنوات الاخيرة .

١٩٧٦